بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسبغ على أهل مكة بمجاورة بيته الأمين موائد الفضل والنعمه، وجعلهم أهله وخاصته على الخصوص ونوّه بشأنهم لما اقتضته الحكمه. وخص من شاء منهم بظاهر العز والجلال ودفع عنه كل بؤس ونقمه. وحباه بمزيد القربة والشرف فصار له جارا وجار الله جدير بوافر الإنعام والكرمه. أحمده على التفضل في هذا البيت وأشكره على تفضلاته الجمه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أكرمنا بخير نبي كان به خير أمه. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث في هذه البقعة المطهرة لكشف غياهب الشك والظلمة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأئمة، الذين ناصروه وظاهروه على عدوه وقاموا في مصالحه على قدمه. صلاة وسلاما دائمين مقرونين بعظيم البركة والرحمه.

أما بعد فيقول الفقير إلى عفو الله ولطفه الخفي، محمد جار الله بن ظهيرة القرشي المكي الحنفي: اعلم أنه لا يخفى على كل عاقل من ذوي الألباب السليمه، والأفكار الرائقة الحسنة المستقيمه، أن الكعبة الشريفة هي أفضل مساجد الأرض وأنها بيت الله الحرام، وقبلة جميع

الأنام . وأن مكة المشرفة هي البلد الأمين . ومسقط رأس سيد المرسلين . وأهلها هم خاصة الله من البشر . الحائزون نهاية الشرف والفخر والظفر . والمسجد الحرام فضله لاينكر . ومانطوى من فضائله لم يزل ينشر . والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى . وأعظم من أن تستقصى . وقد تصدى لتأليف فضائل مكة وأخبارها جمع كثير من فضلاء المتقدمين أجلهم الامام المتقن أبو الوليد الازرقي تغمده الله برحمته . ومن المتأخرين السيد العلامة المحرر القاضي تقي الدين الفاسي المكي بوأه الله دار كرامته وهو المعول عليه فانه رحمه الله قد أغرب وأبدع . وأتى في مؤلفه شفاء الغرام ومختصراته بما يشفي وينفع وأظهر في ذلك جملا من المحاسن والمفاخر . وان كان للمتقدم عليه فضل السبق والتأسيس فكم ترك الأول للآخر . غير أن الجميع رحمهم الله قد أطالوا الكلام وبالغوا في الاسهاب . ونشروا العبارة وبسطوها في جميع الكتاب . بحيث من أراد الاحاطة بذلك يحتاج الى استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ماهنالك . وربما قدم بعضهم مايحسن تأخيره . وأخر مايحسن تقديمه وتقريره . وممن جنح أيضاً الى هذا الغرض وذكره ضمناً أرباب كتب المناسك في أوائل مناسكهم . فمنهم من أوسع العبارة وأطال بما يمكن أن يدرك بأدنى اشارة . ومنهم من مال الى الايجاز والاختصار ، ومع ذلك فلم تسلم عبارته من التكرار وبعضهم ضيق العبارة جدا ، بحيث أنه ذكر ذلك في نحو ست ورقات شدا ، فأخل حينئذ بما تعين أن يذكر . وأضرب صفحاً عن أمور

وجب أن تثبت وتشهر . فلما وجدتها على ماوصفت ولم أقف على مؤلف متوسط فى ذلك يدل على المقصود ، ولا ظفرت بتعليق مفرد يكون جامعاً لما هو فى أسفار علماء هذا الفن موجود . أحببت أن أجمل بعد الاستخارة تعليقاً لطيفاً غير مختصر مخل ، ولا مطول ممل . يكون عدة للقصاد . سالكا ان شاء الله تعالى سبيل التوسط والاقتصار لقصور الهمم فى هذا الزمان عن مطالعة المطولات ، ومراجعة المبسوطات أجمع فيه ماتفرق من منثور الكلام . وأضم كل لفظ الى مناسبه ليحصل كمال الالتئام . لما أن التأليف فى هذا الوقت ليس هو الا كما قال بعضهم : جمع ماتشتت ، ورم ماتفتت مع زيادة فروع فقهيه . وأحاديث نبويه . وآثار مرويه . وفوائد كثيرة . ولطائف غزيرة . مع تحرير عبارة وتقرير اشارة . منبهاً ذلك على قدر الفتوح . حسبما هو موجود فى الأسفار مشروح . عازيا كل قول غالبا الى قائله . ومبينه لطالعه وسائله . ليكون لواقف عليه عمده . وأخرج بذلك من الدرك والعهده . وما فتح الله به من كلامى على سبيل البحث ميزته بقولى فى أوله بما صورته أقول أو بحث وفى آخره انتهى . أو والله الموفق بالقلم الأحمر (١) وشرطت أن لايخل الناسخ بذلك ليتميز عن كلام الغير . هذا مع اعترافى بكساد البضاعة وعدم التقدم فى هذه الصناعة ، فشرعت مجتهدا فى ذلك . طالباً من الله تيسير تلك المسالك وسميته : « الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف » ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة

---

(١) اكتفينا بجعله بين قوسين

المقدمة فى فضل العلم

الباب الأول : فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث والآثار ، وماسبب تسميتها كعبة وتسميتها بالبيت العتيق

الباب الثانى : فى زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء فى فضله من الآيات الشريفة ، والعجائب الباهرة المنيفة ، وما ورد فى فضل المقام وما سبب تسميته بالمقام وفيه فصلان (الأول) فى ذكر الحجر الأسود وماورد فى فضله وشرفه (والثانى) فى فضل الملتزم والدعاء فيه وذكر الفيل وخبر تبع

الباب الثالث : فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة وعددمرات بنائها وفيه أربعة فصول (الأول) فى الكلام على البيت المعمور وذكر شىء من فضل جدة على سبيل الاستطراد (والثانى) فى ذكر كنز الكعبة والكلام فيه (والثالث) فى الكلام على دخول الكعبة الشريفة وماورد فى ذلك (والرابع) فى ثواب دخولها

الباب الرابع : فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة وتطييبها وتحليتها ومعاليقها وفيه فصل فى الكلام على سدانة البيت

الباب الخامس : فى فضل الطواف بالبيت والطائفين به وفيه ثلاثة فصول (الأول) فى النظر الى البيت (الثانى) فى بيان المواضع التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الكعبة (الثالث) فى بيان وجهة المصلين الى القبلة من سائر الآفاق

الباب السادس : فى فضل مكة شرفها الله تعالى وحكم المجاورة بها

وفيه ثلاثة فصول (الأول) فى أفضليتها على المدينة (الثانى) فى أفضلية قبر النبى صلى الله عليه وسلم على سائر البقاع (الثالث) فى ذكر أسماء مكة المشرفة

الباب السابع : فى فضل الحرم وحرمته وفضل المسجد الحرام وخبر عمارته وفيه خمسة فصول (الأول) فى ذكر الآيات المختصة بالحرم (الثانى) فى الكلام على تعريف المسجد الحرام وفيه ذكر شىء من خبر الاسراء على سبيل الاستطراد (الثالث) فى ذكر عمارة المسجد الحرام (الرابع) فى خبر عمارة الزيادتين اللتين به وذرعه وذكر المنابر (الخامس) فى كيفية المقامات التى بالمسجد الحرام وبيان مواضعها وحكم الصلاة فيها ومافى المسجد من القباب والأبنية وعدد أبواب المسجد الحرام

الباب الثامن : فى فضل أهل مكة وشرفهم وما ورد فى ذلك وفيه فصل واحد يتعلق بذكر نسب النبى صلى الله عليه وسلم ونسب أصحابه العشرة وذكر شىء من مناقب قريش

الباب التاسع : فى ذكر مبدأ بئر زمزم وفضل مائها وأفضليته وخواصه وفيه فصلان (الأول) فى ذكر أسمائها (الثانى) فى آداب الشرب منها

الباب العاشر : فى عدد أمراء مكة من لدن عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا

الخاتمة فى ذكر الأماكن المباركة التى يستحب زيارتها بمكة وحرمها وخارجها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر سائلا من كرم الله ولطفه أن يهدينى الى الطريق السواء ويجعلنى ممن أخلص النية فى العمل

وإنما لكل امرئ ما نوى . مستعينا به فيما أردت . مؤملا من فضله إتمامه حسبما قصدت . وهو الموفق للصواب . وإليه المرجع والمآب .

المقدمة

فى فضل العلم الشريف وأهله وطالبيه

وما ورد فيه من الآيات العظيمة والأخبار الكريمة والآثار الجسيمة

اعلم أن العلم شرف الانسان . وفخر له فى جميع الأزمان . وهو العز الذى لا يبلى جديده . والكنز الذى لا يفنى فريده . وقدره عظيم . وفضله جسيم . قال الله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » برفع العلماء على الفاعلية . أى إنما يخاف الله من عرفه حق معرفته وهم العلماء . وقرئ فى الشواذ برفع الاسم الشريف على الفاعلية ونصب العلماء على المفعولية . وهذا مروى عن جماعة من العلماء منهم إمامنا أبو حنيفة رضى الله عنه . كان الأستاذ الكمال ابن الهمام فى مجلس تدريسه فأورد عليه سائل قراءة أبى حنيفة المذكورة فأجاب بقول الشاعر :

أهابك إجلالا وما بك قدرة ... على. ولكن ملء عين حبيبها

وحينئذ فالمراد بالخشية الاجلال . فيكون المعنى على هذا إنما يجل الله

من عباده العلماء . وقال تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » الآية . فقرنهم بالملائكة ثم عطف شهادتهم على شهادته وميزهم من بين سائر الخلق وفضلهم على جميع الناس لقوله تعالى : «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ومن على سيد البشر بقوله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » ثم قال تعالى تنويها بشأن العلماء : « وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » وقال تعالى : « علم الانسان ما لم يعلم » وقال تعالى فيجواب الكفار حين سألوا وما الرحمن «الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان» وقال تعالىفيحق العلماء : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » قال بعض المفسرين يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم . قال بعض العلماء : رفعتهم تشمل المعنوية فى الدنيا بحسن الصيت وعلو المنزلة والحسية فى الآخرة بعلو المنزلة فى الجنة . وقال تعالى : « وقل رب زدنى علما » وجه الدلالة أن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شىء الا من العلم ومثل هذا كثير فى كتب الله . وفى بعض الكتب المنزلة (يقول الله أنا الذى خلقت الخلق والفهم وعلمت الناس البيان)

وأما ما جاءت به السنة فأكثر من أن يحاط به . فمن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وطالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر) وروى عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من غدا لطلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له فى معيشته) وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة) وفى رواية سهل الله له به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاها بما يصنع . قال بعض العلماء المراد بوضع الاجنحة التواضع على جهة التشريف . وقيل على الحقيقة تضع أجنحتها لهم فيمشون عليها ولا يدركون ذلك للطافة أجسادهم . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر) وعن أبى اسحق المزنى يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة ويقال للعالم قف فاشفع لمن شئت) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (العالم والمتعلم كهذه من هذه) وجمع بين المسبحة والتى تليها (شريكان فى الاجر ولا خير فى سائر الناس بعد) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (أغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا لذلك ولا تكن الخامس فتهلك) وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مسئلة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسمعيل)

﴿ لطيفة ﴾ تخصيص أولاد اسمعيل بالذكر دون غيرهم قيل لكونهم أفضل أصناف الامم فان العرب أفضل الامم ثم أفضلهم أولاد

اسمعيل . وقيل لان أولاد اسمعيل لم يجر عليهم رق قبل الاسلام

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من غدا الى المسجد لايريد الا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته) رواه مسلم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وفي الترمذي (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يشفع الله يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء) قال بعض الفضلاء أكرم بمرتبة هي متوسطة بين النبوة والشهادة (أقول في العطف بثم أدل دليل على أفضلية العلماء على الشهداء كما لا يخفى على من عرف الحكم النحوي في ثم انتهى) . وفي الفائق عنه صلى الله عليه وسلم (تعلموا العلم وعلموه الناس) وفيه أيضا (تعلموا العلم واعملوا به) وفيه (تعلموا العلم قبل أن يرفع) وفيه (تعلموا العلم وكونوا من أهله)وفيه (ان أهل الجنة ليحتاجون الى العلماء في الجنة كما يحتاجون اليهم في الدنيا)

﴿ لطيفة ﴾ من الاحتياج الى العلماء في الجنة أنه اذا دخل أهل الجنة الجنة يعطيهم الله جميع مايتمنونه ولا يزالون يتمنون لدن ربهم حتى تعجز عقولهم وتدبيراتهم عن الامانى لانهم نالوا كل ما أرادوا من النعيم فيقول الله سبحانه بعد ذلك كله تمنوا فلا يعرفون ما يتمنون فيرجعون الى العلماء فيسألونهم مايتمنون فيستنبطون لهم أشياء من أسرار الله تبارك وتعالى فيتمنونها كذا في حاوى القلوب الى لقاء المحبوب

لابن الملقن الشافعي رحمه الله . والأحاديث في ذلك كثيرة جدا . وهذا بعض من كل ، وقال بعض الفضلاء : العلم أمان من كيد الشيطان ، وحرز من كيد الحسود ودليل العقل ، ولقد أحسن من قال :

ماأحسن العقل والمحمود من عقلا　　وأقبح الجهل والمذموم من جهلا
فليس يصلح نطق المرء في جمل　　والجهل يفسده يوما اذا سئلا
والعلم أشرف شيء ناله رجل　　من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلم العلم واعمل يا أخي به　　فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

وعن بعض الحكماء أنه قال : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قائده ، والرفق والده ، والبر أخوه ، والصبر أمير جنوده وقال بعض الحكماء : لمثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام ، وقال الامام الشافعي رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته : الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة ، وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم ، وقال بعض العلماء : العلم نور يهتدى به الحائر ، وفي معناه أنشدوا :

بالعلم تحيا نفوس قط ماعرفت　　من قبل مالفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور تستدل به　　على الحقائق مثل النور للعين

وقال آخر :

كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل　　ويفرح ان أمسى الى العلم ينسب
ويكفي خمولا بالجهالة أنني　　أراع متى أنسب اليها وأغضب

وقال ابن الزبير : ان أبا بكر كتب الي وأنا بالعراق : يابني عليك بالعلم

فانك اذا افتقرت اليه كان مالا ، وان استغنيت به كان جمالا ، وأنشد في معناه :

العلم بلغ قوما ذروة الشرف ... وصاحب العلم محفوظ من التلف
ياصاحب العلم مهلا لا تدنسه ... بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال بعض الفضلاء : ينبغي لكل عاقل أن يبالغ في تعظيم العلماء ماأمكن ولا يعد غيرهم من الأحياء ، وقد أجاد من قال :

ومن الجهالة أن تعظم جاهلا ... لصقال ملبسه ورونق نقشه
واعلم بأن التبر في بطن الثرى ... خاف الى أن يستبين بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها ... من حكه لا من ملاحة نقشه

وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب : جاء في الخبر أن الله تعالى لايعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه ، وقد قال سبحانه : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وقال سيدي الشيخ سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته : ماعصى الله بمعصية أعظم من الجهل وما أطيع الله بمثل العلم . وقال بعضهم رضي الله عنه : قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي . قال الشيخ محمد بن علي النهاجي رحمه الله قلت والله أعلم ولهذا تجد الجاهل يبغض كل من كان طالبا للعلم ويعد ذلك عيبا ، وقيل في معنى ذلك :

عاب التعلم قوم لا عقول لهم ... وما عليه اذا عابوه من ضرر

ماضر شمس الضحى والشمس طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه : العلم خير من المال . العلم يحرسك وأنت تحرس المال . والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالنفقة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطى الملك والمال معه . وقال الامام مالك بن أنس رضي الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء وقال بعض الحكماء : ليت شعرى أى شيء أدرك من فاته العلم وأى شيء فات من أدرك العلم . وما أحسن ماقيل

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم — وعنه فكاشف كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى — وعون على الدين الذى أمره حتم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم — فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فانهم — نجوم هدى ان غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى — ولالاح من غيب الامور لنا رسم

وعن ابن المبارك أنه قال لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل . وعن عثمان بن أبي شيبة قال سمعت وكيعا يقول : لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه وممن هو مثله وممن هو دونه . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما لا يستويان ، أما طالب العلم فيزداد

رضى الرحمن وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ « إنما يخشى الله من عباده العلماء » « إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وما أحسن قول بعضهم

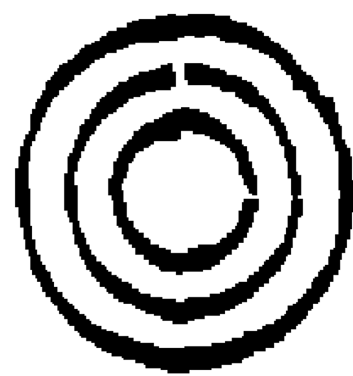
ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيل للحسين بن الفضيل رضى الله عنه هل تجد فى القرآن من جهل شيئا عاداه ؟ فقال نعم فى موضعين قوله تعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » وقوله تعالى « واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » وقال يحيى ابن معاذ الرازى رضى الله عنه : العلماء أرأف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأرحم عليهم من آبائهم وأمهاتهم وذلك أن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها. وقال سفيان الثورى رضى الله عنه: العجائب عامة وفى آخر الزمان أعم ، والنوائب طامة وفى أمر الدين أطم . والمصائب عظيمة ، وموت العلماء أعظم . وان العالم حياته رحمة للامة ، وموته فى الاسلام ثلمة . وعن معاذ: تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة . وما أحسن قول الزمخشرى :

وكل فضيلة فيها سناء وجدت العلم من هاتيك أسنى
ولا تعتد غير العلم ذخرا فان العلم كنز ليس يفنى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوع ، وعن عمر رضى الله عنه : موت ألف عابد قائم

الليل صائم النهار أهون من موت العالم البصير بحلال الله وحرامه. والكلام في هذا يطول ولنختم هذا النوع بحديث نبوى ورد في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) وهذا التعليق لا يحتمل أكثر من هذا . وفيما ذكرته مقنع. اللهم انى أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن ترزقنى علما نافعا وتختم لى بالخير وتحشرنى فى زمرة من ذكرتهم بقولك تبارك اسمك « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » آمين يارب العالمين



الباب الأول

فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما يدل على ذلك من الآيات والأحاديث والآثار والحكايات والعجائب

أما الآيات فمن ذلك قوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس » الآية . قال الكواشى سبب نزول هاتين الآيتين أن اليهود لما قالوا للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم أنزل الله تعالى ان أول بيت . واختلف فى معنى كونه أول بيت وضع للناس فقيل أول بيت وضعه الله للطاعات وجعله متعبدا وقبلة للصلوات وموضعا للطواف ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه أنه سئل أهو أول بيت وضع فقال كان قبله بيوت ولكنه أول متعبد . وقيل أول بيت بنته الملائكة فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك فانا قد حججنا قبلك بألفى عام . وقيل أول بيت بناه آدم . وقيل أول بيت بناه ابراهيم وقيل أول بيت حج بعد الطوفان وقيل أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض فهذه ستة أقوال ، وبيان القول الاخير أن الله تعالى كان ولم يكن

شيء قبله وكان عرشه على الماء وليس هو ماء البحر بل هو ماء تحت العرش بكيفية شاءها الله تعالى . فقيل انه خلق السماء دخانا قبل الأرض وفتقها سبعا بعد الأرض . ورده بعضهم بأن خلق الأرض كان أولا مستدلا بقوله تعالى : « أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين » الى قوله طائعين . قال النسفي في تفسيره المسمى بالمدارك : يفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض ، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه واختاره الشيخ جلال الدين السيوطي من المتأخرين وأجاب بذلك عن سؤال رفع اليه صورته :

يا عالم العصر لازالت أناملكم ... تهمي وجودكم نام مدى الزمن
لقد سمعت خصاماً بين طائفة ... من الأفاضل أهل العلم واللسن
في الأرض هل خلقت قبل السماء وهل ... بالعكس جائز يا نزهة الزمن
فمنهم قال ان الأرض منشأة ... بالخلق قبل السما قد جاء في السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستندا ... الى كلام امام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفي من مشكل وأبن ... يجزك ربك من زور ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر ... ماحي الضلالة هادي الخلق للسنن

فأجاب رضي الله عنه بصورته :

الحمد لله ذي الافضال والمنن ... ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الأرض قد خلقت قبل السماء كما ... قد قصه الله في حاميم فاستبن
ولا ينافيه ما في النازعات أتى ... فدحوها غير ذلك الخلق للفطن
والحبر أعني ابن عباس أجاب بذا ... كما أتانا به قوم ذوو لسن

وابن السيوطي قد خط الجواب لكي ينجو من النار والآثام والفتن

انتهى بنصه . فان قيل هل قول السماء والأرض كان بلسان الحال أم المقال : قيل ان ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما . وقيل ان الله خلق فيهما كلاما فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها

مطلب أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة

قال الثعلبي خلق الله تعالى جوهرة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الله الأرض من زبده والسماء من بخاره فكان أول ظاهر على وجه الأرض مكة . زاد غيره ثم المدينة ثم بيت المقدس ثم دحا الأرض منها طبقاً واحداً ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة . قال بعض العلماء في هذا ايذان بأنها التي أجابت من الأرض وعن كعب الأحبار رضى الله عنه قال كانت الكعبة غثاء على الأرض . قبل خلق السموات والأرض بأربعين سنة ومنها دحيت الأرض فهو صلى الله عليه وسلم الأصل في التكوين والكائنات تبع له .

مطلب مدفن الانسان بتربته

فان قيل مدفن الانسان يكون بتربته أى مكان طينته التي خلق منها وهو صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة الشريفة ، أجاب بعض العلماء أن الماء لما تموج عند وقوع الطوفان ألقى تلك الطينة الى ذلك الموضع من المدينة الشريفة ، وعن ابن عباس رضى الله عنه قال لما كان العرش

على الماء قبل أن تخلق السموات والأرض بعث الله ريحا هفافة بفاءين فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة فى موضع البيت كأنها قبة فدحا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فاوتدها بالجبال .

مطلب أول جبل وضع فى الأرض أبو قبيس

وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس فلذلك سميت مكة أم القرى أى أصلها . والخشفة بالخاء والشين المعجمتين والفاء واحدة الخشف وهى حجارة تنبت فى الأرض نباتا . وروى عمر بن شبة فى أخبار مكة خشعة بالعين المهملة عوضا عن الفاء وهى أكمة لاطية بالأرض ، وقيل هو ماغلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين . ويقال للجزيرة التى فى البحر لايعلوها الماء خشفة بالفاء وجمعها خشاف ، وقوله فى الآية السابقة «للذى ببكة مباركا» أى كثير الخير لما يحصل لمن حجه أو اعتمره أو عكف عنده أو طاف حوله من الثواب ، وانتصاب مباركا على الحال . قال الزجاج وغيره المعنى استقر بمكة فى حال بركته وهو حال من وضع ، وقوله « فيه آيات بينات » قال النسفى فى تفسيره أى علامات واضحات لاتلتبس على أحد ومقام ابراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات ، وصح بيان الجماعة بالواحد لأنه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى صخر صلد ، أو لاشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية ، وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاءه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة ، وقوله : « ومن دخله كان آمنا » عطف

بيان لآيات فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله ، والآيتان في معنى الجمع ، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات، فكأن المعنى مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما ، ونحوه في طي الذكر قوله صلى الله عليه وسلم «حبب الى من دنياكم ثلاث » وقيل ان لفظ ثلاث موضوعة لا أصل لها في الحديث كما صرح به بعض أئمة الحديث « الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة » فقرة عيني ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا ، والثالث مطوى انتهى باختصار .

مطلب أول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون عاما ، وفي ذلك اشكال أشار اليه جدي أي جد المؤلف قاضي القضاة شيخ الاسلام خطيب المسجد الحرام فخر الدين أبو بكر بن علي بن ظهيرة الشافعي تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته في منسكه المسمى بشفاء الغليل في حج بيت الله الخليل وهو ان مسجد مكة بناه ابراهيم عليه السلام بنص القرآن « واذ يرفع ابراهيم » الآية . والمسجد الاقصى بناه سليمان كما جاء في حديث ابن عمر أخرجه النسائي باسناد صحيح . وبين ابراهيم وسليمان زمان طويل يزيد على ألف سنة كما قاله أهل التواريخ فكيف قال في الحديث بينهما أربعون سنة ، والجواب عن ذلك بأنه يحتمل أن ابراهيم وسليمان انما جددا

ما بناه غيرها كما سيأتى آنفا من أن أول من بنى البيت آدم ، فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاما . ويجوز أن تكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت باذن من الله تبارك وتعالى ، فعلى هذه الأقاويل يكون قوله تعالى إن أول بيت وضع على ظاهره وهو الذى عليه جمهور العلماء وصححه النووى . انتهى بمعناه . ومن ذلك قوله تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » المراد بالبيت الكعبة لأنه غلب عليها كالنجم للثريا ، ومثابة قال النسفى مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه . وأمنا موضع أمن فان الجانى يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج ، وهو دليل لنا فى الملتجىء الى الحرم انتهى . وأصل الثوب لغة الرجوع ومن ذلك قوله تعالى عقب هذه الآية « وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين » الآية ، المعنى طهراه من الأوثان والأنجاس والخبائث كلها . والمراد بالطائفين الدائرون حوله ، وبالعاكفين قيل المجاورون الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يبرحون . وقيل المعتكفون . وقيل الطائفون النزاع اليه من البلاد . والعاكفون المقيمون عنده من أهل مكة .

مطلب قبلته صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك قوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها » ثم قوله « فلنولينك قبلة ترضاها » الآيات . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة . قال النسفى أى وما جعلنا القبلة التى

نحب أن نستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد فقد ارتد عن الاسلام عند تحويل القبلة جماعة انتهى . والمراد بقوله شطر المسجد الحرام بمعنى المحرم هو الكعبة . قال الكواشي : وذكر النسفي أن المراد جهته وسمته أي جعل تولية الوجه تلقاء المسجد وشطره نصب على الظرف أي نحوه لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائي . وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين انتهى . وقوله (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق) قال الزمخشري أي أن التحويل الى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصلي الى القبلتين .

مطلب تحويل القبلة

فائدة قال العلامة شهاب الدين أبو الفضل بن العماد الأقفهسي في الدرة المضوئة في هجرة خير البرية . كان تحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة . ثم قال قال النووي ناقلا عن محمد بن حبيب الهاشمي حولت القبلة في ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان كان النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فحانت صلاة الظهر في منازل بني سلمة بكسر اللام فصلى بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبلتين الى بيت المقدس ثم أمر وهو في الصلاة باستقبال الكعبة وهو راكع في الثالثة فاستدار واستدارت الصفوف خلفه صلى الله عليه وسلم فأتم الصلاة فسمي مسجد القبلتين . وكان صلى الله

عليه وسلم مأمورا بالصلاة إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة ... بعد ... ستة عشر شهرا أو سبعة عشر . ثم قال أعنى ابن العماد : قول النووى إنه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا باستقبال بيت المقدس مدة مقامه بمكة قد جزم البغوى بخلافه فقال فى تفسير قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك » الآية ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمره الله تعالى أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مما يجدون من نعته فى التوراة ، فصلى إليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر وكان يحب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة إبراهيم . وقال مجاهد كان يحب ذلك من أجل أن اليهود كانوا يقولون يخالفنا ويصلى إلى قبلتنا فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل : وددت لو حولنى الله إلى الكعبة ، فقال له سل ربك فجعل صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء ، فأنزل الله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » الآيات انتهى بنصه . وما جزم به البغوى من أنه عليه السلام كان يصلى بمكة إلى الكعبة هو المعتمد وعليه أكثر المفسرين وأصحاب السير .

مطلب المختار أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا بشرع من قبله بعد البعثة

واختلف العلماء هل كان ذلك باجتهاده أو بأمر من ربه وهذا تفريع على الأصح من أنه عليه السلام لم يتعبد بشرع غيره بعد البعثة . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة « ولا آمين البيت الحرام » أى

لا تحلوا من قصده من الحجاج والعمار ، واحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها ، قاله النسفي . أقول وتوجيهه أن المتنسكين إنما أرادوا تعظيم هذا البيت الشرف وجزيل الثواب ، وفى الاحالة ابطال ذلك والله الموفق . وفى تفسير الكواشى ولا آمين أى ولا قتال قاصدين البيت ، فن قيل هذا عم فى المؤمنين والمشركين أم انتسخ الحكم فى حق المشركين ؟ فالجواب أنه منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو المشهور .

مطلب عن الحسن وغيره ليس فى المائدة منسوخ

وعن الحسن وغيره ليس فى المائدة منسوخ . ومن ذلك قوله تعالى فى السورة المذكورة «هدياً بالغ الكعبة» فبالغ الكعبة صفة لهدياً وجاز الوصف بذلك لأن إضافته غير حقيقية كما صرح به النحاة . ومعنى بلوغ الكعبة أن يذبح بالحرم وهو فناء المسجد الذى هو فناء للبيت كل ذلك تعظيما لهذا البيت أن لا تقام هذه القربة إلا فى حرمه ، ولا يجزئ الذبح فى غيره (فروع * الأول) الهدى المذكور فى الآية هو جزاء الصيد ويجب على المحرم عندنا بقتله الصيد سواء كان ناسيا أو عامداً أو مبتدئا وهو الذي قتل الصيد مرة أو عائداً وهو الذى قتل مرة بعد أخرى ، بل العائد عندنا أشد جناية خلافاً لمن يقول لا جزاء على العائد لأن الله تعالى قال «ومن عاد فينتقم الله منه» جعل كل جزاء العائد الانتقام فى الآخرة فلا تجب الكفارة . والجواب عنه بأن وجوب الكفارة فى العائد مستفاد

من الآية بدلالة النص . والمراد من قوله ومن عاد العود مستحلا . الثانى يجب الجزاء على المحرم عندنا بالدلالة أيضاً خلافاً للشافعى لأنه يقول الجزاء متعلق بالقتل فى قوله تعالى « ومن قتله منكم متعمداً » الآية والدلالة ليست بقتل ولنا قوله صلى الله عليه وسلم هل أشرتم هل دللتم الحديث مع أن فى الدلالة عليه تفويتاً لأمنه وهو قتل معنى . الثالث يجوز التصدق بلحوم الهدايا عندنا على مساكين الحرم وغيرهم سواء كان التصدق بالحرم أو حيث شاء بعد أن حصلت الاراقة فى الحرم ، وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز التصدق إلا بالحرم على مساكينه فقط نص عليه ابن خليل فى منسكه ، ومن ذلك قوله عقيب الآية المتقدمة آنفا « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » أى قواماً لهم فى أمر دينهم ودنياهم فلا يزال فى الأرض دين ما حجت وعندها المعاش والمكاسب كذا فى منسك ابن جماعة . قال الجد تغشاه الله برحمته بعد ذكر هذه الآية أى ركز فى قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى على أحد وصارت وازعاً لهم من الأذى وهم فى الجاهلية الجهلاء لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم بعضاً فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك . هذا مع تنافسهم وتحاسدهم ومعاداتهم وأخذهم بالثأر ، وبالجملة فهو سبب القيام مصالح الناس فى أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم ، أما فى أمر الدين فان به يقوم الحج وتتم المناسك . وأما فى أمر الدنيا فانه تجبى إليه ثمرات كل شىء ويأمنون فيه ، وأما فى الآخرة فلأن المناسك لا تقام إلا عنده وهى سبب علو الدرجات وتكفير الخطيآت

وزيادة الكرامات والمثوبات انتهى . بحروفه . وروى عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية ثم قال : لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة .

مطلب وجه تسمية البيت الحرام كعبة

وفي تسمية البيت كعبة أقوال فقيل لتكعبه أي تربعه ، يقال برد مكعب إذا طوى مربعاً ، وقيل لعلوه ونتوئه ، ومنه سمى الكعب كعباً لنتوئه وخروجه من جانب القدم يقال تكعبت الجارية إذا خرج ثدياها وقيل لانفرادها عن البيوت وارتفاعها . وذكر الازرقي رحمه الله في تاريخه أن الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة .

مطلب أول من بنى بيتا مربعا بمكة حميد بن زهير

وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير فقالت قريش : ربع حميد بيتاً إما حياة وإما موتاً . وذكر أيضاً أن شيبة بن عثمان كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه . ونقل عن جده عن يوسف ابن ماهك قال كنت جالساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص في ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت على أبي قبيس مشرف على الكعبة فقال أبيت ذلك قلت نعم ، فقال إذا رأيت بيوت مكة قد علت أخشبيها كذا وفجرت بطونها أنهاراً فقد أزف الأمر أي قرب . وذكر أن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لما بنى داره التي بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر القوام أن لا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة اعظاماً لها . وأن الدور التي كانت تشرف على الكعبة

هدمت وخربت إلا دار العباس هذه فانها على حالها الى اليوم انتهى بمعناه . وأخرج ابن شبة البصرى فى مؤلفه أخبار مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم مكة رأى حول الكعبة بناء قد أشرف عليها فأمر بهدمه وقال : ليس لكم أن تبنوا حولها مايشرف عليها انتهى . أقول اذا كانت العلة فى عدم العلو والاشراف هى الاعظام فارتفاع البيوت الموجودة الآن المحيطة بالمسجد تؤذن بتركه فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ويحتج: التطاول فى البنيان من علامات الساعة على حد قوله صلى الله عليه وسلم «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » لأن المراد من الحديث الاخبار بتغير الأحوال وتبدلها كما قال الاشبيلى . وفيه دليل على كراهة ما لا تدعو الحاجة اليه من تطويل البناء وتشييده . ومات صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بناء ولا طوله انتهى . وما تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص آنفاً مشعر بذلك حيث قال فقد أزف الأمر .

(وأما تسميته بالبيت الحرام) فلأن الله تعالى حرمه وعظمه وحرم أن يصاد صيده وأن يختلى خلاه وأن يعضد شجره وأن يتعرض له بسوء ثم المراد بتحريم البيت سائر الحرم على حد قوله تعالى هدياً بالغ الكعبة فان المراد بها الحرم كما تقدم آنفاً . ومن ذلك قوله تعالى «وطهر بيتى للطائفين والقائمين أى المقيمين بمكة وناهيك بهذه الاضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه الرافعة لقدره . وكفى ذلك شرفاً وفخراً ، وبه علا على سائر البقاع عظمة وقدراً ، وما أحسن ماقيل فى ذلك المعنى :

كفى شرفا أنى مضاف اليكم وأنى بكم أدعى وأدعى وأعرف

وهى من السر فى إقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه، وأنشد فى المعنى :

لا يرجع الطرف منه حين يبصره حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

ومن ذلك قوله تعالى « وليطوفوا بالبيت العتيق » والمراد به طواف الزيارة الذى هو ركن فى الحج باتفاق الأئمة الأربعة ولا يحصل تمام التحلل إلا به وهو آخر فرائض الحج الثلاثة . ثم قال قال النسفى: وهو مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء .

مطلب تسمية الكعبة البيت العتيق

واختلف فى تسميته بالعتيق فقيل لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار . وقيل لقدمه لأنه أول بيت وضع كما تقدم . والعتيق القديم قاله الحسن . وقيل لأنه كريم على الله لأنه لم يجر عليه ملك لأحد من خلق الله فلا يقال بيت فلان وإنما يقال بيت الله . وقيل لأنه أعتق من الغرق لما أنه رفع زمن الطوفان . وقيل لشرفه سمى عتيقا . وقيل لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب . وقيل لأنه يعتق زائره من النار وهو قريب مما قبله . وقيل غير ذلك . والقول الأول هو المعتمد وفى هذا من التنويه بشأنه ما لا يخفى (استطراد) قوله بعد هذه الآية « ذلك ومن يعظم حرمات الله » الآية قال النسفى الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ، فيحتمل أن يكون عاما فى جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما

يتعلق بالحج وقيل حرمات الله خمس : البيت الحرام ، والمشعر الحرام والشهر الحرام ، والبلد الحرام ، والمسجد الحرام . أقول فعلى هذا القول يكون التعظيم خاصاً بهذه الخمس والله الموفق . وذكر الزمخشري بدل المشعر الحرم حتى يحل ، ومن ذلك قوله تعالى «ثم محلها الى البيت العتيق» أي عنده والمراد الحرم الذي هو حريم البيت كقوله « هدياً بالغ الكعبة » كما تقدم والمعنى واحد فلا نطول (نكتة) ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال آنفاً ، والمعنى إن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دينكم ودنياكم وأعظمها وأبعدها شوطاً في النفع محلها الى البيت العتيق كذا في الكشاف . وهذا بعض ماورد من الآيات بنصها على فضل هذا البيت وشرفه . وأما ماذكره الله ضمن الآيات على سبيل الكناية فكثير كما ذكره المفسرون ، وأما الأحاديث والآثار فأكثر من أن تحصى من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا البيت دعامة الاسلام ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر زائراً كان مضموناً على الله إن رده رده بأجر وغنيمة وان قبضه أن يدخله الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم «من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة » وعنه صلى الله عليه وسلم قال « لاتزال هذه الأمة بخير ماعظموا هذه الحرمة حق تعظيمها» يعني الكعبة والحرم «فاذا ضيعوا ذلك هلكوا » أخرجه ابن ماجه وسنده حسن الى غير ذلك من الأحاديث والآثار كما ستأتي مفرقة في الأبواب الآتية في مظانها ان شاء الله تعالى مع مزيد بيان وايضاح . والله أعلم

الباب الثاني

فيما ورد من الآيات الشريفة والعجائب الباهرة المنيفة
في زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء في فضله وما
ورد في فضل المقام وما السبب في تسميته بالمقام وفيه فصلان

الأول : في ذكر الحجر الأسود وما ورد في فضله وشرفه وما سبب تسميته بالأسود ، والفصل الثاني في فضل الملتزم

اعلم أن لهذا البيت المعظم زاده الله تشريفا وتعظيما آيات كثيرة وعجائب غزيرة تدل على شرفه وفضله منها مقام ابراهيم صلوات الله عليه ، وهو لغة موضع قدم القائم ، ومقام ابراهيم هو الحجر الذي وقف عليه الخليل وفي سبب وقوفه عليه أقوال : الأول انه وقف عليه لبناء البيت قاله سعيد بن جبير . الثاني انه جاء يطلب ابنه اسماعيل عليهما السلام فلم يجده فقالت زوجته انزل فأبى فقالت دعني أغسل رأسك فأتته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته وقد غابت رجله فيه فوضعته تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله الثانية فيه فجعله الله من الشعائر . وهذا القول منسوب الى ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما . الثالث . انه وقف عليه للاذان للحج ، وذكر الأزرقي في تاريخه انه لما فرغ من التأذين جعل المقام قبلة فكان يصلي اليه مستقبل الباب وذكر

أيضا أن ذرع المقام ذراع وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع. وذكر القاضي عز الدين بن جماعة فى منسكه أنه حرر مقدار ارتفاعه من الأرض فكان نصف ذراع وربع وثمن بذراع القماش المستعمل بمصر فى زمنه. وذكر أن أعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع وموضع غوص القدمين فى المقام ملبس بفضة وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط بالذراع المتقدم. أقول لامناقضة بين ماذكره الازرق والقاضى عز الدين فىذرع المقام، ويمكن الجمع بأن ذرع الازرق كان باليد وذرع القاضى عز الدين بالذراع الحديد حسبما تقدم وبين ذراع اليد والحديد فرق نحو ثمن أو قريب منه بحسب الاشخاص فتأمل انتهى. وأخرج الأزرق أيضاً أن السيول كانت تدخل المسجد الحرام فربما رفعت المقام عن موضعه حتى جاء سيل أم نهشل الذى ماتت فيه فاحتمل المقام فذهب به فوجد بأسفل مكة فأتى به فربط الى أستار الكعبة فى وجهها وكتب بذلك الى عمر فأقبل فزعاً فدخل معتمراً فى رمضان وقد عفا السيل موضع المقام فدعا الناس وسألهم عن موضعه فقال المطلب بن أبى وداعة عندى علم ذلك كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه الى الركن والى باب الحجر والى زمزم بمقاط وهو عندى فى البيت فقال له عمر اجلس عندى وارسل اليها فأرسل المطلب فأتى بها فوجدها عمر كما قال فشاور الناس عمر واستثبت فقالوا هذا موضعه فأمر باحكام ربطه تحته ثم حوله فهو فى مكانه الى هذا اليوم انتهى بمعناه. ومكانه هذا هو مكانه فى زمن الخليل عليه السلام

كما قاله الامام مالك فى المدونة. ثم قال وكانت قريش فى الجاهلية ألصقته بالبيت خوفاً عليه من السيول ، واستمر كذلك فى عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر رضى الله عنه ، فلما ولى عمر رضى الله عنه رده الى موضعه الآن كما سمعت انتهى ، وأخرج الأزرقى عن ابن أبى مليكة أنه قال موضع المقام هذا الذى هو فيه اليوم هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر ثم رد وجعل فى وجهة الكعبة حتى قدم عمر فرده وفى هذا مناقضة لما قاله مالك رضى الله عنه فى المدونة والله أعلم بالحقائق. وصحح ابن جماعة ماقاله مالك ، ويروى أن رجلاً يهودياً أو نصرانياً كان بمكة يقال له جريج فأسلم ففقد المقام ذات ليلة فوجد عنده أراد أن يخرجه الى ملك الروم فأخذ منه ثم قتل ، ونقل العلامة ابن خليل فى منسكه الكبير أن الحجرين الكبيرين المفروشين خلف المقام اللذين يقف المصلى عليهما قد صلى عليهما بعض الصحابة

مطلب تقبيل المقام واستلامه ليس بسنة

وقال أيضاً إن مسح المقام ومسه وتقبيله ليس سنة انما أمرنا بالصلاة عنده ، وروى أن ابن الزبير رأى قوماً يمسحون المقام فقال لم تؤمروا بالمسح انما أمرتم بالصلاة عنده انتهى

مطلب مهم

(بحث) كون المسح والتقبيل ليس سنة لايمنع من الاتيان بهما على وجه التبرك فمن فعل ذلك تبركاً فالظاهر أنه لابأس به فتأمل والله الموفق

وروى أن عمر رضي الله عنه قال : يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ؟ فقال عليه السلام : لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزل قوله : واتخذوا الآية وهذا أحد المواضع التي وافق فيها عمر ربه

مطلب في ما يتعلق بالحجر الاسود

(ومنها) الحجر الاسود وحفظه وهو يمين الله في الارض يشهد لمن استلمه بحق وانه من الجنة وسيأتي معنى كونه يمين الله وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال «استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال ياعمر ههنا تسكب العبرات » رواه ابن ماجه والحاكم . وعنه صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يدعو عند هذا الركن الأسود إلا استجاب الله له» أخرجه القاضي عياض في الشفاء

مطلب الحجر الاسود والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : من فاوض الحجر الاسود فانما يفاوض يد الرحمة ، ومعنى فاوض لامس كذا ذكره العلامة ابن جماعة. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مسند ظهره الى الكعبة «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب » وقد فضل الله بعض الاحجار على بعض كما فضل بعض البقاع والايام والبلدان على بعض . وفي رواية ولولا ما مسهما من خطايا بني آدم لاضاءا ما بين المشرق والمغرب . وفي رواية لابن أبي شيبة مابين السماء والارض وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي . وعن ابن عباس رضي الله عنهما

عنه صلى الله عليه وسلم «نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم» حديث حسن صحيح ، وفى رواية خطايا أهل الشرك وفى رواية لابن أبى شيبة من الثلج، وفى رواية كأنه لؤلؤة بيضاء ، وفى رواية كأنه ياقوتة بيضاء ، وفى رواية للازرق وانه لأشد بياضاً من الفضة. وقال القاضى عز الدين بن جماعة وقد رأيته أول حجاتى سنة ثمان وسبعمائة وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد ثم رأيت البياض بعد ذلك قد نقص نقصاً بيناً انتهى . وقال العلامة ابن خليل فى منسكه الكبير : وقد أدركت فى الحجر الاسود ثلاث مواضع بيضا نقية فى الناحية التى الى باب الكعبة المعظمة احداها وهى أكبرهن قدرحبة الذرة الكبيرة والاخرى الى جنبها وهى أصغر منها ، والثالثة الى جنب الثانية وهى أصغر من الثانية تأتى قدرحبة الدخن ثم انى أتصفح تلك النقط فاذا هى كل وقت فى نقص انتهى بنصه

(لطيفة) أحسن ماذكر فى تسويده بالخطايا انه للاعتبار ليعلم أن الخطايا اذا أثرت فى الحجر فتأثيرها فى القلوب أعظم وأوقع فوجب لذلك أن تجتنب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال « الحجر الاسود يمين الله فى أرضه فمن لم يدرك بيعة النبى صلى الله عليه وسلم فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله» ومعنى كونه يمين الله فى أرضه ان من صافحه كان له عند الله عهد . وجرت العادة بان العهد الذى يعقده الملك لمن يريد موالاته والاختصاص به انما هو بالمصافحة فخاطبهم بما يعهدونه قاله الخطابى . ونقل عن المحب الطبرى ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد

قبل يمينه فنزل الحجر منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى ، وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قبل الحجر ثم انه قال : والله لقد علمت أنك حجر لاتضر ولا تنفع ، قال بعض الفضلاء الا باذن ، ولو لا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك وقرأ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة . وروى أنه لما قال ذلك قال له أبىّ بن كعب انه يضر وينفع انه يأتى يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن قبله واستلمه فهذه منقبة ، وفى رواية أيضاً ان على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لعمر : بلى ياأمير المؤمنين انه يضر وينفع وان الله لما أخذ المواثيق على آدم كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالحجر الأسود يوم القيامة وله لسان يشهد لمن قبله بالتوحيد ، فقال عمر رضى الله عنه لا خير فى عيش قوم لست فيهم ياأبا الحسن ، وفى رواية لاأحيانى الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبى طالب حياً ، وفى أخرى للازرق أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم ياأبا الحسن .

﴿ فوائد ﴾ الأولى : انما قال عمر رضى الله عنه ذلك لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله فى الجاهلية فأراد عمر رضى الله عنه أن يعرف الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ان الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية فى الأوثان كذا نقله الجد عن المحب الطبرى .

الثانية : أن قول عمر هذا فيه التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهى قاعدة عظيمة فى اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم تعلم الحكمة فيه ، قال الشيخ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى : وفى قول عمر رضى الله عنه دليل على كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله ، وأما قول الشافعى وأيما قبل من البيت فحسن (١) فلم يرد به الاستحباب لأن المباح من جملة الحسن عند الأصوليين انتهى . وأجيب عن الشافعى بأن معنى قوله فحسن ان ذلك غير مكروه ولا مستحب كذا قاله الجد رحمه الله

الثالثة : قال السهيلى الحكمة فى كون خطايا بنى آدم سودته (٢) دون غيره من حجارة الكعبة ان العهد الذى فيه هى الفطرة التى فطر الناس عليها فى توحيد الله . فكل مولود يولد على الفطرة وعلى ذلك فلولا أن أبويه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال من العهد فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسب فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان أبيض لما ولد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد بياضه وكانت الخطايا سبباً فى ذلك حكمة من الله تعالى انتهى

الرابعة : قد اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم آنفاً فقال اذا سودته الخطايا ينبغى أن تبيضه الطاعات ، أجاب ابن قتيبة

---

(١) تنبيه على قول الشافعى وأيما قبل من البيت فحسن
(٢) تنبيه على الحكمة فى تسويد الخطايا للحجر الأسود فقط

عن ذلك بأنه لو شاء الله لكان، ثم قال أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ به ولا ينصبغ ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ به

مطلب الحكمة فى تغيير الحجر الاسود الى السواد

الخامسة : روى عن ابن عباس أنه قال : انما غير بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا الى زينة الجنة . قال المحب الطبرى ان ثبت هذا فهو الجواب قال ابن حجر أخرجه الجندى فى فضائل مكة باسناد ضعيف ، وقيل ان شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين فى الجاهلية والاسلام وسيأتى الكلام فى سبب الحريق ام بعد ان شاء الله تعالى

مطلب هل كان الحجر يسمى أسود قبل اسوداده حال كونه أبيض من اللبن أم لا

السادسة : قال المجد رحمه الله فان قلت هل كان الحجر يسمى بالاسود قبل اسوداده حال كونه أشد بياضاً من اللبن أولا وانما تجدد له هذا الاسم بعد اسوداده . قلت لم أر فى ذلك لأحد نقلا ، ويحتمل أنه كان يسمى بذلك لما فيه من السودد فيكون المراد بقولهم أسود أى ذو سودد ، ويحتمل أنه لم يسم بذلك الا بعد اسوداده والله أعلم انتهى

مطلب خواص الحجر

السابعة : من خواص الحجر الأسود أنه اذا جعل فى الماء لايغرق بل يطفو ويرتفع واذا جعل فى النار لايحمى ولا يعمل فيه النار بل يبقى باردا على حاله كذا نقله الطرسوسى (ومن آيات الحجر) أنه أزيل عن مكانه غير مرة ثم أعاده الله اليه. ووقع ذلك من جرهم واياد والعمالقة وخزاعة والقرامطة، وآخره من

أزاله منهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي وذلك انه في موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة حصل منه في يوم التروية أذى عام وذلك انه نهب الحاج وسفك الدماء حتى سال بها الوادى ثم رمى ببعض القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت ، وأصعد رجلا على أعلى البيت ليقلع الميزاب فتردى على رأسه ومات ، ثم انصرف ومعه الحجر الأسود فعلقه على الأسطوانة السابعة من جامع الكوفة لاعتقاده الفاسد وزعم أن الحج ينتقل اليها ، فاستمر عنده الى أن اشتراه منه المطيع لله أبو القاسم وقيل أبو العباس الفضل بن المقتدر بثلاثين ألف دينار ، ثم أعيد الى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت مدة مكثه عندهم اثنان وعشرون سنة الا شهرا ، ولما ذهب به هلك تحته أربعون جملا ولما أعيد الى مكة حمل على قعود أعجف فسمن تحته . وعن مجاهد أنه قال : يأتى الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان بأعلى أصواتهما يشهدان لمن وافاهما بالوفاء . وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله يعيد الحجر الى ماخلقه أول مرة» أخرجه الازرق وأخرج ابن شيبة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يرفع الحجر الأسود يوم الاثنين ، وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطاً» وروى أن الحجر الأسود كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث

﴿ فروع ﴾ الأول : السنة في تقبيل الحجر الأسود أن يكون بلا تصويت ولا تطنين ولا لحس باللسان ، ثم ان أمكنه أن يسجد عليه فعل

لأنه جائز عندنا وعند الشافعي وأحمد لأن فيه تقبيلا وزيادة سجود لله تعالى ، وقال مالك ان السجود عليه بدعة ، ثم ذلك مشروط بعدم الايذاء والزحام والمدافعة لأن التقبيل سنة وترك الأذى عن الناس فريضة فلا يجوز الاتيان بالسنة مع ترك الفريضة ولأن له خلفاً وهو الاشارة

الثاني : اذا كان الحجر مطيباً فقبله المحرم فلزق الطيب بفمه أو يده أو بأكثرهما لزمه الدم وإلا فصدقة وهذا عندنا ، وعند الشافعي لايشرع له التقبيل ولا المس

الثالث : يستحب لمن أكل بصلا أو ثوما أو ماله رائحة كريهة وأراد تقبيل الحجر أن ينظف فاه بسواك ونحوه مما يذهب الرائحة فان كان به بخر لايمكن زواله فهو معذور

الرابع : لو أزيل الحجر من موضعه والعياذ بالله تعالى استلم ركنه وقبله وسجد عليه كذا نقله القاضي عز الدين بن جماعة الدارمي من الشافعية ، واستشكله بعض علمائهم ووجهه الجد رحمه الله وقال ان الخصوصية التي تثبت للحجر من كونه يمين الله في الأرض ويشهد لمن استلمه بحق وتقبيله عليه السلام له غير موجودة في الركن الذي هو فيه انتهى . أقول لم أقف على نقل لأصحابنا في ذلك وما ذكره الجد من التوجيه في غاية القبول ، وربما يوافق أصولنا لأنه حيث ثبت هذا الحكم للحجر اقتصر عليه واختص به دون الركن فلا ينتقل الحكم الى الركن ولا يقوم بدلا عن الحجر لأن من أصلنا أن نصب البدل بالرأي لايجوز أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لأجل النية

فينبغى الجواز لانه محل البداءة فتأمل انتهى

﴿ فائدتان ﴾ الأولى : قد تقدم فى الفرع الأول أن الزحام المفضى الى الايذاء عند استلام الحجر ممنوع ، وقد ثبت عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنه أنه كان يزاحم على الحجر حتى يدمى أنفه ولا يترك تقبيله فالجواب أنه كان مجتهدا وأن مذهبه أفضلية المزاحمة على الحجر وان أفضت الى الأذى

مطلب أول من استلم الركن من الائمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير

الثانية : أول من استلم الركن الاسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير فاستحسنت ذلك الولاة بعده فاتبعته أخرجه الأزرقى

﴿ فصل فى فضل الركن اليمانى وذكر شىء مما ورد فيه ﴾

روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما مررت بالركن اليمانى الا وعنده ملك ينادى آمين آمين فاذا مررتم به فقولوا اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال «على الركن اليمانى ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما وان على الحجر الأسود ملا يحصى» أخرجه الازرقى وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «وكل بالركن اليمانى سبعون ملكا من قال اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين» . قال العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله ولا تضاد بين الاحاديث على تقدير الصحة اذ يحتمل أن السبعين موكلون به وما يكلموا

التأمين وإنما يؤمنون عند سماع الدعاء والملكان كأنما قولا آمين ورواية مالك محمولة على الجنس انتهى بمعناه وروى الازرق عن عطاء قال قيل يارسول الله انك تكثر من استلام الركن اليماني قال ما أتيت عنده قط الا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن يستلمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند « الركن اليماني باب من أبواب الجنة والركن الاسود من أبواب الجنة » وأخرج الازرق عن مجاهد أنه قال « ما من انسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو الا استجيب له وان بين اليماني والركن الاسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله البيت » وفي رسالة الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما بين الركن اليماني الى الركن الأسود قبور سبعين نبيا » وفي منسك ابن جماعة « ما بين الركن والمقام وزمزم قبور نحو من ألف نبي » ونقل عن الشعبي أنه قال رأيت عجبا : كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان فقالوا بعد أن فرغوا من حديثهم ليقم رجل رجل فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله تعالى حاجته فانه يعطى من سعة ثم قالوا لعبد الله بن الزبير قم أولا فانك أول مولود في الهجرة فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة وجاء وجلس . ثم قام أخوه مصعب فأخذ بالركن اليماني فقال : اللهم انك رب كل شيء واليك كل شيء أسألك بقدرتك على كل

شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين . وجاء وجلس . ثم قام عبد الملك بن مروان فأخذ بالركن وقال : اللهم رب السموات السبع والأرض ذات النبات بعد القفر أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتني حتى توليني شرق الأرض وغربها ولا ينازعني أحد الا أتيت برأسه ثم جاء فجلس . ثم قام عبد الله بن عمر حتى أخذ بالركن ثم قال : اللهم يارحمن يارحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد وقد أعطي ما سأل وبشر عبد الله بن عمر بالجنة (أقول) لقائل أن يقول ما الدليل على وجه البشرى ولم أر أحدا من المؤلفين في هذا المعنى ذكر شيئا مما يستدل به على ذلك ولا تعرض له فيما وقفت عليه . ويحتمل أن يكون في ذلك وجهان (الأول) أن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان قد كف بصره بعد ذلك وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلي بذلك بالجنة كما في صحيح البخاري (الثاني) ان الثلاثة لما أعطوا ما سألوه كان ذلك أدل دليل على اجابة دعاء الجميع إذ هو اللائق بكرم الله وسعة عطائه ، وكان سيدنا عبد الله رضي الله عنه من الورع والزهد والصلاح بالمكانة التي لا تجهل كما في مناقبه . وفي منهاج التائبين : من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الركن اليماني ليستلمه خاض في الرحمة فإذا استلمه غمرته الرحمة

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود روضة من رياض الجنة»

﴿ فرع ﴾ استلام الركن اليمانى عندنا حسن وتركه لايضر لانه عليه السلام كان يستلمه مرة ويتركه أخرى وهو الصحيح كذا نقله الكرمانى من أصحابنا وعن محمد انه يستلمه ويقبل يده وفى رواية عنه أنه يقبله وعند الشافعى رحمه الله يستلم الركن اليمانى قولا واحد

مطلب فى كيفية استلام الركن اليمانى هل يقبل يده ثم ينقلها اليه او يضع يده عليه ثم يقبلها

لكن اختلف أصحابه فى كيفية استلامه قال بعضهم يقبل يده أولا ثم يضعها على الركن لينقل القبلة اليه . وقال بعضهم يضع اليد على الركن أولا ثم يقبلها ليكون ناقلا بركته الى يده ونفسه وهو الاصح عندهم . وعند مالك رحمه الله يستلم الركن اليمانى ولا يقبل يده وانما يضعها على فيه . وعند أحمد رحمه الله أنه يستلمه بيده ولا يقبله . وفى تقبيل يده خلاف عند أصحابه كذا نقله الشيخ عز الدين بن جماعة . ونقل الكرمانى من أصحابنا رواية عن أحمد أنه يقبله وفى الكل ورد النقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم

﴿ وأما الركنان الآخران ﴾ اللذان يليان الحجر فمذهب أهل العلم لا يستلمان كذا نقل عن كثير من الصحابة منهم عمر وابنه ومعاوية

فصل فى فضل الملتزم والدعاء فيه

انما سمى بذلك لان الناس يلتزمونه ويدعون عنده وهو من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء . روى القاضى عياض فى الشفاء بقراءته على القاضى الحافظ أبى على رحمه الله عن أبى العباس العذرى عن أسامة محمد الهروى عن الحسن بن رشيق عن أبى الحسن محمد بن الحسن بن راشد عن أبى بكر محمد بن ادريس عن الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما دعا أحد بشىء فى هذا الملتزم الا استجيب له » قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى . وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار الا استجيب لى . وقال الحميدى وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لى . وقال محمد بن ادريس وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى . وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى . قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه

شيئاً وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن ابن رشيق الا استجيب لى في أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لى في أمر الآخرة . قال العذرى وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هـذا من أبي أسامة الا استجيب لى . قال أبو على وأنا فقـد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة فاستجيب لى بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لى بقيتها انتهى (يقول) الحقير مؤلف هـذه الفضائل وجامعها قد دعوت الله فيه بأشياء فاستجيب لى بفضل الله وأنا مستمر على الدعاء في أمور أخر منها حسن الخاتمة وأرجوا الله اجابة الدعاء بحصولها. وذكر القاضى عز الدين في منسكه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال من التزم الكعبة ودعا استجيب له ثم قال فيجوز أن يكون على عمومه ويجوز أن يكون محمولا على الملتزم انتهى

ذكر معرفة الملتزم والمستجاب والمتعوذ والمدعى والحطيم

﴿ أما الملتزم ﴾ فهو مابين الحجر الأسود وباب الكعبة كما ثبت عن ابن عباس رضى الله عنه

﴿ وأما المستجاب ﴾ فهو مابين الركن اليمانى والباب المسدود فى دبر الكعبة والدعاء عنده مستجاب كما رواه ابن أبى الدنيا

﴿ وأما الحطيم ﴾ فهو مابين الحجر الأسود ومقام ابراهيم وزمزم وحجر اسماعيل . وسمى بذلك لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان ويستجاب فيها الدعاء للمظلوم على الظالم فقـل من حلف هنالك كاذبا

الا عجلت له العقوبة وكان ذلك يحجز الناس عن المظالم. وقيل لان الشاذروان هو الحطيم لان البيت رفع بناؤه وترك هو بالأرض محطوما. والحطيم عندنا هو الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم وهو الموضع الذى نصب فيه ميزاب البيت وانما سمى بالحطيم لأنه حطم من البيت أى كسر كذا فى كتبنا

﴿ وأما المتعوذ والمدعى ﴾ فروى عن ابن عباس أن الملتزم والمتعوذ والمدعى ما بين الحجر الاسود والباب وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أن ما بين الركن الاسود والباب. هو الملتزم وما بين الركن اليمانى والباب المسدود هو المتعوذ كأنه جعل الاول موضع رغبة والثانى موضع استعاذة وعن عمرو بن العاص أنه طاف بالبيت ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا ثم قال كذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله

مطلب دعاء آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام

وأخرج الازرقى فى تاريخه ان آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً حين نزل ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفرلى ذنوبى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى اللهم انى أسألك ايماناً يباشر قلبى ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبنى الا ما كتبت لى والرضى بما قضيت علىّ فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك ولن يدعونى بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه وكففت

عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها ثم قال فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف انتهى . قال العلامة عز الدين بن جماعة ولعله يريد سنة الطواف في العدد والا فقد ورد أن الملائكة طافت به قبل آدم عليه السلام فلعله كان بغير عدد أو بغير ذلك العدد أو أراد سنة لبنيه من بعده والله أعلم انتهى . وروى الأزرق أن ابن الزبير مر بعبد الله بن العباس وهو بين الباب والركن الأسود فقال له ليس ههنا الملتزم انما هو دبر البيت فقال ابن عباس هنالك ملتزم عجائز قريش . وذكر أيضا أن عائشة رضي الله عنها أرسلت الى أصحاب المصابيح فأطفأوها ثم طافت من وراء ستر وحجب ثلاثة أسابيع تقف بعد كل أسبوع بين الباب والحجر تدعو

مطلب الأولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما

﴿ فرع ﴾ الأولى عندنا لمن انتهى طوافه وأحب أن يلتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما بعد ذلك كذا في منسك الكرماني من أصحابنا . وذكر غيره تقديم الصلاة على الالتزام وهذا فيما عدا طواف الوداع . وأما بعده فانه عقب الصلاة والشرب من ماء زمزم يأتي الملتزم ثم يدعو فيه بما أراد ثم ينصرف القهقرى فيكون آخر عهده الالتزام . والله أعلم

عدنا الى المقصود (ومنها) بقاء بنائه الموجود الآن وبنائه ولا يبقى غيره من الأبنية هذه المدة الطويلة كما ذكره المهندسون وذلك لأن

الأرياح والأمطار قلما تواترت على بناء الا خرب وهذا البيت الشريف لم تزل الأرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليه منذ بنى والى تاريخه ولم يقع بحمد الله تغير فى بنائه ولا خلل

مطلب ما وقع فى الكعبة من الترميم

قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله : ولم أقف فى شىء من التواريخ على أن أحدا من الخلفاء ولا من دونهم غير من الكعبة شيئا مما صنعه الحجاج الى الآن الا فى الميزاب والباب وعتبته . وكذا وقع الترميم فى جدارها غير مرة وفى سقفها وسلم سطحها . ووقع أيضا فى جدارها الشامى ترميم فى شهور سنة سبعين ومائتين ، ثم فى شهور سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ثم فى شهور سنة تسع عشرة وستمائة ثم فى سنة ثمانين وستمائة ثم فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ثم قال وقد ترادفت الأخبار الآن فى وقتنا هذا فى سنة اثنتين وعشرين أن جهة الميزاب فيها ما يحتاج الى ترميم ، فاهتم لذلك سلطان الاسلام الملك المؤيد ثم حججت سنة أربع وعشرين وتأملت المكان الذى قيل عنه فلم أجده بتلك الشناعة . وقد نقض سقفها فى سنة سبع وعشرين على يدى بعض الجند فجدد لها سقفا ورخم السطح فلما كان فى سنة ثلاث وأربعين صار المطر اذا نزل ينزل الى داخل الكعبة أشد مما كان أولا فأداه رأيه الفاسد الى أن نقض السقف مرة أخرى وسد ما كان فى السطح من الطاقات التى كان يدخل منها الضوء الى الكعبة ولزم من ذلك امتهان الكعبة بل صار العمال يصعدون فيها بغير أدب ، فغار بعض المجاورين ، فكتب

الى القاهرة يشكو ذلك فبلغ السلطان الظاهر فأنكر أن يكون أمر بذلك وجهز بعض الجند لكشف ذلك فتعصب للأول من جاور واجتمع الباقون رغبة ورهبة فكتبوا محضرا بانه مافعل شيئاً الا عن ملأ منهم وأن كل مافعله مصلحة فسكن غيظ السلطان وغطى عليه الأمر . وقال أيضاً ومما يتعجب منه أنه لم يبق الاحتياج فى الكعبة الى الاصلاح الا فيما صنعه الحجاج اما من الجدار الذى بناه فى الجهة الشامية واما فى السلم الذى جدده للسطح والعتبة ، وما عدا ذلك مما وقع فيها هو لزيادة محضة كالرخام أو التحسين كالباب والميزاب . قال الجد نور الله ضريحه : وما ذكره من نقض سقفها سنة سبع وعشرين على يد بعض الجند وأنه جدد لها سقفاً سبق قلم وصوابه سنة ثمان وثلاثين والله أعلم انتهى

مطلب عقوبة من أخذ شيئا من مال الكعبة ويسمى بالأبرق

(ومنها) أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة واشتد عليه النزع جداً حتى مكث أياما ينزع نزعا شديدا فقال له أبوه لعلك أصبت من الأبرق شيئاً يعنى مال الكعبة ، فقال أربعمائة دينار ، فأشهد أبوه أن عليه للكعبة أربعمائة دينار فسرى عن الفتى ثم لم يلبث أن مات

مطلب اذا وضع مفتاح البيت فى فم الصغير تكلم سريعا

(ومنها) أن مفتاح بابها اذا وضع فى فم الصغير الذى ثقل لسانه عن الكلام تكلم سريعا ذكره الفاكهى وقال ان ذلك مجرب

مطلب دخال البيت يصعد مستويا

(ومنها) ماذكره ابن الحاج ان دخال البيت لايذهب يميناً

ولا شمالا ولا أمم ولا خلف بل يصعد مستويا الى السماء . قال الفاسى ولعل المراد بالدخن دخان ماتجمر به الكعبة والله أعلم

مطلب هيبته وتعظيمه فى القلوب

(ومنها) هيبته وتعظيمه فى قلوب الناس وكف الجبابرة عنه على مر الدهور والأعصار وادعان نفوس العرب لتوقير هذه البقعة بدون ناه ولا زاجر ، روى أن الحجاج بن يوسف لما نصب المنجنيق على أبى قبيس بالحجارة والنيران واشتعلت النار فى أستار الكعبة جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد ويرى البرق فمطرت فلم يجاوز مطرها الكعبة والمطاف فأطفأت النار وأرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه . قال عكرمة وأحسب أنها احترقت تحته أربعة رجال فقال الحجاج : لايهولنكم هذا فانها أرض صواعق فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلا ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين فى أيام عبد الملك بن مروان . قال الجد هذا والحجاج ماقصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير ففعل ذلك لاخراجه كما أشير اليه قريبا ان شاء الله تعالى . (أقول) وتوجيهه ان فعل الحجاج وان لم يقصد التسلط على البيت فهو مؤذن بجبرونه وعدوانه وانتهاكه لحرمة البيت والمسجد والبلد واستباحته للقتال فى هذه البقعة الشريفة فهو جدير بارسال الصواعق على منجنيقه ورجاله بل وعليه . فسبحان من لايعجل بالعقوبة على من عصاه . انتهى

(ومنها) أمن الخائف اللائذ ذلك من قديم الدهر وكانت العرب

يغير بعضها على بعض ويتخطفون الناس بالقتل وأخذ الأموال وأنواع المظالم الا فى الحرم ويبنى على هـذا أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر وذلك لبركة والهيبة والعظمة التى جعلها الله فى هذا البيت وما جاوره وبركة دعوة الخليل صلوات الله عليه فى قوله تعالى : «رب اجعل هذا البلد آمناً » الآية والعرب تقول فى ضرب المثل : آمن من حمام مكة ، لأنها لاتهاج ولا تصاد ، حكى عن بعض العباد أنه قال كنت أطوف بالبيت ليلا فقلت يارب انك قلت « ومن دخله كان آمناً » فمن ماذا هو آمن ؟ فسمعت من يكلمنى ويقول من النار فنظرت وتأملت فما كان فى المكان أحد

مطلب لايرى البيت أحد لم يكن رآه قبل الا ضحك أو بكى

(ومنها) ماروى عن الجاحظ أنه قال : لايرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه قبل ذلك الا ضحك أو بكى

مطلب تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء

(ومنها) تعجيل العقوبة لمن قصده بسوء كقصة تبع وأصحاب الفيل حين قصدوا تخريبه، وعند ذكرهما رأيت أن أسوق خبرهما باختصار

﴿ أما قصة تبع ﴾ فذكر القرطبى فى الاعلام أنه كان من خمسة الذين دانت لهم الدنيا بأسرها ، وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه لينظر فى مملكته ، وكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال ، وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل هم الذين اختارهم من البلدان ولم يكونوا محسوبين من الجيش ، ثم انه قصد مكة فلما انتهى اليها لم يخضع له أهلها كخضوع غيرهم ولم يعظموه فغضب

لذلك ودعا وزيره وشكى اليه فعلهم ، فقال : انهم عرب لايعرفون شيئاً ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ، فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال ونهب النساء وسبيهم ، فأخذه الصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من شدة النتن (فقال لوزيره) اجمع العلماء والحكماء والأطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ، وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة مايعرض من أمور الأرض ، وهذا من السماء لانستطيع له رداً ، ثم اشتد أمره وتفرق الناس عنه فلما أقبل الليل جاء أحد العلماء (١) لوزيره فقال ان بيني وبينك سراً فان كان الملك يصدقني في حديثه عالجته ، فاستبشر الوزير بذلك وجمع بينه وبين الملك فلما خلا به قال له العالم : أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءاً قال نعم ، فقال له العالم أيها الملك نيتك أحدثت لك هذا الداء ، ورب هذا البيت عالم بالأسرار فبادر وارجع عما نويت ، فقال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت وأهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده الا وقد عافاه الله تعالى من علته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة كما سأذكره بعد ان شاء الله تعالى (ثم خرج) الى يثرب وليس بها يومئذ بيت واقعاً فيها عين ماء فنزل عند العين ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وتبايعوا أن لايخرجوا من يثرب وان قتلهم الملك فلما علم الملك بذلك سألهم عن

---

(١) اسمه بلنابه

الحكمة التي اقتضت اقامتهم في هذه البلدة ؟ فقالوا أيها الملك ان ذلك البيت وهذه البقعة يشرفان برجل يبعث في آخر الزمان اسمه محمد ووصفوه ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ، ونحب أن ندركه أو يدركه أولادنا فلما سمع الملك بذلك هم بالمقام معهم فلم يقدر على ذلك فأمر بعمارة أربعمائة دار على عدة العلماء، وأعطى كل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجه بها وأعطاهم مالا جزيلا (ثم كتب) كتابا وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير الذي أبرأه من عته وأمره أن يدفعه الى محمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه ، والا يوصي بذلك أولاده ثم أولادهم (وكان الكتاب) أما بعد : فإني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك ، وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ماجاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فيها ونعمت ، والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فإني من أمتك الأولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة ابراهيم أبيك عليه السلام (ثم نقش عليه) لله الأمر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد المطلب نبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول حمير ابن وردع ثم سار من يثرب الى بلاد الهند فمات بها وكان من يوم موته الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لاتزيد ولاتنقص

مطلب آباء الانصار أولئك الاربعمائة حكيم

وكان الأنصار من أولاد أولئك العلماء والحكماء (فلما ظهر خبره) صلى الله عليه وسلم بمكة أرسلوا اليه كتاب تبع مع

رجل منهم يقال له أبو ليلى الى مكة فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى قبيلة بنى سليم ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أنت أبو ليلى ، فقال نعم ، قال معك كتاب تبع الأول ، قال نعم ، وبقى أبوليلى متفكرا ثم دفع الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على بن أبى طالب فقرأه عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحباً بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة يبشرهم بقدومه عليه السلام

مطلب أبو أيوب الذى نزل عنده صلى الله عليه وسلم من ولد العالم الذى شفى به تبع

(فلما هاجر) النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم وصاروا يتعلقون بزمام ناقته وهو يقول خلوها فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبى أيوب الأنصارى وكان من أولاد العالم الذى شفى تبع برأيه انتهى بمعناه

مطلب على وجه تسمية قعيقعان وأجياد بذلك

وقيل بل سبب عزمه على هدم البيت أن جماعة من هذيل ممن يحسد قريشاً حسنوا لتبع هدم الكعبة ، وأن يبنى بيتا عنده ويصرف حجاب العرب اليه فلما سار لهذا القصد حصل له ماحصل ، فأقلع عن ذلك كما تقدم ، وأمر بقتل الهذليين ، ثم لما قدم مكة كان سلاحه بالموضع المعروف بقعيقعان فلذلك سمى به ، وقيل لغير ذلك وكانت خيله بالمكان المعروف بأجياد ، فقال سمى بذلك لهذا ، وقيل لغيره وكانت مطابخ

فى الشعب المعروف بعبد الله بن عامر بن كريز ، فلذلك سمى الشعب بالمطابخ ، وأقام بمكة أياما ينحر كل يوم مدة اقامته مائة بدنة لايرزأ هو ولا أحد ممن فى عسكره منها شيئاً بل يردها الناس ثم الطير ثم السباع

﴿ وأما قصة أصحاب الفيل ﴾ اذ قصدوا تخريب البيت فأهلكهم الله تعالى ، فروى أن الحبشة لما ملكت اليمن وعليهم أبرهة الأشرم بنوا كنيسة بصنعاء كالكعبة وصرفوا حجاج الكعبة اليها فسمع بذلك رجال من قريش فتوجهوا اليها ودخلوها ولطخوها بالعذرة وهربوا فبلغ ذلك أبرهة وعزم على هدم الكعبة وتجهز فى جيش عظيم فلما شارف مكة أغار على سرحها فساق أموال قريش وأصاب ابلا لعبد المطلب ونزل بعرفة فخرج اليه عبد المطلب فلما رآه أبرهة نزل عن سرير ملكه اجلالا له وقال لترجمانه سله عن حاجته ، فسأله ؟ فقال : حاجتى أن يرد على مائتى بعير أصابها قومه فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت تعجبنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمه فلم تكلمنى فيه وكلمتنى فى ابل أصبتها ، فقال عبد المطلب أنا رب الابل ، وللبيت رب سيمنعه ، وفى رواية يحميه فعظم كلامه عنده ، ورد عليه ابله ثم خرج عبد المطلب وأمر قريشاً أن يتفرقوا فى الشعاب ورءوس الجبال خوفا عليهم من معرة الحبش اذا دخل ففعلوا وأتى عبد المطلب الى الكعبة وأخذ بحلقتها ، وجعل يقول :

لاهم ان المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حمالك بكيدهم جهلا ومارقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر مابدا لك

ومعنى محالك أي مكرك ، ومنه وهو شديد المحال ، وقال أيضاً :

يارب لاأرجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت قد عاداكا فامنعهم أن يخربوا قراكا

ثم ان أبرهة أصبح متهيئاً لدخول مكة ووجهوا الفيل اليها فنكص على عقبيه راجعاً وبرك فأدخلوا الحديدة في أنفه حتى خرموه فلم يساعدهم على التوجه الى مكة فوجهوه الى اليمن والى غيره من الجهات فهرول فوجهوه الى مكة فأبى فبينما هم كذلك اذ أرسل عليهم طيراً من جهة البحر أبابيل أي جماعات تجيء شيئاً بعد شيء يحمل كل طير منهم ثلاثة أحجار صغار حجرين في رجليه وحجرا في منقاره اذا وقع الحجر على رأس أحدهم خرج من دبره فأهلكهم الله جميعاً ، ويروى أن كل حجر كان مكتوبا عليه اسم الذي يقع عليه ، وبعث الله على أبرهة داء في جسده فتساقطت أنامله وانصدع صدره قطعتين فهلك . واختلف في مقدار الحجارة ، فقيل كانت كأمثال الحمص ، وقيل غير ذلك ، ورأى أهل مكة الطير لما أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذا الطير لغريب ثم بعث ابنه عبد الله أبا النبي صلى الله عليه وسلم على فرس ينظر فرجع وهو يركض ، ويقول هلك القوم جميعاً ثم خرج عبد المطلب وقريش وغنموا أموالهم ، وروى أنه لم ينج منهم الا أبو يكسوم فسار راجعا

وطائر يطير فوقه ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي وأخبره بمصاب القوم فلما استتم كلامه حتى رماه الطير فمات . ومن يومئذ احترمت الناس قريشاً وقالوا هم جيران الله يدافع عنهم . وذكر العلامة ابن بحرق الحضرمي رحمه الله في سيرته النبوية أنه صلى الله عليه وسلم كان يومئذ حملا وولد بعد الفيل بخمسين ليلة والله أعلم (ومنها) تعجيل الانتقام لمن تعاطى عنده مالا يليق فمن ذلك ما حكى أن رجلا كان في الطواف فبرق له ساعد امرأة فوضع ساعده عليه متلذذا به فلصق ساعداهما فقال له بعض الصالحين ارجع الى المكان الذي فعلت فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود باخلاص وصدق نية ففعل ، فخلى عنه وانفصل ساعده (ومنها) قضية إساف لما فجر بنائلة في البيت مسخا حجرين وهما الصنمان اللذان كانا على زمزم تنحر لهما قريش في الجاهلية وتعبدهما وقالوا لولا أن الله رضي بهما أن يعبدا معه ما نكبهما . فأنزل الله تعالى : ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ولم يزالا يعبدان حتى كان يوم فتح مكة فخرجت من نائلة عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور فيروى أنه عليه السلام قال تلك نائلة أيست أن تعبد ببلادكم وكان إساف ونائلة من جرهم (ومنها) قصة المرأة التي جاءت الى البيت تعوذ به من ظالم فجاء فمد يده اليها فصار أشل (ومنها) قصة الرجل الذي سالت عيناه على خده من نظرة نظرها الى شخص في الطواف مستحسنه (ومنها) أن البيت الشريف يفتح فيدخله الجم الغفير من الناس متزاحمين فيسعهم بقدرة الله تعالى ولم يعلم أن أحدا مات فيه من الزحام [illegible] رقه

فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة كما نقله المؤرخون فانه مات فيه أربعة وثمانون نفرا . قال العلامة ابن النقاش والكعبة تسع ألف انسان واذا فتحت أيام الموسم دخلها آلاف كثير قال الجد بوأه الله دار كرامته فعلى هذا انها تتسع كما ورد أن منى تتسع كاتساع الرحم (ومنها) ما أخرجه الفاكهى فى تاريخ مكة بسنده الى عبد الله بن بكر السهمى عن أبيه أنه قال جاورت بمكة فعابت اسطوانة من أساطين البيت فأخرجت وأتى بأخرى ليدخلوها مكانها فطالت عن الموضع وأدركهم الليل والكعبة لا تفتح ليلا فتركوها ليعودوا من غد فيصلحوها ، فجاءوا فى الغد فأصابوها أقوم من قدح . قال العلامة ابن حجر وهذا اسناد قوى رجاله ثقات ، وبكر هو ابن حبيب من كبار التابعين وكانت هذه القصة فى أوائل دولة بنى العباس والاسطوانة من خشب والله أعلم . وعابت فيما رواه الفاكهى بالعين المهملة والموحدة ، والقدح بكسر القاف وبالحاء المهملة هو السهم (ومنها) كما نقل عن الجاحظ أن الفرقة من الطير من حمام وغيره تقبل حتى اذا كادت أن تبلغ الكعبة افترقت فرقتين فلم يعل ظهرها شىء منها ونقل عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة ومكى رحمهما الله أن ما عوين من ارتفاع الطير على البيت فلاستشفاء . وأنشدوا فى معنى ذلك :

والطير لا يعلو على أركانها   الا اذا أضحى بها متألما

قال ابن عطية رحمه الله والقول بأن الطير لا يعلو ضعيف فانه يعاين يعلوه وقد علته العقاب التى أخذت الحية المشرفة على جداره وتلك

كانت من آياته انتهى . قال الزركشي ، وليس في هذا ماينافي كلام مكي انتهى . قال الجد رحمه الله قلت ، وتوجيه عدم منافاته أن ماعوين من ذلك قد يكون للاستشفاء ، وأما العقاب فلأخذ الحية المذكورة ثم قال أيضاً والمعروف عند أهل مكة المشرفة قبل وقتنا هذا ماقاله مكي وابن جماعة وغيرهما وأما في وقتنا هذا فما قاله ابن عطية فان الطيور الآن تعلوه كثيرا ويتكرر منها ذلك في الساعة الواحدة وهذا مشاهد لا ينكر ولعل حدوث ذلك بسبب ما وقع من نقض السقف والتغيرات الواقعة والله أعلم انتهى بنصه . أقول وتوجيه قول الجد رحمه الله ظاهر اذ يحتمل أنه كان في السقف المنقوض وفيما غير منه شيء من الارصاد يمنع من ذلك فزال عند النقض والتغيير والله الموفق انتهى (ومنها) ما وقع عن التور بشتي في شرح المصابيح أنه قال ولقد شهدت من كرامة البيت أيام مجاورتي بمكة أن الطير كان لا يمر فوقه وكنت كثيرا أتدبر تحليق الطيور في ذلك الجو فأجدها مجتنبة عن محاذاة البيت وربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مرارا ثم ارتفعت ثم قال أيضا ومن آيات الله البينة في كرامة البيت أن حمامات الحرم اذا نهضت للطيران طافت حوله مرارا من غير أن تعلوه فاذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد أو على بعض الأسطحة التي حول الكعبة من المسجد ولا تقع على ظهر البيت مع خلوها عما ينفرها . ولقد كنت أرى الحمامة اذا مرضت وتساقط ريشها وتناثر ترتفع من الارض حتى اذا دنت من ظهر البيت ألقت بنفسها على الميزاب أو على طرف ركن من

الأركان فتبقى به زمانا طويلا كهيئة المتخشع لا حراك فيها ثم تنصرف بعد حين من غير أن تعلو شيئا من سقف البيت (ومنها) أن المطر اذا عمه من جميع جوانبه دل ذلك على حصول الخصب فى جميع جهات الأرض فان كان المطر من جانب أخصب من الأرض ما بازائه من الجهة (ومنها) أن الله تعالى يلحظه فى كل عام لحظة فى ليلة النصف من شعبان (ومنها) أن خمسة من جرهم تواعدوا أن يسرقوا ما فى خزانة الكعبة من الحلى فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله تعالى أعلاه أسفله وسقط منكسا فهلك وفر الأربعة وبعث الله تعالى حية سوداء الرأس والذنب وباقيها أبيض فحرست البيت خمسمائة سنة وهى التى اختطفها العقاب كما تقدم . ويروى أن هذه الحية هى الدابة التى تخرج عند قيام الساعة تكلم الناس كذا نقله ابن جماعة (ومنها) ما روى عن ابن عباس أن رجلا قرشيا قتل هاشمياً فى الجاهلية وأنكر قتله فقال له أبو طالب اختر إحدى ثلاث اما أن تؤدى مائة من الابل واما أن يحلف خمسون رجلا من عشيرتك أنك لم تقتله والا قتلناك . فاختار عشيرته الحلف فقبل أبو طالب عن واحد منهم الفداء وأطلق آخر بشفاعة أمه فيه وحلف ثمانية وأربعون عند البيت قال ابن عباس فوالذى نفسى بيده ما حال الحول ومنهم عين تطرف وقيل ان ذلك أول قسامة فى الجاهلية (ومنها) أيضا أن خمسين رجلا من بنى عامر بن لؤى حلفوا فى الجاهلية عند البيت على قسامة باطلا ثم خرجوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة فبينهم قائلون اذ أقبلت الصخرة

عليهم فخرجوا من تحتها يسعون فانفلقت حسين فلقة فأدركت كل فلقة رجلا فقتلته (ومنها) ماروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال يا أمير المؤمنين كنا بنى الضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فظلمناه فكان يذكرنا بالله والرحم أن نكف عنه وكنا أهل جاهلية نرتكب كل الأمور فلما رآنا لا نرد ظلامته امهل حتى اذا دخلت الاشهر الحرم انتهى الى الحرم فجعل يرفع يديه ويقول

لاهم أدعوك دعاء جاهدا   اقتل بنى الضبعاء الا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا   أعمى اذا ما قيد يعيى القائدا

فمات اخوة لى تسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد وبقيت أنا فعميت وليس يلائمنى قائد (ومنها) ماروى عن حويطب بن عبد العزى أنه قال كان فى الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه أحد فجاء خائف فأدخل يده فى حلقة منها فاجتذبه رجل فشلت يده فلقد رأيته فى الاسلام وانه لأشل ﴿ فائدة ﴾ روى ابن عباس رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ماكان يعاقب به من حلف على ظلم ثم قال ان الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا ولا تعجل لهم العقوبة مثل ماكانت تعجل لأولئك فما ترون ذلك فقالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال ان الله عز وجل جعل فى الجاهلية اذ لادين حرمة حرمها وعظمها وشرفها وعجل العقوبة لمن استحل شيئا منها لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم توعدهم فلما انتهكوا ماحرم الله وعدهم بالساعة فقال والساعة أدهى وأمر فأخر العقاب

الى القيامة (ومنها) ما يروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان جالساً في جماعة من قريش بالمسجد الحرام بعد ما ارتفع النهار وقلصت الافياء واذا هم ببريق آيم داخل من جهة باب بني شيبة فاشرأبت أعينهم اليه وأبتدروه بأبصارهم لجاء حتى استلم الركن وطاف بالبيت سبعاً وهم يحصونه ثم ذهب الى دبر المقام فركع ركعتين وهم ينظرون اليه فقال عبد الله بن عمرو لبعض الجماعة اذهب الى هذا فحذره فاني أخاف عليه ان يقتل أو يعبث به فذهب اليه حتى وقف على رأسه وحذره فأصغى اليه برأسه حتى استنفد كلامه ثم ذهب في السماء حتى ذب فما يرى . والآيم هي الحية الذكر وبريقه لمعانه (ومنها) ماروى ان طيرين أقبلا في الجاهلية كأنهما نعامتان يسيران كل يوم ميلا أو بريدا حتى أتيا مكة فوقعا على الكعبة وكانت قريش تطعمهما وتسقيهما فاذا خف الطواف من الناس نزلا فدفا حول الكعبة حتى اذا اجتمع الناس طارا فوقعا على الكعبة فمكثا كذلك شهرا أو نحوه ثم ذهبا ، ومعنى دفا سارا وسيأتي في فضائل الكعبة يدفون اليك دفيف النسور . قال في الصحاح الدفيف الدبيب وهو السير اللين . ومنها ما أخرجه الازرقي في تاريخه أن طائرا أقبل من ناحية أجياد الصغير لونه لون الخبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما طويل العنق دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر وكان ذلك في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائتين عند طلوع الشمس والناس اذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم فوقع في المسجد الحرام قريبا من مصباح زمزم

فقابل الركن الاسود ساعة طويلة ثم طار حتى صدم الكعبة في نحو من وسطها ما بين الركن الأسود واليماني وهو الى الركن الاسود أقرب ثم وقع على منكب رجل محرم من الحجاج من أهل خراسان في الطواف عند الحجر الأسود فطاف الرجل أسابيع وعيناه تدمعان على خديه ولحيته والطائر على منكبه الايمن والناس يدنون منه وينظرون اليه ويتعجبون منه وهو غير متوحش ، ثم طار حتى وقع بين المقام ساعة طويلة يمد عنقه ويقبضه الى جنحه فأقبل فتى من الحجبة فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام فصاح أشد صياح لا يشبه صوته صوت الطير ففزع منه فأرسله فطار حتى وقع بين يدي دار الندوة، ثم خرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان (ومنها) مارواه أبو الطفيل قال كانت امرأة من الجن تسكن ذا طوى في الجاهلية وكان لها ابن ليس لها غيره وكانت تحبه حباً شديدا وكان شريفاً في قومه فتزوج فلما كان يوم سابعه قال لأمه اني أحب أن أطوف بالكعبة سبعاً نهارا فقالت أراني أني أخاف سفهاء قريش فقال أرجو السلامة فأذنت له فولى في صورة جان فلما أدبر جعلت تعوذه تقول أعيذك بالكعبة المستورة ودعوات ابن أبي محذورة وما تلا محمد من سورة اني الى حيوته فقيرة واني بعيشه مسرورة ، ثم مضى فطاف سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل راجعاً حتى اذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله فثارت بمكة غبرة حتى لم تر الجبال ، فقال أبو الطفيل وبلغنا أن الغبرة انما تثور كذلك

عند موت عظيم من الجان قال فأصبح كثير من بنى سهم موتى على فرشهم من قبل الجان فنهضت بنوسهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها فركبوا الجبال والشعاب بالثنية فما تركوا حية ولا عقربا ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الأرض الا قتلوه وأقاموا على ذلك ثلاثاً فسمعوا فى الليلة الثالثة هاتفاً على أبى قبيس يهتف بصوت جهورى يسمعه من بين الجبلين : يامعشر قريش الله الله فان لكم أحلاما وعقولا اعذرونا من بنى سهم قد قتلوا منا أضعاف ماقتلنا منهم ادخلوا بيننا وبينهم بصلح نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدا ففعلت قريش ذلك واستوثق البعض من البعض فسميت بنوسهم الغياطلة قتلة الجن لذلك (ومنها) أن الله تبارك وتعالى وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم بالملائكة وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة من حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة وان الملك اذا نزل الى الأرض فى بعض أمور الله تعالى فأول ما يأمره الله زيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبياً حتى يستلم الحجر ثم يطوف بالبيت سبعاً ويركع ركعتين ثم يمضى لما أمر بعد . وعن عمر رضى الله عنه أنه قال من أتى هذا البيت لاينهزه غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه . ومعنى لاينهزه لايحمله على ذلك (ومنها) أن هذا البيت منذ خلقه الله تعالى ماخلا عن طائف يطوف به من أنس أو جن أو غير ذلك قال بعض السلف خرجت يوما فى هاجرة ذات سموم وقلت ان خلا البيت عن طائف فى هذا الحين ورأيت المطاف خاليا فدنوت

فرأيت حية عظيمة رافعة رأسها وهي تطوف حوله (ومنها) مايروى أن الكعبة شكت الى الله تعالى مانصب حولها من الأصنام ومايستقسم به من الأزلام ، فأوحى الله اليها أنى منزل نورا وخالق بشرا يحنون اليك حنين الحمام الى بيضه ، ويدفون اليك دفيف النسور * ويحكى عن بعض السلف أنه دخل الحجر فى الليل ، وصلى تحت الميزاب فسمع وهو ساجد كلاما بين أستار الكعبة والحجارة ، وهو : أشكو الى الله مايفعل هؤلاء الطائفون حولى من اسمائهم ، قال فأولت أن البيت شكى (ومنها) ماذكر أن يوم قتال عبد الله بن الزبير بمكة اشتد الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة الا جمل يطوف بها (ومنها) ان من حجه ثلاث مرات حرم الله جسده على النار ولم تؤثر فيه . روى القاضى عياض فى الشفاء عن بعض شيوخ المغرب أن قوما أتوه فاعلموه أن كتامة ـ وهى قبيلة من البربر ـ قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار فلم تعمل فيه وبقى أبيض البدن، فقال لهم لعله حج ثلاث حجات فقالوا نعم، فقال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار (ومنها) مايروى عن الأوزاعى أنه قال: رأيت رجلا متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول :

يارب انى فقير كما ترى　　وصبيتى قد عروا كما ترى
وناقتى قد عجفت كما ترى　　وبردتى قد بليت كما ترى
فما ترى فيما ترى　　يامن يرى ولا يرى

فاذا بصوت من خلفه ياعاصم الحق عمك قد هلك بالطائف وخلف

ألف نعجة وثلثمائة ناقة وأربعمائة دينار وأربعة أعبد وثلاثة أسياف يمانية فامض لخذها فليس له وارث غيرك . قال الأوزاعي : فقلت له ياعاصم انك دعوت قريباً ، فقال ياهذا أما سمعت قوله : « واذا سألك عبادي عني فاني قريب » (ومنها) ماروى عن علي بن الموفق أنه قال : طفت بالبيت ليلة وصليت ركعتين بالحجر واستندت الى جداره أبكي وأقول كم أحضر هذا البيت الشريف ، ولا أزداد في نفسي خيرا !! فبينا أنا بين النائم واليقظان ، اذ هتف بي هاتف ، وهو يقول : ياعلي سمعنا مقالتك أو تدعو أنت الى بيتك من لا تحبه (ومنها) ما ذكر عن أبي بن خلف وعبيد الله ابن عثمان أنهما كانا في الحجر في شهر رجب فلم يشعرا الا بحية قد أقبلت حتى مرت بهما ، فدخلت تحت أستار الكعبة ، وسمعا كلاما من حيث دخلت يقول : يامعشر قريش كفوا عما تأتون من الظلم قبل أن تنزل بكم النقم كفوا سفهاءكم فانكم في بلد عظيم حرمته [1] (ومنها) أن امرأة عابدة جاءت حاجة فلما دخلت مكة جعلت تقول : أين بيت ربي وتكرر ذلك فقيل لها هذا بيت ربك فاشتدت نحوه تسعى حتى ألصقت جبينها بحائط البيت فما رفعت منه الا ميتة . (ومنها) أن الشبلي رضي الله عنه لما وصل الى مكة ونظر الى البيت عظم عنده قدر ماناله وأنشد طربا :

---

(١) ولقائل ان يقول وجه عد هذه الثلاثة الأشخاص في آيات البيت الشريف لايخلوا الحال فيه اما ان المصنف رحمه الله تعالى تبع غيره في ذكرها ومانظر الى أن فيها مناسبة لآياته أم لا واما انه اعتبر الحالة التي حصلت لهم عند رؤيته ومشاهدته فعدت من فضائله وكراماته وآياته .

أبطحان مكة هذا الذى　　أراه عياناً وهذا أنا

ثم لم يزل يكررها حتى غشى عليه . (ومنها) ان أبا الفضل الجوهرى لما دخل الحرم ورأى الكعبة علاه حال فقال ـ وقد دخله الطرب ـ هذه ديار المحبوب فأين المحبوب ؟ وهذه آثار أسرار القلوب فأين المشتاقون ، وهذه ساعة الاطلاع على الدموع ، فأين البكاءون ؟ ثم شهق شهقة وأنشد :

هذه دارهم وأنت محب　　مابقاء الدموع فى الآماق

ثم بادر الى البيت باكيا وهو ينادى : لبيك اللهم لبيك ، وهذا بعض ماذكر من فضائل هذا البيت ، وهذه الأوراق لاتسع أكثر من ذلك وفيما ذكر مقنع ، والله تعالى أعلم ،

الباب الثالث

فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة

وكم بنيت مرة وما ورد فى ذلك من الأقوال

والروايات والاختلاف وبيان أسباب البناء وها أنا

أذكره مبينا مفصلا مع التنبيه على أشهر الأقوال

(اعلم) أن الكعبة زادها الله تعالى شرفا بنيت مرات . قال فى منهاج التائبين : بنيت الكعبة خمس مرات (احداها) بناء الملائكة

وقيل آدم . (الثانية) بناء الخليل عليه السلام . (الثالثة) بناء قريش في الجاهلية . (الرابعة) بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (الخامسة) بناء الحجاج ، وقد قيل انها بنيت مرتين أخريين : (الأولى) بناء العمالقة بعد ابراهيم عليه السلام ، (والثانية) بناء جرهم بعد العمالقة ثم بانه قريش ، والله أعلم انتهى . وفي شفاء الغرام للقاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله انها بنيت عشر مرات : (الأولى) الملائكة عليهم السلام . ثم آدم صلوات الله عليه . ثم أولاده . ثم الخليل عليه الصلاة والسلام . ثم العمالقة . ثم جرهم . ثم قصي بن كلاب . ثم قريش . ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه . ثم الحجاج بن يوسف الثقفي . قال القاضي تقي الدين المشار اليه : واطلاق العبارة بأنه أي الحجاج بنى الكعبة تجوز لأنه لم يبن الا بعضها كما سيأتي بيانه ، ولولا أن السهيلي والنووي ذكراه لما ذكرناه انتهى وفي الروض الأنف للسهيلي أن أول من بنى الكعبة شيث بن آدم عليهما السلام وذكر في موضع آخر أن الملائكة هي التي أسست الكعبة . وذكر القاضي تقي الدين أيضاً أنه وجد بخط عبد الله المرجاني أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بنى الكعبة بعد قصي ، وقبل بناء قريش ثم قال ولا أعلم له في ذلك سلفاً ولا خلفاً والله أعلم . واختلف هل بناء الملائكة قبل آدم أو بناء آدم قبل الملائكة . وذكر الأزرقي رحمه الله مايشهد للقولين . وفي منسك الجد نور الله ضريحه بنيت الكعبة الشريفة خمس مرات : الأولى بناء الملائكة ، الثانية : بناء آدم عليه السلام ، الثالثة : بناء ابراهيم عليه السلام ، الرابعه : بناء قريش في

الجاهلية . الخامسة : بناء ابن الزبير ثم هدم الحجاج بعضه وبناه . قال الجد رحمه الله وهذا هو المشهور المعروف. وأخرج الفاكهى عن على كرم الله وجهه ان أول من بنى البيت الخليل عليه السلام ، وجزم به ابن كثير فى تفسيره . وقال لم يجئ خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبله. وقال فى تاريخه عند قوله تعالى : «ان أول بيت وضع للناس» الآية يذكر تعالى عن عبده وخليله أنه بنى البيت العتيق الذى هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه ، و بوأه مكانه أى أرشده اليه ودله عليه وعن على وغيره أنه أرشده اليه بوحى من الله ولم يجئ خبر صحيح عن معصوم ، وذكر ماتقدم ثم قال ومن تمسك فى هذا بقوله تعالى مكان البيت ، فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه الكائن فى علم الله المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم الى زمن ابراهيم . وقد ذكر أن آدم نصب عليه قبة . وان الملائكة قالوا له قد طفنا قبلك بهذا البيت وان السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك . وكل هذه أخبار عن بنى اسرائيل وهى لاتصدق ولا تكذب فلا يحتج بها انتهى . أقول فعلى هذا يكون بناء البيت ثلاث مرات ، الأولى : الخليل عليه السلام الثانية : بناء قريش الثالثة : بناء ابن الزبير والحجاج لأن بناء الخليل ثابت بنص الكتاب . وبناء قريش ثابت فى صحيح البخارى وغيره . وبناء ابن الزبير والحجاج ذكره عامة المفسرين وأهل التواريخ وغيرهم من العلماء. ويحتمل أن يقال أيضاً ان الكعبة بنيت أربع مرات : الأولى بناء الملائكة وآدم معاً فى آن واحد . وبعده لما سبق فى رواية ابن عباس عند...

ذكر السبب في بناء آدم عليه السلام كما ستقف عليه ، وهو مجرد تأسيس الثانية بناء الخليل . الثالثة بناء قريش . الرابعة بناء ابن الزبير والحجاج ويكون البناء الأول والرابع مشتركا ثم القول بأن ذلك في آنين فهو تأسيس أيضا كما ذكره الفاسي في شفاء الغرام لا بناء مرتفع كغيره من الأبنية الآتي وصفها لأنه حينئذ يحتاج الى معرفة السبب في نقض بناء الملائكة على تقدير أوليته حتى بناه آدم ، وفي نقض بناء آدم أن لو كان أولا حتى بنته الملائكة كما ستعلمه عند ذكر أسباب الأبنية الآتية انشاءالله تعالى . ولم أر أحدا ذكر ذلك فيما وقفت عليه ولا تعرض لمقدار ارتفاع بناء الملائكة وآدم في السماء كم هو فيحتمل أنه كان مرتفعا وحفظ من الهدم والتغير الى أن بنى عليه آدم أو الملائكة على الخلاف أيهما كان أولا أو انه انهدم لتناسخ القرون فبنى ثانيا على ماوجد من الأساس أو لم يكن هناك ارتفاع أصلا بل مجرد تأسيس فبنى عليه ، ويحتمل غير ذلك والله أعلم بحقائق الأمور انتهى . وقد آن الشروع في ذكر الأسباب المشار اليها :

﴿ أما سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴾ فروى عن على ابن الحسين رضي الله عنهم أنه قال لما قال الله للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة قالت أي رب خليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء فغضب عليهم ، فلاذوا بالعرش ورفعوا رءوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون اشفاقا لغضبه ، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات . وفي رواية سبعة أطواف يسترضون ربهم ، فرضى عنهم وقال لهم ابنوا لي في الارض

بيتا يعوذ به كل من سخطت عليه من خلق ، فيطوف حوله كما فعلتم بعرشي فأغفر له كما غفرت لكم فبنوا البيت الحرام . قال العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله: قول الملائكة عليهم السلام أتجعل فيها الآية سؤال على وجه الاستكشاف والاستعلام على وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما توهمه بعض جهلة المفسرين، وفي الروض الأنف للسهيلي لما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها خافت أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعا وذكر ما تقدم عن علي بن الحسين رضي الله عنه كذا حكاه المجد نور الله ضريحه وجعل الرحمة غبوقه وصبوحه في منسكه . ثم قال بعد ذلك : ظاهر قول السهيلي خافت أن يكون الله عاتبا عليهم انه لم يقع من الله غضب عليهم وهو الموافق للحكم بعصمتهم، وقوله تعالى «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وما تقدم عن علي بن الحسين يخالف ذلك وقوله لاعتراضهم في علمه يخالف ما تقدم عن ابن كثير من أن ذلك منهم على وجه الاستكشاف لا الاعتراض اللهم الا أن يراد ما صورته صورة الاعتراض فلا مخالفة انتهى . وفي بعض الروايات أن الله تعالى بعث ملائكة فقال لهم ابنوا بيتا على مثال البيت المعمور وقدره ففعلوا وأمر الله تعالى أن يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور وان هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام وقبل خلق الأرض بألفي عام ، وأن الأرض دحيت من تحته .

﴿ فصل فى الكلام على البيت المعمور ﴾

وشىء من خبره على سبيل الاستطراد

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا البيت يعنى الكعبة المشرفة خامس خمسة عشر بيتا سبعة منها فى السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الأرض وأعلاها الذى يلى العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض الى تخوم الأرض السفلى، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت أخرجه الأزرق .

مطلب فى كل من السبع الأرضين بيت يعمره أهلها

(بحث) فان قيل فى قوله عليه السلام ولكل بيت الخ اشارة الى تسمية كل بيت منها بالمعمور بهذا المعنى فحصل الاشتراك فأيها البيت المعمور المراد؟ فالجواب من وجوه : الأول أن البيت المعمور قد غلب عليه هذا الاسم ولزمه وصار علما عليه عند الاطلاق . والثانى انه تميز بكونه فى السماء السابعة على الرواية المشهورة كما ستقف عليها قريبا فيكون هو المراد دون غيره . الثالث انه يسمى بالضراح دون بقية البيوت الأخر . والله الموفق . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور الذى فى السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط . والضراح بالضاد المعجمة بعدها راء وألف فحاء مهملة

وقيل بالصاد المهملة والمشهور الأول وعند مجاهد البيت المعمور هو الضريح يعني بالضاد المعجمة ، والضريح لغة البعيد

الخلاف في البيت المعمور وفي مكة

واختلف في البيت المعمور وفي مقره فقيل انه البيت الذي بناه آدم أول ما نزل الى الأرض كما سأذكره قريبا ثم رفع الى السماء أيام الطوفان وتسميه الملائكة بالضراح لأنه ضرح عن الأرض الى السماء بمعنى أبعد . وقيل ان البيت بمكة معمور بمن يطوف به وهذا منسوب الى ابن عباس والحسن . وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه كان يستقبل الكعبة الشريفة ويقول واحبذا بيت ربي ما أحسنه وأجمله هذا والله البيت المعمور ، وظاهر هذين القولين ينافي ما تقدم . وأما مقره فللازرقي ثلاث روايات : الأولى أنه في السماء السابعة ، الثانية أنه في السادسة ، الثالثة أنه فوق السموات السبع تحت العرش . وفي رواية لغير الازرقي أنه في السماء الرابعة . أقول الرواية الأولى هي المشهورة الصحيحة الموافقة لما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه من كونه صلى الله عليه وسلم اجتمع بابراهيم عليه السلام في السماء السابعة ورآه مسندا ظهره الى البيت المعمور وهذا الحديث أولى بالاعتماد عليه دون غيره . قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء : جود ثابت هذا الحديث ماشاء ولم يأت عنه أحد بأصوب من هذا ، وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطاً كثيرا لا سيما شريك ابن أبي نمر انتهى

﴿ وأما سبب بناء آدم صلوات الله عليه ﴾ فروى عن ابن عباس

رضي الله عنهما ان الله تعالى لما أهبط آدم كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته فطأطأ الله عز وجل منه الى ستين ذراعا فقال يارب مالي لا أسمع صوت الملائكة فقال له خطيئتك يا آدم ولكن اذهب فابن لي بيتاً واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي ، فأقبل آدم يتخطى فطويت له الأرض ولم يقع قدمه في شيء من الأرض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام بعد أن ضرب جبريل عليه السلام بجناحه الارض فابرز عن أس ثابت في الأرض السفلى فقذفت فيه الملائكة الصخر مالا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا . قال ابن عباس رضي الله عنه فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان فدرس موضع البيت . أقول هذا ما يشهد لبناء الملائكة وآدم في آن واحد كما سبقت الاشارة اليه انتهى

مطلب الاجبل التي بنيت منها الكعبة خمسة

ويروى أن بناءه من خمسة أجبل لبنان وطورزيتا وطورسينا والجودي وحرا حتى استوى مع وجه الأرض أي لم يرتفع عن وجه الأرض كما قدمته وسيأتي بيان موضع هذه الجبال عند ذكر بناء الخليل ان شاء الله تعالى . والفلك فيما تقدم بضم الفاء هو السفينة ووجه التشبيه أن آدم عليه السلام حال الهبوط كان فيه اضطراب كاضطراب السفينة في البحر حال هبوب الرياح . وفي بعض الروايات ان آدم عليه السلام لما أهبط بأرض الهند اشتد بكاؤه وحزنه فتاب الله عليه وأمره

بالمسير الى مكة فلما انتهى اليها عزاه الله بخيمة من خيام الجنة ووضعها له موضع البيت وكانت تلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة وعن قتادة ان آدم عليه السلام أهبط ومعه بيت فكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك الى زمن الغرق ثم رفعه الله عز وجل فصار فى السماء وهو الذى يدعى البيت المعمور ذكره الحليمى فى منهاجه ثم قال : يجوز أن يكون معنى قول قتادة من أنه أهبط مع آدم بيت أى مقدار البيت المعمور طولا وعرضاً وسمكا ثم قيل له ابن بقدره وحياله فكان حياله موضع الكعبة فبناها فيه وأما الخيمة فقد يجوز أن يكون أنزلت وضربت فى موضع الكعبة فلما بنى الكعبة كانت الخيمة حولها طمأنينة لقلب آدم ماعاش ثم رفعت فتتفق هذه الأخبار . كذا فى منسك الجد رحمه الله تعالى

﴿ وأما سبب بناء الخليل صلوات الله عليه ﴾ فروى عن مجاهد رضى الله عنه ان موضع البيت كان قد خفى ودرس من الغرق أيام الطوفان فصار موضعه أكمة حمراء مدرة لاتعلوها السيول غير ان الناس يعلمون ان موضع البيت فيما هناك ولا يثبتونه وكان المظلوم يأتيه من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب فقل من دعى هنالك إلا استجيب له . وعن ابن عمر كانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لخليله وأعلمه مكانه

مطلب الخلاف فى هود وصالح هل حجا أم لا

وروى أن هودا وصالحا ومن آمن بهما حجوا البيت وهو كذلك ونقل العلامة السيوطى فى بعض كتبه أن جميع الأنبياء حجوا البيت إلا هودا وصالحا فانهما كانا اشتغلا بأمر قومهما فماتا ولم يحجا

مطلب سبب معرفة ابراهيم أساس البيت الحرام

وان آدم لما حج حلق جبريل رأسه بياقوتة من الجنة فلما بوأ الله تعالى لخليله مكان البيت وأمره ببنائه بقوله تعالى «وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت» وقوله تعالى «وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت» الآيتين أقبل من الشام وسنه يومئذ مائة سنة وسن اسماعيل ستة وثلاثون سنة وأرسل الله معه السكينة والصرد وملكا دليلا حتى تبوأ البيت الحرام فقال لابنه اسماعيل عليه السلام ان الله قد أمرنى أن أبنى له بيتاً فقال له اسماعيل وأين هو فأشار الى أكمة مرتفعة عليها رضراض من حصباء فقاما يحفران عن القواعد ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ويحمل اسماعيل الحجارة على رقبته وابراهيم يبنى فلما ارتفع البناء وشق على الخليل تناول الأحجار قرب له اسمعيل المقام فكان يقوم عليه وقد تقدم الكلام عليه مستوفى . والصرد بضم الصاد وفتح الراء المهملتين طائر ضخم الرأس فوق العصفور يصيد العصافير وقيل انه أول طائر صام لله . والسكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وفى رواية كأنها سحابة أو ضبابة تمشى على الارض كالدخان فى وسطها كهيئة الرأس بمكانه وكانت بمقدار البيت فلما انتهى الخليل صلوات الله [illegible]

بمكة وقفت فى موضع البيت ونادت يا ابراهيم ابن على مقدار ظلى لا تزيد ولا تنقص . وفى رواية أنها تطوقت بالأساس الأول كأنها حية . وفى أخرى أنها لم تزل را كدة تظل ابراهيم وتهديه مكان القواعد فلما رفع القواعد قدر قامة انكشفت . قال السهيلى فى روضه : والسكينة من شأن الصلاة قال صلى الله عليه وسلم وأتوها وعليكم السكينة انتهى فجعله علما على قبلتها حكمة من الله تعالى . وروى أن السكينة قالت لابراهيم ربض على البيت فلذلك لا يطوف بالبيت ملك ولا أعرابى نافر ولا جبار الا رأيت عليه السكينة كذا فى منسك الجد رحمه الله . وذكر أن الخليل لما حفر القواعد أبرز عن ربض كأمثال خلف الابل لا يحرك الصخرة الا ثلاثون رجلا وكان يبنى كل يوم ساقا وهو المدماك فى عرفنا الآن . قال ابن عباس رضى الله عنه أما والله ما بنياه بقصة ولا مدر ولا كان معهما ما يسقفانه ولكنهما أعلماه وطافا به . وفى رواية رضماه رضما فوق القامة ولم يسقفا . والرضم أن ترص الحجارة بعضها فوق بعض بغير ملاط . والقصة بفتح القاف هى النورة أو شبهها . قال السهيلى بناه الخليل من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها وهى طورسيناء وطور زيتا اللذان بالشام . والجودى وهو بالجزيرة ولبنان وحرا وهما بالحرم . ثم قال وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبال فشا كل ذلك معناها اذ هى قبلة للصلوات الخمس وعمود الاسلام وقد بنى على خمس انتهى . قال الجد رحمه الله تعالى : وفى كون لبنان بالحرم نظر اذ لا يعرف ذلك . ويروى أن ذا القرنين قدم مكة والخليل وابنه

يبنيان فقال ما هذا فقالا نحن عبدان أمرنا بالبناء فطلب منهما البرهان على ذلك فشهد بذلك خمسة أكبش فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى

مطلب الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر ولم لقب بذلك وتعريف نبوته وعدمها

﴿ فائدة استطرادية ﴾ اعلم أن ذا القرنين اثنان رومى ومقدونى والذى اجتمع بالخليل هو الرومى الذى ذكره الله تعالى فى القرآن وهو صاحب الخضر . واختلف فى تسميته بذى القرنين وكان نبيا أم عبدا صالحا. فقيل سمى بذى القرنين لأنه بلغ مغرب الشمس ومطلعها ، وقيل لأنه . ملك الروم وفارس أو الروم والترك ، وقيل لأنه انقرض فى زمنه قرنان من الناس وهو حى . وقال الواحدى لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات ، فبعثه الله فسمى ذا القرنين ، وقيل كان له قرنان وقيل كان كريم الطرفين أما وأبا وهذان القولان فى المدارك ، وقيل لأنه عاش قرنين وعن على سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عنده سواء

﴿ وأما انه نبى أو ملك ﴾ فعن عبد الله بن عمر ومجاهد أنه كان نبيا ، وعن على كرم الله وجهه انه كان عبدا صالحا أحب الله وناصحه فأحبه الله وناصحه . وعن وهب أنه كان ملكا عادلا ، قال المفسرون ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران : أما المؤمنان فذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام . وأما الكافران فنمرود وبخت نصر . قال القرطبى

وسيملك الدنيا من هذه الأمة خامس وهو المهدى لقوله تعالى : « ليظهره على الدين كله » انتهى . (أقول) ، وسيملكها سادس أيضا ، وهو عيسى صلوات الله عليه . كما جاءت به السنة فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما انتهى .

مطلب سن ذى القرنين

وكان عمر ذى القرنين ألفاً وستمائة سنة ، واختلف فى زمنه واسمه فقيل كان فى زمن نمرود ، ويؤيده اجتماعه بالخليل حال بنائه البيت كما تقدم لأن الخليل والنمرود فى زمن واحد ، وعن وهب أنه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وقيل كان بعد داود ، وأما اسمه فقيل عبد الله . وقيل اسكندر ، وقيل مرزبان بن مرزبة .

مطلب الحجر الأسود وهل كان قبل ابراهيم أم لا

عدنا الى المقصود ، فلما انتهى الخليل عليه السلام فى البناء الى موضع الحجر بالفتح طلب من اسماعيل حجرا يضعه ليكون علما على بداءة الطواف فجاءه جبريل بالحجر الأسود قيل نزل به من الجنة ، وقيل جاء به من أبى قبيس لأن الله استودع الحجر أبا قبيس لما غرقت الأرض ، وفى رواية أن الحجر نفسه نادى الخليل من أبى قبيس ها أنا ذا فرق اليه فأخذه فوضعه فى موضعه هذا . وجعل الخليل صلوات الله عليه طول البيت فى السماء تسعة أذرع ، وعرضه فى الأرض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الأسود الى الركن الشامى الذى عنده الحجر بكسر الحاء من وجهه ، وجعل عرض مابين الركن الشامى الغربى الذى فيه

الحجر بالكسر اثنين وعشرين ذراعا وجعل طول ظهرها من الركن الغربي الى الركن اليماني أحدا وثلاثين ذراعا وجعل عرض سقفها اليماني من الركن الأسود الى الركن اليماني عشرين ذراعا فلذلك سميت كعبة لأنها على خلقة الكعب ، وكذلك بايان أساس آدم عليه السلام ، وجعل بابها بالأرض غير مبوب حتى كان تبع أسعد الحميرى هو الذى جعل لها بابا وغلقاً فارسياً ، وكساها كسوة تامة ، ونحر عندها كما علمته فيما تقدم وسيأتى الكلام على ذلك فى محله مستوفى ان شاء الله تعالى . وجعل الخليل الحجر بكسر الحاء الى جنب البيت عريشا من أراك تقتحمه العنز فكان زربا لغنم اسمعيل ، وحفر فى بطن الكعبة جبا على يمين الداخل يكون خزانة للبيت يلقى فيه مايهدى للكعبة وهو الذى نصب عليه عمرو ابن لحى هبل صنم قريش الذى كانت تعبده وتستقسم عنده بالأزلام (أقول) ولعله ـ والله أعلم ـ هو المراد بقول أبى سفيان بن حرب فى يوم أحد اعل هبل انتهى . ثم عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا مافيه من أموال الكعبة وحليتها مرة بعد أخرى فبعث الله الحية لحراسته وهى التى اختطفها العقاب كما تقدم والله أعلم .

﴿ وأما سبب بناء قريش للبيت ﴾ فروى أن امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها فاحترقت كسوتها وكانت ركاما بعضها فوق بعض فحصل فى الأحجار تصدع ووهن ثم تواترت السيول بعد ذلك أيضا فجاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزعت لذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدمها وخافوا ان مسوها ينزل

عليهم العذاب ، فبينما هم على تلك الحال يتشاورون اذ أقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانت بمحل يقال له الشعيبة بضم الشين المعجمة وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت

﴿ استطراد فى الكلام على فضل جدة ﴾ التى هى الآن ساحل مكة وشىء من خبرها . روى الفاكهى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مكة رباط وجدة جهاد » . وعن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول انما جدة خزانة مكة وان مايؤتى به الى مكة لا يخرج به منها ثم قال أعنى ابن جريج انى لارجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان ، وعن عباد بن كثير أنه قال الصلاة بجدة سبعة عشر ألف ألف صلاة والدرهم فيها مائة ألف ، وأعمالها بقدر ذلك يغفر للناظر فيها مد بصره مما يلى البحر . وعن فرقد السبخى أنه قال لى رجل أقرأ هذه الكتب ، ولى لأحد فيما أنزل الله من كتبه جدة أو حديدة يكون بها قتلى وشهداء لاشهداء يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم ، وعن بعض المكيين أن الحبشة جاءت الى جدة فى سنة ثلاث وثمانين فى صدرها فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة الى جدة غزاة فى البحر وعليهم أميرهم عبد الله بن محمد بن ابراهيم المخزومى انتهى . قال الفاسى رحمه الله : عبد الله بن محمد هذا ولى مكة للرشيد العباسى فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وأول من جعل جدة ساحلا لمكة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سنة ست وعشرين من الهجرة وكانت الشعيبة

ساحل مكة قبل ذلك ، وذكر ابن جبير أنه رأى بجدة أثر سور محدق وأن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أحدهما يقال له مسجد الأبنوس ، وهو معروف الى الآن والآخر غير معروف ولعله والله أعلم المسجد الذى يقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن انتهى ، ويروى أن قبر حواء بجدة والله أعلم ، ولنرجع الى المقصود ، فلما انكسرت السفينة بالشعيبة وبلغ قريشاً قصدوها واشتروا خشبها وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا مامعهم من المتاع وأن لا يعشروهم وكانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم وكان الروم أيضا تعشر قريشاً اذا دخلوا بلادهم وكان فى السفينة نجار بناء اسمه باقوم وهو الذى بنى الكعبة لقريش كما روى عن سفيان بن عيينة ، ويروى أن قريشا لما هابوا هدمها قال الوليد ان الله لا يهلك من يريد الصلاح فارتقى على ظهر البيت ، ومعه الفأس ثم هدم ، فلما رأوه سالما تابعوه وفى بعض الروايات أن قريشاً كانوا كلما أرادوا هدم البيت بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألقاها نحو أجياد فهدمتها قريش وبنوها بحجارة الوادى ، ورفعوها ثمانية عشر ذراعا فى السماء ، وقيل عشرين وحضر النبى صلى الله عليه وسلم هذا البناء مع قريش ، وكان يحمل الحجارة ، وسنه اذ ذاك خمس وثلاثون سنة ، وهو الأشهر ، وقيل خمس وعشرون ، وهو مشهور ، وعن الفاكهى كان قد ناهز الحلم ، وفى تاريخ الأزرقى مايؤيده ، وهو ضعيف جدا فلا يعتبر بمخالفته القولين الأولين ، فبينما هو يحملها وعليه نمرة قد ضاقت فذهب

بعضها على عاتقه فبدت عورته فنودى يامحمد خمر عورتك فلم ير بعدها عريانا وكان بين ذلك وبين المبعث خمس سنين ، واختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود حتى رضوا بأول داخل فكان هو أول داخل صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده الشريفة ، وأخرج الأزرق فى رواية أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا ، فاقتصرت قريش على ثمانية عشر ذراعا ، ونقصوا من عرضها أذرعا أدخلوها فى الحجر . (أقول) بناء قريش ثابت على القول المشهور بعد بناء الخليل ، وقد علمت فيما سبق أن الخليل صلوات الله عليه جعل طولها فى السماء تسعة أذرع كما تظافرت به الأقوال ، وستقف على ذلك من كلام الأزرق أيضاً عند ذكر بناء ابن الزبير آنفا فما نقله من أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا الخ فيه مناقضة لما سيأتى عنه ولم يثبت من طريق صحيح أن أحدا بناها بعد الخليل ، وجعل طولها سبعة وعشرين ذراعا وماتقدم من بناء العمالقة وجرهم وقصى بعد الخليل انما هو مجرد خبر وهو يحتمل ولم يتأيد بدليل ، وعلى تقدير الصحة فلم يذكر أحد مقدار ارتفاع بنائهم مطلقا على أن الأزرق نفسه ذكر بناء العمالقة ؛ وجرهم ولم يبين مقدار ارتفاعهما . نعم نقل الفاسى رحمه الله عن الزبير بن بكار أن قصيا بنى الكعبة بناء محكما على خمس وعشرين ذراعا وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل ثم قال وفيه نظر لأنه ان أريد به أن قصيا جعل ارتفاع الكعبة خمسا وعشرين كان مخالفا لما اشتهر من أن الخليل جعل طولها تسعة أذرع وأن قريشا زادت تسعة أذرع وان أريد أن قصيا جعل عرضها

خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف أن عرضها من الجهة الشرقية والغربية لاينقص عن ثلاثين فى بناء الخليل ، ومن الجهة الشامية واليمانية لايبلغ خمسة وعشرين وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم لم يبنها الا على قواعده غير أن قريشا استقصرت عن عرضها فى الجهة الشرقية والغربية أذرعا لأمر اقتضاه الحال هـذا معنى كلام الفاسى . ثم على تقدير حمل الخمسة والعشرين ذراعا فى بناء قصى على أنه ارتفاع البيت فى السماء وان كان يخالف المشهور فليس فيه دلالة لما رواه الأزرقى لنقصه ذراعين فيكون مانقله الازرقى مجرد رواية لم يعضدها شىء فلا يعول عليه والله الموفق وروى أن أبا وهب المخزومى قال لقريش عند بناء البيت لاتدخلوا فيه من كسبكم الا طيبا ولاتدخلوا فيه مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولامظلمة أحد من الناس ، فلهذا قصرت بهم النفقة فنقصوا بناء الكعبة عن قواعد ابراهيم والله أعلم .

﴿ وأما سبب بناء ابن الزبير رضى الله عنهما ﴾ فهو أن الحصين ابن نمير لما قدم مكة ومعه الجيش من قبل يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير جمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم فى المسجد الحرام حول الكعبة ونصب خياما يستظلون فيها من الشمس وكان الحصين قد نصب المنجنيق على أخشبى مكة وهما أبو قبيس والأحمر الذى يقابله ، وصار يرمى به على ابن الزبير وأصحابه فتصيب الأحجار الكعبة فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها عليها وصارت كأنها جيوب النساء . ثم ان رجلا من أصحاب ابن الزبير أوقد نارا فى بعض تلك الخيام مما يلى الصفا بين الركن الأسود واليمانى

والمسجد يومئذ صغير وكانت فى ذلك اليوم رياح شديدة والكعبة اذ ذاك مبنية بناء قريش مدماك من ساج ومدماك من حجارة فطارت الريح بشرارة من تلك النار فتعلقت بكسوة الكعبة فاحترقت واحترق الساج الذى بين البناء فازداد تصدع البيت وضعفت جدرانه وتصدع الحجر الاسود أيضا حتى ربطه ابن الزبير بعد ذلك بالفضة ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام أعنى الحصين وجماعته . وعن الفاكهى أن سبب حريق البيت انما كان من بعض أهل الشام أحرق على باب بنى جمح وفى المسجد يومئذ خيام فمشى الحريق حتى أخذ فى البيت فظن الفريقان أنهم هالكون قال الجد رحمه الله قلت وهذا يخالف ما ذكر من أن السبب فى ذلك انما هو من بعض أصحاب ابن الزبير ولعل ماذكره الفاكهى أصوب ، على أنه يمكن الجمع بوقوع كل من ذلك فيكون السبب مركبا . والله أعلم انتهى بمعناه

﴿ فائدة ﴾ أخرج الأزرقى عن محمد بن الحنفية أنه قال أول ما تكلم فى القدر حين احترقت الكعبة فقال رجل احترقت ثياب الكعبة وهذا من قدر الله . وقال آخر ما قدر الله هذا ثم جاء نعى يزيد بعد ذلك بتسعة وعشرين يوما والحصين مستمر على حصار ابن الزبير فأرسل ابن الزبير الى الحصين جماعة من قريش فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا له ان هذا من رميكم لها فأنكر ذلك ثم ولى راجعا الى الشام فدعا ابن الزبير حينئذ وجوه الناس واستشارهم فى هدم الكعبة فأشار عليه القليل من الناس بذلك وأبى الكثير ، وكان أشدهم اباء عبد الله

ابن عباس ، وقال دعها على ما أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها ، فقال ابن الزبير والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه فكيف أرقع بيت الله واستقر رأيه على هدمها رجاء أن يكون هو الذى يردها على قواعد الخليل صلوات الله عليه لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين . وفى رواية حديث عهدهم بكفر

﴿ نكتة ﴾ اعلم أن لمبتدأ الواقع بعد لولا ثلاثة أحوال مخبر عنه بكون غير مقيد ومخبر عنه بكون مقيد لا يدرك معناه عند حذفه ومخبر عنه بكون يدرك معناه عند حذفه . فمن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديثو عهد الحديث ولولا زيد غائب لم أزرك ، فالخبر فى هذا النوع واجب الثبوت بعد لولا لأنه لو اقتصر فى هذا الحديث على المبتدأ لصار المراد لولا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة وهو خلاف المقصود إذ من أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل وفى هذا الحال لا مانع من نقض الكعبة وبنائها على الوجه المذكور وقد ذكره ابن مالك فى شواهده على صحيح البخارى بأبسط من هذا فراجعه ان أردته ثم ان ابن الزبير رضى الله عنه أمر بهدم الكعبة وكان ذلك سنة أربع وستين من الهجرة فى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة أخرجه الأزرق . وقيل سنة خمس وستين فلم يجترئ على ذلك أحد وخرج أهل مكة الى منى وأقاموا بها ثلاثا خوفا أن ينزل عليهم عذاب بسبب ذلك

وخرج عبد الله بن عباس الى الطائف فلما رأى ذلك ابن الزبير علاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها فلما رأوا أنه لم يصبه شئ صعدوا معه وهدموا وأرقى ابن الزبير عبيدا من الحبشه يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة

﴿ لطيفة ﴾ قال بعض العلماء انما صغر ذو السويقتين لأن فى سيقان الحبشة دقة وحموشة أى بالحاء المهملة والشين المعجمة قال فى الصحاح : رجل أحمش الساقين دقيقهما (أقول) فعلى هذا يكون العطف تفسيريا انتهى . قال الجد رحمه الله فان قلت هذا الحديث ظاهره معارض لقوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ولأن الله تعالى حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن إذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين قلت (الجواب) أن ذلك محمول على وقوعه فى آخر الزمان قريب من قيام الساعة حيث لا يبقى فى الأرض قرآن ولا ايمان انتهى بمعناه (أقول) ويؤيده ماروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال قال الله تعالى إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره انتهى قال شيخ الإسلام فى فتح البارى وما وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له فى زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده وفى وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة كل ذلك لا يعارض الآية أعنى قوله أو لم يروا لأن ذلك انما وقع بأيدى المسلمين فهو مطابق لقوله

صلى الله عليه وسلم ولن يستحل هـذا البيت إلا أهله وليس فى الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها انتهى وقال الزركشى والحق فى الجواب أنه لا يلزم من قوله حرماً آمناً وجود ذلك فى كل الأوقات فلا يعارضه ارتفاع هـذا المعنى فى وقت آخر فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم انى أحلت لى مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها الى يوم القيامة قلنا أما الحكم بالحرمة والا من فلم يرتفع الى يوم القيامة وأما وقوع الخوف فيها وترك حرمتها فقد وجد ذلك فى أيام يزيد وغيرها انتهى . وعن الحليمى من الشافعية أن تخريب الحبشة لبيت يكون فى زمن عيسى عليه السلام والصحيح أن ذلك بعد موته ولما انتهى ابن الزبير رضى الله عنه من هدم البيت حفر عن الأساس من نحو الحجر بكسر الحاء ليقف على قواعد ابراهيم فلم يصب شيئاً فشق عليه ذلك فبالغ فى الحفر ونزل بنفسه فكشفوا له عن قواعد ابراهيم فاذا هى صخر أمثال الخلف من الابل بالخاء المعجمة واللام . وعن عطاء أنه قال كنت من الامناء الذين جمعوا على حفره فحفروا قامة ونصفاً فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد عروق المروة فحركوها بالعتال فتحركت قواعد البيت وارتجت مكة بأسرها ورأوه بنياناً مربوطا بعضه ببعض فحمد الله ابن الزبير وكبر ثم أحضر الناس وأمرهم بالاشراف فنزلوا وشاهدوا ذلك فشرع حينئذ فى أمر البناء وأراد أن يبنيها بالورس فقيل له ان الورس يذهب ولكن ابنها بالقصة وأخبر أن قصة صفا أجود فأرسل بأربعمائة دينار يشترى بها ذلك . وفى الزهر الباسم أنه بناها بالرصاص المذاب بالورس ثم انه

سأل رجالا من أهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها ، فأخبروه بمقلعها ، فنقل ما احتاج اليه وعزل من حجارة البيت ما يصلح أن يعاد فيه ثم بنى على تلك القواعد بعد أن جعل أعمدة من الخشب وستر عليها الستور ليطوف الناس من ورائها ويصلون اليها حتى ارتفع البناء ، وأخرج الأزرق أن البناء لما صار ثمانية عشر ذراعا فى السماء وكان هذا طولها يوم هدمها قصرت حينئذ لأجل الزيادة التى زادها من الحجر ، فلم يعجب ابن الزبير ذلك اذ صارت عريضة لا طول لها ، فقال قد ما كانت قبل قريش تسعة أذرع ، وزادت قريش تسعة أذرع وأنا أزيد تسعة أخرى فبناها سبعة وعشرين ذراعا وعرض الجدار ذراعان وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد وكانت قريش جعلت فيها ست دعائم فى صفين ، وأرسل الى صنعاء فأتى برخام منها يقال له البلق فجعله فى الروزان الذى فى سقفها للضوء انتهى . (أقول) هذا يخالف ما تقدم عن الأزرق من أن طول البيت كان سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش الخ كما سبق الكلام فيه انتهى . وجعل ابن الزبير للبيت بابين متقابلين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه ، وفى شفاء الغرام أنهما لاصقان بالأرض . قال الحافظ بن حجر جميع الروايات التى جمعتها فى هذه القصة متفقة على أن ابن الزبير جعل الباب بالأرض ومقتضاه أن يكون الباب الذى زاده على سمته ، وقد ذكر الأزرقى أن جملة ما غيره الحجاج الجدار الذى من جهة الحجر والباب المسدود الذى فى الجانب الغربى عن يمين الركن اليمانى وما تحت عتبة الباب الأصلى وهو أربعة أذرع وشبر ، وهذا موافق لما فى الرواية المذكورة لكن

المشاهد الآن فى ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الأصلى ، وهو فى الارتفاع مثله ومقتضاه أن يكون الباب الذى فى عهد ابن الزبير لم يكن لاصقاً بالأرض فيحتمل أن يكون لاصقاً كما صرحت به الروايات لكن الحجاج لما غيره رفعه ورفع الباب الذى يقابله أيضاً ثم بدا له فسد الباب الجدد . لكن لم أر النقل بذلك صريحاً ثم قال ، وذكر الفاكهى أنه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة فى سنة ثلاث وستين ومائتين فاذا هو مقابل باب الكعبة ، وهو بقدره فى الطول والعرض وفى أعلاه كلاليب ثلاثة كما فى الباب الموجود سواء ، والله أعلم انتهى . قال الجد رحمه الله قوله ويحتمل أن يكون لاصقاً كما صرحت به الرواة فيه بعد اذ مشاهدة البناء من أسفل الباب وارتباط بعضه ببعض يقضى بخلاف ذلك ، والله أعلم انتهى . (أقول) وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعله مصراعين ولما انتهى الى موضع الحجر الأسود تحرى غفلة الناس نصف النهار فى يوم صائف ، وجاء بالحجر هو وولده وجبير ابن شيبة ووضعوه بأيديهم كذا فى الزهر الباسم وقيل بل الحجبة تواعدوا لوضع الركن فلما دخل ابن الزبير فى صلاة الظهر خرجوا به فوضعوه فأدركهم حمزة بن عبد الله بن الزبير فأخذ بطرف الثوب فرفعه معهم وقيل بل وضعه ابن الزبير بنفسه وشده بالفضة ، وقيل وضعه عباد بن عبد الله بن الزبير وجبير بن شيبة أمرهما عبد الله بن الزبير أن يجعلا الركن فى ثوب ويخرجا به ، وهو يصلى بالناس الظهر على غفلة من الناس لئلا يعلموا بذلك فيتنافسوا فى وضعه . أخرجه الأزرقى ، وقيل وضعه

حمزة ابنه وحده بأمر أبيه نقله السهيلى بالصواب ، وكان الحجر قد تصدع من الحريق وانفرق ثلاث فرق ، وانشظت منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد الحريق بدهر طويل فشده ابن الزبير بالفضة الا تلك الشظية ، وموضعها بين فى أعلى الركن . ثم تزلزلت تلك الفضة بعد ذلك وتقلقلت حتى خيف على الحجر فلما اعتمر هارون الرشيد فى سنة تسع وثمانين ومائة أمر بنقب الاحجار التى فوق الحجر والتى تحته فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة . ولما فرغ ابن الزبير رضى الله عنه من بناء الكعبة وذلك فى سابع وعشرين من رجب من سنة خمس وستين خلق جوفها بالعنبر والمسك ولطخ جدرانها من خارج بذلك من أعلاها الى أسفلها وسترها بالديباج ، وقيل بالقباطى وما فضل من الحجارة فرشها حول البيت ، وقال من كانت لى عليه طاعة فليعتمر من التنعيم شكرا لله عز وجل ومن قدر أن ينحر بدنة فلينفعل ، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة ، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله . ثم خرج ماشيا حافيا وخرج معه رجال من قريش مشاة حفاة عبد الله بن صفوان وعبيد ابن عمير فأحرم من أكمة امام مسجد عائشة رضى الله عنها بمقدار غلوة تقارب المسجد المنسوب لعلى ، وجعل طريقه على ثنية الحجون ، ودخل من أعلى مكة وطاف بالبيت ، واستلم الاركان الاربعة ، وقال انما كان ترك استلام الركنين يعنى الشامى والغربى لأن البيت لم يكن تاماً يعنى على قواعد ابراهيم ، وصارت هذه العمرة سنة عند أهل مكة فى هذا اليوم يعتمرونها فى كل سنة الى يومنا هذا وأهدى ابن الزبير فى تلك

العمرة مائة بدنة نحرها من جهة التنعيم ، وبعض طرق الحل ولم يبق من أشراف مكة وذوى الاستطاعة بها الا من أهدى وأقاموا أياما يتطاعمون و يتهادون شكرا لله تعالى على الاعانة والتيسير على بناء بيته الحرام بالصفة التى كان عليها مدة الخليل عليه السلام ، والله أعلم .

﴿ وأما سبب بناء الحجاج وتغييره ﴾ بعض ماصنعه ابن الزبير فهو أن ابن الزبير رضى الله عنه لما قتل كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير قد زاد فى الكعبة ماليس منه وأحدث فيها بابا آخر واستأذنه فى رد ذلك على ما كان عليه من بناء قريش. فكتب اليه عبد الملك : لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شىء أما مازاد فى طوله فأخره وأما ما زاد فيه من الحجر بكسر الحاء فرده الى بنائه وسد بابه الذى فتحه يعنى الغربى فبادر الحجاج عند ذلك ونقض الشق الذى يلى الحجر بالكسر أيضا و بناه ورفع بابها وسد الباب الغربى. وقد روى غير واحد من أهل العلم أن عبد الملك ندم على اذنه للحجاج فى ذلك ولعن الحجاج لما أخبره الحارث أن عبد الله بن أبى رفيعة سمع الحديث من عائشة رضى الله عنها الذى اعتمده ابن الزبير فيما فعله فى الكعبة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك الخ وكل شىء فيها الآن بناء ابن الزبير ماعدا الجدار الذى فى الحجر وسد الباب الغربى وتغيير ماتحت عتبة الباب الشرقى والدرجة التى فى باطنها ، وروى أن هرون الرشيد أو أباه المهدى أو جده المنصور سأل مالك بن أنس رضى الله عنه فى هدمها وردها الى بناء ابن الزبير للحديث المذكور ، فقال مالك نشدتك الله ياأمير المؤمنين أن لا تجعل

هـذا البيت ملعبة للملوك لايشاء أحد الا نقضه و بناه فتذهب هيبته من صدور الناس . قال الفاسي وكأن مالكا لحظ فى ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح وهى قاعدة مشهورة معتمدة انتهى والله أعلم

فصل فى ذكر كنز الكعبة والحكم فيه

روى البخارى عن أبى وائل قال جلست مع شيبة يعنى ابن عثمان على الكرسى فى الكعبة فقال لقد جلس هذا المجلس عمر ثم قال لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمته . قلت : ان صاحبيك لم يفعلا قال يعنى عمرهما المرآن أقتدى بهما . (أقول) جلوس شيبة على الكرسى فى الكعبة قال المحب الطبرى لما أخبر شيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لم يتعرضا للمال رأى عمر أن ذلك هو الصواب وكأنه رأى حينئذ أن ماجعل فى الكعبة يجرى مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره أو رأى ترك ذلك تورعا حين أخبر أنه تركه صاحباه مع رؤيته جواز انفاقه فى سبيل الله لأن صاحبيه انما تركاه للعذر الذى تضمنه حديث عائشة رضى الله عنها انتهى . وقال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله يحتمل أن يكون تركه صلى الله عليه وسلم لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد بناء ابراهيم ، ويؤيده ماوقع عند مسلم فى بعض طرق الحديث ولأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض وهذا التعليل هو المعتمد عليه فانفاقه جائز كما جاز لابن الزبير بناؤها على

قواعد ابراهيم لزوال سبب الامتناع انتهى .

﴿ فائدة ﴾ أخرج الأزرقي في تاريخه أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في الجب الذي في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت ، وان على بن أبي طالب رضي الله عنه قال يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه ، وأخرج أيضا أن الحسين بن الحسين العلوي عمد الى خزانة الكعبة في سنة مائتين من الفتنة حين أخذ مكة فأخذ مما فيها مالا عظيما وقال ماتصنع الكعبة بهذا المال نحن أحق به نستعين به على حربنا ، ويروى أن مال الكعبة كان يدعى الأبرق ولم يخالط مالا قط الا محق وأدنى مايصيب آخذه أن يشدد عليه عند الموت .

﴿ فروع الأول ﴾ تختص الكعبة الشريفة بما يهدى اليها وما ينذر لها من الأموال وامتناع صرف شيء منها الى الفقراء والمصالح الا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه والا فلا يغير شيء عن وجهه نبه عليه الزركشي من الشافعية (الثاني) اذا نذر شمعاً يشعله فيها أو زيتاً ونحوه وضعه في مصابيحها وان كان لايستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها صرح به الماوردي . (الثالث) نقل الجد في منسكه مسألة تعم بها البلوى ، فقال شخص نذر أن يوقد شمعاً على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به وأوقده على الباب قليلا ، فجاء الحجبة فأخذوه ومنعوا استمرار وقوده ، وقالوا هذه عادتنا مع كل أحد وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد ايقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه

أو ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال (الجواب) الناذر خلص عن عهدة المنذور لبلوغه محله وكون الحجبة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر فى ذمة الناذر ولا المرسل معه وان كان على الحجبة إبقاؤه موقودا الى نفاده ولاخفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ماتقدم كان الحكم كذلك. ومحل صحة هذا النذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود ولو على ندور مصل هناك أو غيره والا فان كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة ومقتضى كلام النووى عدم الصحة وصرح به الأذرعى وتبعه الزركشى انتهى (أقول) مقتضى مذهبنا أن المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد إيصال الشمع الى المحل بل ولا بوقوده قليلا ما لم يوقد ثلثاه فأكثر . وأما الحجبة فلهم أخذه بغير إذن المرسل اذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه نص عليه فى القنية من كتب المذهب انتهى (الرابع) تصح صلاة الفرض والنفل عندنا فى الكعبة من غير كراهة بجماعة وغيرها وتجوز فوق سطحها من غير ساتر مع الكراهة ومذهب الامام الشافعى رحمه الله كمذهبنا فى جواز الفرض والنفل فى باطن الكعبة بل هو الأفضل عنده لكن يشترط فى الفريضة أن لا يرجو المصلى جماعة خارج الكعبة . قال الشافعى رحمه الله ما تفوتنى فريضة فى جماعة فأصليها فى موضع أحب الى من بطن البيت لأن البقاع اذا فضلت بقربها منه فبطنها أفضل منها ، وأما صحة الصلاة على سطحها فيشترط أن يكون أمام المصلى شاخص قدر ثلثى ذراع تقريبا من جدار الكعبة وهو الصحيح من مذهبه ومذهب الامام

مالك رضي الله عنه عدم جواز الفريضة في جوف البيت وكذلك السنن المؤكدة كالعيدين والوتر وركعتي الفجر وما أشبهها على مشهور مذهبه وأما النفل فيجوز وأما الصلاة على سطحها فالمشهور عنده المنع ومذهب الامام أحمد رضي الله عنه أن صلاة الفريضة في الكعبة لا تصح وفي النافلة خلاف بين أصحابه والأصح الصحة وكذا الحكم في السطح عندهم في الفريضة والنافلة

(فصل في الكلام على دخوله صلى الله عليه وسلم)

الكعبة الشريفة بعد الهجرة وصلاته فيها

وبيان مصلاه منها وعدم دخوله

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة يوم الفتح نزل بفناء الكعبة وبعث الى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح وفتح له الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فاغلقها عليهم ومكث فيها ما شاء ثم خرج، قال ابن عمر رضي الله عنهما فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ركعتين . وفي البخاري عن ابن عمر أيضاً أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع فيصلي توخى المكان الذي

أخبره بلال أن رسول صلى الله عليه وسلم صلى فيه . وقد أوضح ابن عمر رضى الله عنه موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم فى الحديث ايضاحا شافيا وأخرج الأزرقى أن معاوية لما دخل الكعبة استدعى ابن عمر وهو فيها فقال له يا أبا عبد الرحمن أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال بين العمودين المقدمين اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة ﴿ فوائد الاولى ﴾ قال الحافظ أبو الفضل العراقى و ينبغى لمصلى أن لا يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع فان كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان ذراعين فقد وقع وجه المصلى وذراعاه فى مكان قدمى النبى صلى الله عليه وسلم فهذا أولى من التقدم عنه والله أعلم انتهى (الثانية) ادخال النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الثلاثة معه لمعان تخص كل واحد منهم

﴿ أما دخول عثمان بن طلحة ﴾ فلئلا يتوهم الناس أنه عزله أو لأنه كان يقوم بفتح الباب واغلاقه

﴿ وأما بلال ﴾ فلكونه مؤذنه وخادم أمر صلاته

﴿ وأما أسامة ﴾ فلأنه كان يتولى خدمة ما يحتاج اليه (الثالثة) ان الحكمة فى غلق عثمان الباب عليهم لأمرين لئلا يزدحم الناس عليه صلى الله عليه وسلم ولئلا يظنوا أن الصلاة فيه سنة قاله الكرمانى . وهذا الدخول الذى وقع فى يوم الفتح هو أول دخوله صلى الله عليه و سلم بعد الهجرة ولا خلاف فيه بين العلماء كما ثبت ذلك عن ابن عمر فى الصحيحين وغيرها . وقيل انه دخل البيت بعد ذلك ثلاث مرات أخر : الاولى

فى ثانى الفتح لحديث أخرجه الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى مسنده عن أسامة رضى الله عنه وفيه أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين ولم يصل يوم الفتح . الثانية فى عمرة القضية لما رواه المحب الطبرى فى الغرر عن عروة بن الزبير . الثالثة فى حجة الوداع لما أخرجه أبو دواد فى سننه عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها وقد ضعفها العلماء وبين الفاسى رحمه الله ما فيها من الوهن والضعف . ونقل الأزرقى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم انما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج ولم يدخلها انتهى والله أعلم . وهذا يدل على عدم دخوله فى المرات الثلاثة

﴿ استطراد مفيد ﴾ أجمع العلماء وأصحاب السير والمحدثون أن حجة الوداع كانت وقفتها الجمعة بلا ريب ونقل النووى فى الروضة أن وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت ضحوة يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول كذا نقله ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير وهو مذهب الجمهور الراجح ، واعترضه بعض العلماء بأنه لا يستقيم أن تكون وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول حيث كانت الوقفة فى عام حجة الوداع [1] سواء تمت الشهور الثلاثة التى بقيت من عمره صلى الله عليه وسلم أم نقصت أم تم بعضها لأنها ان تمت كان الثانى عشر من ربيع الاحد لأنه يكون أول ذى الحجة الخميس وآخره الجمعة وأول المحرم السبت وآخره الأحد وأول صفر الاثنين وآخره

---

(١) الظاهر الجمعة

الثلاثاء وأول ربيع الأربعاء وحينئذ يكون ثانى عشره الاحد وان نقص شهر واحد كان أول ربيع الثلاثاء فيكون ثانى عشره السبت وإن نقص شهران كان أول ربيع الاثنين وثانى عشره الجمعة وان نقصت الثلاثة كان أول ربيع الأحد وثانى عشره الجمعة . قال العلامة ابن العماد وهـذا الاعتراض ساقط من أصله والصواب ماقاله الجمهور وصاحب الروضة وذلك أن التاريخ انما يقع برؤية الهلال والاهلة تختلف بحسب اختلاف المطالع وكل قطر يؤرخون ويصومون برؤيتهم ولا يعتبرون رؤية من بعد عنهم كما قاله الأصحاب واتفقوا عليه فى كتاب الصيام ، فحينئذ فأهل مكة رأوا هلال الحجة ليلة الخميس ووقفوا الجمعة وأهل المدينة يجوز أنهم رأوه ليلة الجمعة لأن مطلعهم مختلف مع أهل مكة فاذا تمت الشهور كان أول ذى الحجة الجمعة وآخره السبت وكان أول ربيع الأول الخميس فيكون ثانى عشره الاثنين وهـذا الجواب صحيح ، ويتصور أيضاً بغير هـذا . والعجب ممن يقدم على تغليط جمهور العلماء ويغفل عن قاعدة التاريخ وأقوال العلماء فى اختلاف المطالع ورؤية الاهلة . انتهى ماقاله ابن العماد ملخصا من سيرته وهو قول عظيم وبحث مستقيم فلهذا أثبته والله أعلم

﴿ وقد استحب الائمة الأربعة رضى الله عنهم ﴾ دخول الكعبة واستحسن مالك كثرة دخولها ونقل عن بعض العلماء عدم استحباب ذلك مستدلا بما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى وهو قرير العين وطيب النفس ثم

رجع الىّ وهو حزين فسألته فقال انى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن فعلت انى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى أخرجه أحمد والترمذى . ولا دلالة فيه على ذلك بل دخوله صلى الله عليه وسلم دليل الاستحباب وتمنيه عدم الدخول قد علله عليه السلام بالشفقة على أمته ولا يرفع ذلك حكم الاستحباب قاله المحب الطبرى (اعلم) أن لدخول الكعبة آدابا كثيرة (منها) الاغتسال كما روى عن بعض العلماء (ومنها) نزع الخف والنعل لما فى سنن سعيد بن منصور عن عطاء ومجاهد وكرهه مالك رضى الله عنه وهو مذهب أحمد رضى الله عنه (أقول) مقتضى مذهبنا عدم كراهة ذلك قياساً على الصلاة فى الخف والنعل قال فى النصاب من كتب المذهب المختار أن الصلاة فى الخفاف والنعل أقرب الى حسن الأدب انتهى . والله الموفق

﴿ فائدة ﴾ أخرج الأزرقى أن قريشاً لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف والنعل ولم يدخل بهما الكعبة اعظاما لها الوليد ابن المغيرة فجرى ذلك سنة . والوليد هذا هو جدنا لأن نسب بنى ظهيرة متصل به وكان إسلامه (١) (ومنها) أن لايرفع بصره الى السقف لحديث عائشة رضى الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها أخرجه البيهقى فى سننه والحاكم فى المستدرك قال المحب الطبرى وانما كره ذلك لأنه يولد الغفلة واللهو عن القصد (ومنها) أن لايزاحم زحمة شديدة يتأذى بها

---

(١) بياض بالأصل

أو يؤذى نص عليه النووى وغيره (ومنها) أن لا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر (ومنها) أن يلزم قلبه الخشوع والخضوع وعينيه الدموع ان استطاع ذلك (ومنها) أن لا يسأل مخلوقاً لما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال لما دخل هشام بن عبد الملك الكعبة وجد سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال سلنى حاجتك فقال انى أستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره. وذكر الفاكهى أن التارك لسؤال هشام انما هو منصور الحجبى والله أعلم

فصل فى ثواب دخول الكعبة الشريفة

وفيما يطلب من الأمور التى فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما ثواب دخولها فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دخل البيت فصلى فيه دخل فى حسنة وخرج من سيئة مغفورا له » ومثله عن ابن عمر رضى الله عنهما وفى رسالة الحسن البصرى عنه صلى الله عليه وسلم « من دخل الكعبة دخل فى رحمة الله عز وجل وفى حمى الله عز وجل وفى أمن الله عز وجل ومن خرج خرج مغفورا له » وفى رواية عن مجاهد أنه زاد يخرج معصوما فيما بقى نقله ابن جماعة ثم قال يحتمل أنه يريد بذلك العصمة من الكفر فتكون فيه البشارة لمن دخله بالموت على الاسلام وعن عطاء رضى الله عنه قال لأن أصلى ركعتين فى الكعبة أحب الى من أن أصلى أربعا فى المسجد الحرام . وعن الحسن أنه قال : الصلاة فى الكعبة تعدل

مائة ألف صلاة أخرجها الفاكهى . وأخرج الأزرق عن موسى بن عقبة قال طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسابيع كلما طفنا سبعاً دخل الكعبة فصلى فيها ركعتين وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفى لنفسه بعد أن دخل الكعبة

أبعد دخول البيت والله ضامن ... يبقى قبيح والخطايا الكوامن

فحاشا وكلا بل تسامح كلها ... ويرجع كل وهو جذلان آمن

﴿ وأما ما يطلب فى الكعبة من الأمور التى فعلها رسول الله ﴾ صلى الله عليه وسلم فالتكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى والدعاء والاستغفار للاحاديث الدالة على ذلك فى الصحيحين وغيرها وفيها أيضاً عن أسامة أنه صلى الله عليه وسلم حين خرج من البيت ركع قبل البيت ركعتين وقال هذه القبلة وقبل بضم القاف والباء الموحدة ويجوز اسكان الموحدة وهو ما استقبلك منها . وفى معنى قوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة ثلاث احتمالات (الأول) أن أمر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم وصلوا اليه أبدا (والثانى) أن معنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم علمهم سنة موقف الامام وأنه يقف فى وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها وان كانت الصلاة فى جميع جهاتها مجزئة قالهما أبو سليمان الخطابى رحمه الله (الثالث) قاله النووى رحمه الله فى شرح مسلم بعد ذكره للاحتمالين الأولين وهو أن معناه هذه الكعبة هى المسجد الحرام الذى أمرتم باستقباله لا كل الحرم ولا مكة ولا كل المسجد الذى حول الكعبة بل هى

الكعبة نفسها فقط . والله أعلم (أقول) قد ظهر لى احتمال آخر لم أر أحدا ذكره وهو أنه يحتمل أن يكون المراد بقوله هذه القبلة التعظيم والتشريف والتأكيد لأمرها والاشادة بذكرها على حد قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه عند الحجر الأسود ههنا تسكب العبرات والله الموفق . وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت وقف عندكل ركن واستقبله بالتكبير والثناء والاستغفار . وأخرج الفاكهى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا بماء فصبه على جسده ، قال الفاسى رحمه الله وهذا غريب جدا والله أعلم بصحته ولا أعلم أحدا من أهل العلم قال باستحبابه انتهى (ومن الأمور) التى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة على ما قيل انه ألصق بطنه وظهره بها واستحب ذلك الحافظ العراقى ونقل الطبرى الكراهة فى ذلك . والله تعالى أعلم .

﴿ فائدة ﴾ ذكر ابن الصلاح رحمه الله فى منسكه أن مما أحدثه بعض الفجرة فى جوف الكعبة بعد الستمائة بدعتين : احداهما العروة الوثق وذلك أنهم عمدوا الى موضع عال داخل الكعبة مقابل الداخل من بابها فسموه بالعروة الوثق وأوقعوا فى العقول الضعيفة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثق فألجأهم ذلك الى أن يقاسوا فى الوصول الى ذلك المحل عناء وشدة بحيث يركب بعضهم بعضا وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجل ولامسوها فيلحقهم بذلك أنواع الضرر دنيا ودينا . الثانية أن فى وسط البيت مسمارا سموه سرة الدنيا وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم سرته وينبطح على ذلك المسمار فلا قوة الا بالله انتهى .

قال السيد الفاسي رحمه الله وهذان الأمران لا أثر لهما الآن فى الكعبة . وكان زوال البدعة المسماة بالعروة الوثقى فى سنة إحدى وسبعمائة بأمر بعض العلماء الواردين فى السنة المذكورة انتهى، ولم يذكروا زوال البدعة الأخرى متى كان (أقول) قول ابن الصلاح رحمه الله فيما تقدم وربما صعدت الأنثى فوق الذكر فيه دلالة على دخول النساء والرجال اذذاك جميعا وانما اختص النساء بانفرادهن فى الدخول بعد ذلك انتهى .

الباب الرابع

فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة

زادها الله شرفا وتطييبها وتحليتها ومعاليقها

روى الأزرقى رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن سب أسعد الحميرى وهو تبع لأنه أول من كسا الكعبة فى الجاهلية كما تقدم فكساها المسوح ثم الأنطاع ثم الخصر ثم الوصائل وجعل لها بابا يغلق وفى ذلك يقول :

وكسونا البيت الذى حرم الله ه ملاء مقصباً وبرودا

وأقمنا به من الشهر عشراً   وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا   قد رفعنا لواءنا معقودا

ويروى أنه لما كساها المسوح والانطاع انتفضت فأزال ذلك عنها وكساها الخصف فانتفضت أيضا فلما كساها الملاء والوصائل قبلتها (أقول) مقتضى ما رواه الأزرقى من النهى عن سب تبع كونه كسا البيت . وقد علمت فيما سبق من خبره أنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وأنه كتب بذلك كتابا وأودعه للعالم الذى أبرأه من علته وأوصاه أن يوصله الى النبي صلى الله عليه وسلم ان أدركه هو أو واحد من ولده وكان الأمر كذلك وان الكتاب وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ عليه فقال مرحبا بالأخ الصالح فينبغى أن لا يسب تبع مطلقاً لأنه من جملة المؤمنين والمؤمن لا يباح سبه . وأيضا قد تقدم ان تبعا لما كسا البيت وخرج من مكة قصد المدينة المشرفة ، وقوله هنا فى ثالث الأبيات المنسوبة اليه وخرجنا منه نؤم سهيلا يدل على خلاف ذلك والله أعلم بالحقائق انتهى وقيل ان اسماعيل عليه السلام أول من كسا الكعبة وكانت فى الجاهلية تكسى أكسية شتى ما بين وصائل وانطاع وكرار وخز ونمارق عراقية واذا خلق منها شىء أخلف مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شىء من ذلك وكساها فى الاسلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمنية ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وابن الزبير ومن بعدهما ويقال ان أول من كسا البيت الديباج الحجاج . وقيل يزيد بن معاوية وقيل ابن الزبير ، وقيل عبد الملك بن مروان. وكانت الكعبة فيما مضى

انما تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحجاج حتى كانت دولة بنى هاشم فكانوا يعلقون عليها القميص من الديباج يوم التروية لكى يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فاذا كان يوم عاشوراء علقوا الازار . وكان عمر رضى الله عنه يكسوها من بيت المال وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ما كان يجلل به بدنه من القباطى والحبرات والانماط وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان لأجل العيد ، والقباطى بفتح القاف جمع قبطية بضم القاف وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب الى القبط والضم فيه من تغيير النسب والضم خاص بالثياب ، وأما فى الناس فقبطى بكسر القاف لاغير ، والوصائل ثياب حمر مخططة يمانية. والحبرات جمع حبرة وهو ما كان من البرود مخططا أيضا وهو من ثياب اليمن ويقال له برد حبرة وبرد حبرة على الوصف وعلى الاضافة . والعصب برود يمانية يعصب غزلها ويشد ثم يصبغ وهو على الوصف والاضافة أيضا . والانماط ضرب من البسط واحدها نمط . وممن كسا البيت الصليحى صاحب اليمن ومكة وذلك فى زمن الحاكم العبيدى والمستنصر العبيدى وكانت من الديباج الأبيض وكساه أيضا من ملوك العجم السلطان شاه رخ صاحب شيراز بعد مراسلته واستئذانه لملوك مصر وارسال الكسوة الى مصر ثم وصلت الى مكة صحبة الحاج وذلك سنة خمس وخمسين وثمانمائة . وكساه أيضا السلطان محمود بن سبكتكين

الديباج الأصفر ، وذلك فى سنة ست وستين وأربعمائة

﴿ فوائد الأولى ﴾ كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحاج (الثانية) ذكر بعض العلماء حكمة حسنة فى سواد كسوة الكعبة ، فقال كأن البيت يشير الى أنه فقد أناسا كانوا حوله فلبس السواد حزنا عليهم (الثالثة) ممن كسا الكعبة من غير الملوك أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير ، وسبب ذلك أنها أضلت العباس وهو صغير فنذرت ان وجدته أن تكسو الكعبة فوفت بذلك ، وهى أول عربية كستها الحرير ، ومنهم الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة كساها الحبرات وغيرها ، وكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار وقيل بأربعة آلاف دينار وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . ورباطه المذكور يعرف الآن برباط ناظر الخاص على يمين الخارج من باب الحزورة أحد أبواب المسجد الحرام ، ويقال ان عدنان كساها أيضاً كذلك وخالد بن جعفر بن كلاب . (الرابعة) نقل القاضى تقى الدين رحمه الله ان كسوة البيت فيما مضى كان يطلع بها أمير الحاج معه الى الموقف بعرفة فاذا كان يوم النحر يأتى بها من منى الى مكة لأجل اللبس ثم صار أمراء الحاج بعد ذلك يضعونها فى الكعبة قبل الصعود الى الحج وموجبه أن بعضها كان سرق فى بعض السنين من محلة أمير الحاج بمنى ثم عاد اليه بمال بذله انتهى بمعناه (الخامسة) أول من كسا الكعبة الديباج الأسود الناصر العباسى . فاستمر ذلك الى يومنا هذا . ولم تزل الملوك يتداولون كسوتها الى أن وقف عليها الصالح

اسماعيل بن الناصر بن قلاوون قرية من قرى نواحى القاهرة يقال لها بيسوس ، وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وكان الناصر العباسى كسا البيت ديباجا أخضر قبل الأسود . (السادسة) نقل الفاسى رحمه الله أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة فى كل سنة مع جانب كبير من كسوتها أو ستة آلاف درهم كاملية عوضاً عن ذلك الى أن رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مغاس لما ولى أمر مكة فى آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وتبعه أمراء مكة فى الغالب . ثم ان السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ويهديهما لمن يريد من الملوك وغيرهم انتهى ، وقد استمر الأمر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن مع الحجبة الى يومنا هذا ، وأخرج الأزرقى رحمه الله عن شيبة بن عثمان أنه دخل على عائشة رضى الله عنها ، فقال يأم المؤمنين ان الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر ، فنعمد الى بئر فنحفرها وندفن فيها ثياب الكعبة لئلا يلبسها الجنب والحائض ، فقالت عائشة رضى الله عنها : ما أصبت وبئس ماصنعت ان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لايضرها من لبسها من حائض أو جنب ولكن بعها وتصدق بثمنها ، ونقل جواز البيع عن ابن عباس أيضا

﴿ فروع الأول ﴾ يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا اذا استغنت عنه وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم ، ويجوز الشراء من بنى شيبة لأن الأمر مفوض اليهم من قبل الامام نص عليه الطرسوسى من أصحابنا فى شرح منظومته ، ووافقه السبكى من الشافعية ، ثم قال وعليه عمل

الناس ، والمنقول عن ابن الصلاح أن الأمر فيها الى الامام يصرفها فى بعض مصارف بيت المال بيعاً واعطاء ، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفى قواعد صلاح الدين خليل بن كيكلدى انه لايتردد فى جواز ذلك الآن لأجل وقف الامام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها فى كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها ، واستحسن النووى الجواز أيضاً . قال الجد رحمه الله هذا فى الستور الظاهرة وأما الستور الداخلة فلا تزال بل تبقى على ماهى عليه لأن الكلام انما هو فى الستور التى جرت العادة أن تغير فى كل عام فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك فى الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة انتهى (الثانى) لو نذر شخص أن يكسو البيت صح نذره وستره بالحرير أو بغيره لأن ذلك من القربات ذكره النووى رحمه الله (الثالث) لو سرق انسان شيئا من ستر الكعبة أو من فضة بابها لايقطع عندنا لعدم الجواز والله أعلم .

ذكر تطييب الكعبة المشرفة

روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره ولأن أطيب الكعبة أحب الى من أن أهدى لها ذهبا وفضة أخرجه الأزرقى ، وقد تقدم أن ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها وظاهرها بالعنبر والمسك من أعلاها الى أسفلها ثم كساها وكان يجمرها فى كل يوم برطل من الطيب ، وفى يوم الجمعة برطلين

وأجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة فكان يبعث به في الموسم وفي رجب وأخدمها عبيدا بعث بهم اليها ثم تبعه الولاة بعد ذلك ، وهو أول من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال. ولما حج المهدى أمير المؤمنين سنة ستين ومائة رفع اليه أنه قد اجتمع على الكعبة ثياب كثيرة حتى انها قد أثقلتها ، ويخشى على الجدران من ذلك فأمر بتجريدها ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر ثم كساها ثلاثة ثياب قباطى وخز وديباج وهو جالس في المسجد مما يلى دار الندوة ينظر اليها وهى تطلى ، وقيل ان مافى أحجارها من السمرة انما حصل من آثار تلك الغالية (فرع) قال النووى رحمه الله لايجوز أخذ شىء من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره ومن أخذ شيئاً من ذلك لزمه رده فان أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه .

ذكر تحلية الكعبة شرفها الله تعالى

أخرج الأزرقى رحمه الله ان أول من حلى الكعبة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين الذهب اللذين وجدهما فى زمزم حين حفرها وسيأتى الكلام على سبب حفر زمزم فى محله ان شاء الله تعالى . وأما فى الاسلام فالوليد بن عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب ، وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى داخلها والأركان ثم لما ولى الأمين بن الرشيد أرسل أيضا الى عامله بمكة

سالم بن الجراح بثمانية عشر الف دينار ليحلى بها باب الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها مابعثه الأمين وضربه صفائح ومسامير وحلى به الباب ، وجعل له حلقتين ذهبا ، وقيل أول من حلى البيت عبد الملك أبو الوليد ، وقيل ابن الزبير ثم حلاه الملوك وغيرهم بعد ذلك (فرع) قال النووى والرافعى تحرم تحلية الكعبة بالذهب والفضة وكذا سائر المساجد وخالفهما السبكى وأفتى بالحل وقال ان المنع لاسيما فى الكعبة بعيد وغريب فى المذاهب كلها قل من ذكره فلا وجه له ولا دليل يعضده ، وهذا فى التحلية بصفائح النقدين وأما التمويه فلا أمنع من جريان خلاف فيه لأن فى ذلك افسادمالية انتهى . ونقل الامام أبوالليث السمرقندى من أئمتنا اباحة ذلك عن أبى حنيفة رضى الله عنه ثم قال وعندى أنه لا بأس به اذا لم يكن من غلة المسجد .

ذكر معاليق البيت الشريف
وما أهدى بعد مضى الجاهلية

أخرج الأزرقى رحمه الله فى أخبار مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان من الذهب فبعثهما عمر الى الكعبة وعلقهما فى جوفها ، وبعث عبد الملك بن مروان بشمستين وقدحين من قوارير ، وبعث ابنه الوليد قدحين أيضا ، وبعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بهلالين أيضاً وبالسرير الزينبى ، وبعث السفاح بصحفة خضراء ، وبعث المنصور بالقارورة الفرعونية ، وبعث

المأمون بياقوتة فاخرة ، وبعث الخليفة المتوكل العباسي بشمسة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت والزبرجد ، وسلسلة من ذهب . وبعث بعض الملوك لما أسلم بصنم من ذهب كان يعبده على صورة انسان وبالتاج الذى كان على رأس الصنم وبالسرير الذى كان يوضع عليه ، هذا ملخص ماذكره الأزرقي ، وأهدى الى الكعبة بعد ذلك أشياء أخر ذكرها الفاسي تقي الدين وغيره ، ومن ذلك قفل فيه الف دينار بعثه اليها المعتصم العباسي فى سنة تسع عشرة ومائتين ، ومن ذلك طوق من ذهب مكلل بأنواع الجواهر الفاخرة مع ياقوتة خضراء كبيرة وزنها كما قيل أربعة وعشرون مثقالا بعث بذلك بعض ملوك السند لما أسلم ، ومن ذلك عدة قناديل كلها فضة ماعدا واحدا منها كان ذهباً زنته ستمائة مثقال بعث بها المطيع العباسي فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة ومن ذلك قناديل محكمة الصناعة ومحاريب مبانية زنة كل محراب أزيد من قنطار بعثها عثمان صاحب عمان بعد العشرين والأربعمائة . ومن ذلك قناديل ذهب وفضة بعثها الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، ومن ذلك قفل ومفتاح بعث بهما الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب القفل على باب الكعبة. ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها الف مثقال ، وفى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات ، وبينها ست قطع بلخش فاخرات أيضاً بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خربندا ملك التتار فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة فأراد الرسول

تعليقهما على باب الكعبة كما أمر فمنعه أمير الركب المصرى فى السنة المذكورة وقال لا يمكن ذلك الا باذن السلطان يريد صاحب مصر وهو اذ ذاك الناصر محمد بن قلاوون فلوطف الأمير وعرفه الرسول بأن الوزير نذر أن يعلقهما على باب الكعبة فأذن له فى ذلك ، فعلقتا زمنا قليلا ثم أخذهما أمير مكة اذ ذاك وهو رميثة بن أبى نمى ، ومن ذلك أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ماقيل قدر الدورق من دوارق مكة اثنان ذهبا ، واثنان فضة . بعث بذلك السلطان شيخ بن أوس صاحب بغداد فى اثنى عشر لسبعين وسبعمائة ، فعلق ذلك فى الكعبة يسيرا ثم أخذه أمير مكة عجلان بن رميثة هذا ملخص ماذكره الفاسى . ثم قال وليس فى الكعبة الآن يعنى فى زمنه شىء من المعاليق التى ذكرها الأزرقى والتى ذكرناها سوى ستة عشر قنديلا منها ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلور ، واثنان نحاس . والتسعة الباقية زجاج ، وسبب ذلك توالى الأيدى عليه من الولاة وغيرهم ، فمن ذلك ماوقع لأبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى حين خرج عن طاعة الحاكم ودعا لنفسه بالأمانة أنه أخذ من حلية الكعبة وصرفها دنانير ودراهم ، وسميت بالفتحية ، وأخذ المحاريب التى أهداها صاحب عمان ، ومن ذلك ماوقع لمحمد بن جعفر المعروف بابن أبى هاشم الحسنى أنه فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لكون صاحب مصر المستنصر العبيدى لم يرسل له شيء لاشتغاله بالقحط الذى كادت مصر أن تخرب بسببه ومما أهدى للكعبة بعد الفاسى (بياض بالأصل)

٨ ـ فضل مكة

فصل فى الكلام على سدانة البيت

وهى خدمته وتوالى أمره وفتح بابه واغلاقه

وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه أيضا فأهلكهم الله . ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهرا طويلا حتى صار الأمر الى أبى غبشان فباع مفتاح البيت من قصى بن كلاب بزق من خمر ، فقيل فى ذلك أخس من صفقة أبى غبشان فذهبت مثلا وصارت حجابة الكعبة من بعد خزاعة لقصى ، وانتهى اليه أمر مكة بعد ذلك فأعطى ولده عبد الدار السدانة ، وهى الحجابة وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة ثم جعل عبد الدار الحجابة الى ولده عثمان ، ولم تزل تنتقل فى أولاده الى أن انتهت الى عثمان بن طلحة ثم الى ابن عمه شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة وهى فى ولده الى الآن ، ويرى أن عثمان بن طلحة قال فتحنا البيت يوما فى الجاهلية فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل مع الناس فتكلمت بشىء فحلم على . ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت ، فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عزت ، ودخل الكعبة . ووقعت كلمته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير الى ماقال فأردت السلام فخشيت من قومى فقدمت المدينة فبايعته وأقمت معه حتى خرج فى غزوة الفتح فلما دخل مكة قال ياعثمان ائت بالمفتاح فأتيت به فأخذه منى ثم دفعه الى وقال خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة الى يوم القيامه لاينزعها منكم الاظالم وفى ذلك

نزل قوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » وفى سنن سعيد بن منصور أنه صلى الله عليه وسلم لما أخذ المفتاح من بنى شيبة أشفقوا أن ينزعه منهم ثم قال يابنى شيبة هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف قال العلماء ان هذه ولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم ، وأعظم من ذلك أن يشرك معهم غيرهم . قال الشيخ محب الدين الطبرى فى القرى لايبعد أن يقال هذا اذا حافظوا على حرمته ولازموا الأدب فى خدمته أما اذا لم يحفظوا حرمته فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمته . ثم قال أيضاً : وربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله صلى الله عليه وسلم وكلوا بالمعروف فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت ولا خلاف بين الأمة فى تحريم ذلك وأنه من أشنع البدع وأقبح الفواحش ، وهذه اللفظة ان صحت فيستدل بها على اقامة الحرمة لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف وانما الاشارة والله أعلم الى مايتصدق به من البر والصلة على وجه التبرر فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف لامحالة أو الى مايأخذونه من بيت المال على مايتولونه من خدمته والقيام بمصالحه فلا يحل لهم الا قدر مايستحقونه والله تعالى أعلم انتهى كلام المحب .

﴿ وأما الرفادة ﴾ فأصلها خرج من قريش كانت تخرجه من أموالها الى قصى يصنع به طعاما للحاج يأكله من ليس له سعة وكان قصى ينحر على كل طريق من طرق مكة جزرا كثيرة ، ويطعم الناس وكان يحمل راجل الحاج ويكسوا عاريهم ، ثم صارت بعد عبد مناف بن قصى

الى ابنه هاشم فكان يطعم الناس فى كل موسم الى أن توفى ، فقام بذلك بعده عبد المطلب ثم بعده أبو طالب واستمر الى أن جاء الاسلام ، فقام به النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل بمال يعمل به الطعام مع أبى بكر رضى الله عنه حين حج بالناس سنة تسع ثم عمل سنة عشر فى حجة الوداع ثم أقامه أبو بكر فى خلافته ثم عمر ثم الخلفاء بعده ثم لما ولى معاوية رضى الله عنه اشترى دارا بمكة وسماها دار المراجل وجعل فيها قدورا فكانت الجزر والغنم تطبخ فيها أيام الحج فى الموسم ثم يفعل ذلك فى شهر رمضان ، ويروى أن أول من أطعم الحاج الفالوذج بمكة عبد الله بن جدعان وفد على كسرى فأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقالوا لباب البر مع العسل ، فقال ابغونى غلاما يصنعه فأتوه بغلام فاشتراه وقدم به مكة فصنع الفالوذج للحاج ، ووضع الموائد من الأبطح الى باب المسجد ثم نادى مناديه ألا من أراد الفالوذج فليحضر فحضر الناس وما زال ذلك اطعامه للحاج فى الجاهلية .

﴿ وأما السقاية ﴾ فكان أصلها حياضاً من أدم توضع على عهد قصى بفناء الكعبة ، ويملأ ماء للحاج ، وكان قصى يسقى اللبن المخيض ويسقى الماء المنبوذ بالزبيب أيضاً ومازال ذلك فعله حتى هلك فقام به هاشم بعده ، ثم أخوه المطلب بعده ، ثم عبد المطلب ، وكان يسقى لبنا وعسلا فى حوض من أدم عند زمزم ثم قام به العباس رضى الله عنه بتولية النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل فى ولده من بعده (أقول) الى يومنا هذا

﴿ تتميم بذكر شيء من خبر قصي ﴾ روى الأزرقي رحمه الله أن قصيا لما انتهت اليه رياسة مكة وقرب أجله قسم رياسته ومكارمه بين ولده فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة ، وأعطى عبد الدار السدانة وهي حجابة البيت ودار الندوة واللواء ، وقد تقدم ذكر السدانة والسقاية والرفادة وتفسيرها مستوفى.

﴿ وأما الندوة ﴾ فهي دار بناها قصي حين صار أمر مكة اليه ليحكم فيها بين قريش ، وكانت أول دار بنيت بمكة ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي الا ابن أربعين سنة للمشورة ، وأما ولد قصي فيدخلونها كلهم وحلفاؤهم ، ولم تزل دار الندوة بيد عبد الدار ثم جعلها بعده لولده عبد مناف بن عبد الدار ، ثم صارت لبنيه من بعده دون ولد عبد الدار ، وانما سميت دار الندوة لاجتماع الندى فيها لأنهم كانوا يندونها فيجلسون فيها لتشاورهم وابرام أمرهم وعقد الالوية لحروبهم وهذه الدار في الرواق الشامي من المسجد الحرام بالزيادة ، وهي معروفة مشهورة .

﴿ وأما اللواء ﴾ فكان في أيدي بني عبد الدار يليه منهم ذو السن في الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم .

﴿ وأما القيادة ﴾ فوليها من بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ، ثم وليها بعده ابنه أمية ، ثم من بعده ابنه حرب ، فقاد الناس يوم عكاظ وغيره من حروب قريش ، ثم قاد الناس بعده أبو سفيان ابنه الا يوم بدر . قاد الناس عتبة بن ربيعة ، فلما كان يوم أحد والأحزاب قادهم أبو سفيان ، وكانت الأحزاب آخر وقعة لقريش ثم أيد الله الاسلام

ومن بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم هذا ملخص مارواه الأزرقى من خبر قصى وذكر غيره فى قسمة قصى غير هذا والله أعلم

﴿ فائدتان الأولى ﴾ روى الفاكهى رحمه الله أن الكعبة شرفها الله تعالى كانت تفتح فى الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة وفى تاريخ الأزرقى أنها كانت يوم الاثنين ويوم الخميس يعنى فى الجاهلية . قال الفاسى رحمه الله وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن يعنى فى زمنه وفتحها يوم الاثنين متروك (أقول) قد أعيد فتحها يوم الاثنين بعد ذلك وصارت تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلى يومنا هذا وفى هذا دلالة لصحة مارواه الفاكهى ومما يؤيده أيضا ما ذكره ابن جبير فى خبر رحلته وكانت فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة من أن الكعبة تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلا فى رجب تفتح كل يوم . وما يروى عن عثمان بن طلحة أنه قال كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشىء إلى آخر ما قدمناه آنفاً فيه تأييد لما ذكره الأزرقى أيضاً على أن الجمع بين روايتى الأزرقى والفاكهى ممكن بأنه يحتمل أن كلا الأمرين وقع وأنها كانت تفتح يوم الخميس أولا ومكث ذلك مدة ثم تغير وصارت تفتح يوم الجمعة أو العكس انتهى (الثانية) روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم الفتح أمر بلالا فرقى على ظهر الكعبة فأذن بالصلاة وقام المسلمون وتجردوا فى الازر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها فلم يدعوا أثرا من

آثار المشركين الامحوه وغسلوه . وهـذا الخبر فى الجملة يصلح أن يكون شاهدا لمـا يفعله الحجبة من غسل باطن الـكعبة فى كل عام والله أعلم

الباب الخامس

فى فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفين به

ولفضل النظر اليه وبيان المواضع التى فيها صلى النبى صلى الله عليه وسلم حول البيت وبيان جهة المصلين اليه من سائر الآفاق

وذكر وليطوفوا بالبيت العتيق

وقال جل اسمه لخليله عليه السلام وطهر بيتى للطائفين . وقال تعالى وتقدس وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين الآيات واختلف فى معنى التطهير . فقيل طهره من الآفات والريب . وقيل من الأوثان فلا ينصب حوله وثن . وقال السدى معنى طهرا بيتى أمنا بيتى وقيل غير ذلك وقد سبق بعض الكلام على ذلك فى أول الكتاب

﴿ وأما الأحاديث ﴾ فأكثر من أن نحصى (فمن ذلك) ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من طاف بهـذا البيت أسبوعا فأحصاه وفى رواية يحصيه كان كعتق رقبة ومعنى أحصاه أو يحصيه : قال بعض العلماء يتحفظ فيه أن لا يغلط وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب

من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت . أخرجه الواحدى فى تفسيره وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة فاذا دخل غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضعها إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة ورفعت له خمسمائة درجة فاذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكتب له أجر عشر رقاب من ولد اسماعيل واستقبله ملك على الركن وقال له استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت مامضى وشفع فى سبعين من أهل بيته . أخرجه الأزرقى وغيره . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكعبة محفوفة بسبعين ألفا من الملائكة يستغفرون الله تعالى لمن طاف بها (أقول) وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فى الركعتين قبل الطواف ثواب عتق رقبة . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين ذكره القاضى عياض فى الشفاء . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الطواف بالبيت خوض فى رحمة الله تعالى ذكره الحسن فى رسالته وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه رواه الترمذى وقال حديث غريب . قال القاضى عز الدين بن جماعة رحمه الله والمراد بخمسين مرة والله أعلم خمسون أسبوعا لأن الشوط الواحد لا يتعبد به . ويدل لذلك أن جماعة رووه فقالوا من طاف خمسين

أسبوعا كان كما ولدته أمه . فهذه الرواية مفسرة للأولى . وليس المراد بأن يأتى بالخمسين فى آن واحد بل أن توجد فى صحيفة حسناته انتهى ملخصاً . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى يباهى بالطائفين ملائكته . وقال صلى الله عليه وسلم استكثروا من الطواف بالبيت فانه أقل شىء تجدونه فى صحفكم وأغبط عمل تجدونه . وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته أمه وغفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت طواف بعد الصبح يكون فراغه عند طلوع الشمس وطواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب الشمس فقال رجل يارسول الله لم يستحب هاتان الساعتان قال انهما ساعتان لاتعدوهما الملائكة . قال المحب يحتمل أن يريد بالبعدية ماقبل الطلوع والغروب ولو بلحظة تسع أسبوعا . ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة ولعله الأظهر والا لقال طواف قبل الطلوع وقبل الغروب وعلى هذا يكون حجة على من كرهه فى الوقتين انتهى . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أكرم سكان أهل السماء على الله الذين يطوفون حول عرشه وأكرم سكان أهل الأرض على الله الذين يطوفون حول بيته . وعن أبى هريرة أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من طاف بالبيت سبعاً ولا يتكلم الا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله محيت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات ومن طاف فتكلم فى الحال خاض فى الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه وعنه صلى

الله عليه وسلم قال لو أن الملائكة صافحت أحدا لصافحت الغازى فى سبيل الله والبار بوالديه والطائف ببيت الله الحرام . والأحاديث الواردة فى هذا المعنى كثيرة جدا وفيما ذكرته كفاية . واذا كان الطائف بهذه المزية وثبت له هذا الفضل العظيم فينبغى له الاخلاص وليحذر من أن يكون كما قال بعض العلماء العارفين

يامن يطوف ببيت الله بالجسد والجسم فى بلد والروح فى بلد
ماذا فعلت وماذا أنت فاعله مبهرجا فى التقى للواحد الصمد
ان الطواف بلا قلب ولا بصر على الحقيقة لا يشفى من الكمد

﴿ وأما الآثار ﴾ فروى عن ابن عمر أنه قال كان أحب الأعمال الى النبى صلى الله عليه وسلم اذا قدم مكة الطواف . وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال من حج البيت فطاف خمسين أسبوعا قبل أن يرجع كان كما ولدته أمه . وعن ابن عمر أيضاً أنه قال من طاف وصلى ركعتين فهاتان يكفران ما أمامهما . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه طاف بالبيت وهو متكئ على غلام له يسمى طهمان وهو يقول والله لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا لا أقول فيه هجرا وأصلى ركعتين أحب الى من أن أعتق طهمان والهجر بضم الهاء هو الافحاش فى المنطق ، قاله فى الصحاح ، وفى الاحياء للغزالى لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة الا وطاف واحد من الاوتاد ، واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض . وروى الازرقى رحمه الله أن ابن عمر ، كان يطوف سبعة

أسابيع بالليل وخمسة بالنهار وأن آدم عليه السلام كان يطوف كذلك وذكر غير الأزرق أن آدم كان يقول فى طوافه اللهم اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتى ، وعن محمد بن فضيل أنه قال رأيت ابن طارق فى الطواف ، وقد انفرج الطائفون له وفى رجليه نعلان فحزروا طوافه فى ذلك الزمان فاذا هو يطوف فى اليوم والليلة عشرة فراسخ ، والحزر هو التقدير والخرص . يقال حزرت الشىء أحزره وأحزره بالضم والكسر كذا فى الصحاح . وذكر ابن الجوزى فى الصفوة أن محمد بن طارق كان يطوف كل يوم وليلة سبعين سبعا .

﴿ فائدة ﴾ اعداد الطواف لها سبع مراتب ذكرها الامام أبو عبدالله ابن أبى الصيف اليمنى رحمه الله (الأولى) أن من طاف خمسين أسبوعا فى اليوم والليلة يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه للحديث الذى قدمته آنفا (الثانية) أحدا وعشرين أسبوعا كل يوم فيكون بحجة وقد قيل سبع أسابيع بعمرة وقيل فى الحديث ثلاث عمر بحجة (الثالثة) أربعة عشر أسبوعا فيكون بحجة أيضا لأنه ورد فى حديث آخر عمرتان بحجة ، وهذا فى غير عمرة رمضان لأن العمرة فيه كحجة مطلقة كما جاء فى الحديث ، وفى حديث آخر كحجة معه صلى الله عليه وسلم (الرابعة) اثنى عشر أسبوعا خمسة بالنهار وسبعة بالليل لما سبق قريبا من فعل آدم وابن عمر ويستحب أن يكون ثلاثة أسابيع من الخمسة التى فى النهار قبيل طلوع الشمس بحيث تطلع وهو فى الطواف للحديث الذى رواه ابن عمر فالله الجد (الخامسة) سبعة أسابيع فيكون بعمرة لما تقدم فى

المرتبة الثانية (السادسة) ثلاثة أسابيع قال الجد يأتى فى الأول بأذكار الطواف ودعواته الخاصة ، وفى الثانية بالباقيات الصالحات ، فى ذلك حديث ، وفى الثالثة بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (السابعة) أسبوعا واحدا كل يوم فقد جاء فى الحديث أن الأسبوع بعتق رقبة ، ويدخل بهذا الأسبوع فى جملة الطائفين الذين لهم ستون رحمة من المائة والعشرين كما سيأتى قريبا ان شاء الله تعالى ، والباقيات الصالحات هى قولك سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر .

﴿ فائدة ﴾ المراد بحسنة الدنيا فيما تقدم العلم والعبادة قاله الحسن وقيل العافية ، وقيل المال ، وقيل المرأة الحسنة ، وقيل العفة ، وقيل الرزق الواسع ، وبحسنة الآخرة الجنة بالاجماع كذا قاله الدميرى ، وقيل الحور العين أو الجنة أو العفو والمعافاة . (واعلم) أنه ينبغى المثابرة على الطواف فى أوقات . (منها) ماتقدم من الطواف بعد الصبح والعصر للحديث السابق ، (ومنها) فى وقت المطر لما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من طاف بالكعبة فى يوم مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة ومحا عنه بالأخرى سيئة ، وعن أبى عقال قال طفت مع أنس بن مالك رضى الله عنه فى مطر فلما قضينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين فقال لنا أنس ائتنفوا العمل فقد غفر لكم هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفنا معه فى مطر ، وعن مجاهد قال كان كل شىء لايطيقه الناس

من العبادة يتكلفه ابن الزبير جاء سيل فطبق البيت فامتنع الناس من الطواف فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، وذكر القاضى عز الدين بن جماعة عن جده أنه طاف بالبيت سباحة وكان كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله ، وذكر أن بعض المكيين أخبره أنه اتفق له مثل ذلك ، (ومنها) فى شدة الحر ، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من طاف حول البيت أسبوعا فى يوم صائف شديد الحر واستلم الحجر فى كل طواف من غير أن يؤذى أحدا وأقل كلامه الا بذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون ألف حسنة ، ويمحى عنه سبعون ألف سيئة ويرفع له سبعون ألف درجة ، وفى رواية عن ابن عباس بعد شديد الحر وحسر عن رأسه ، وقرب خطاه ، وأقل التفاته ، وغض بصره ثم ذكر بقية الحديث وزاد يعتق عنه سبعين رقبة ثمن كل رقبة عشرة آلاف درهم ويعطيه الله سبعين شفاعة ان شاء فى أهل بيته من المسلمين ، وان شاء فى العامة ، وان شاء عجلت له فى الدنيا ، وان شاء أخرت له فى الآخرة (أقول) فان قيل هل يستوى الطائف فى شدة الحر بغير خف أو نحوه من صار لابساً لذلك أم غير اللابس أفضل وأكثر ثوابا لأنه حينئذ أكثر مشقة . (الجواب) أن اطلاق الحديث يقتضى التسوية بين اللابس وغيره لكن سياق الحديث يفهم منه أن غير اللابس أكثر ثوابا حيث علل بشدة الحر لأن المراد تجشم المشقة ، ولا شك أن غير اللابس أكثر مشقة ، ويؤيده قوله فى رواية ابن عباس حاسرا عن رأسه اذ المراد المصابرة على ذلك ، وينبغى فى رواية حسر الرأس أن يحمل

على الاستطاعة وعـدم الضرر ، وأما من تضرر بكشف الرأس أو خشى الضرر فالأفضل له تغطية رأسه فان الحرج مدفوع شرعا ، والله الموفق ؛

(ومنها) عند خلو المطاف لأنه حينئذ يكون قائما بهـذه العبادة العظيمة من غير مشارك له فى سائر أقطار الأرض ، وكذلك قال العلماء لو حلف ليعبدن الله بعبادة لايشركه أحد فيها ، فالخلاص أن يخلى له المطاف فيطوف به وحده .

(فوائد) الأولى ان قيل ما العلة فى جعل الـكعبة على يسار المطاف دون يمينه ، وما الحـكمة فى ذلك (اعلم) أن العلة فى ذلك اجتماع القلبين فى جهة واحـدة لأن القلب بيت الرب والقلب فى الجانب الأيسر قال الجد رحمه الله قلت وقد يقال أيضاً فى وجه المناسبة ان المستحب فى ابتداء الطواف اسـتقبال الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى الأرض وحينئذ فشقه الأيمن الى جهة باب البيت ، وشقه الأيسر الى جهة الركن اليمـانى ، والانفتال الى جهة اليمين أولى من الانفتال الى جهة اليسار ويستأنس لذلك بأن داخل المسجد يستحب له أن يبـدأ برجله اليمنى والبداءة بجهة الشق الأيمن يبتـدأ فيها بالرجل اليمنى حيث مشى على الأسلوب المعتاد ، وأيضاً لاخفاء أن جهة الباب أفضل الجهات فجهة الركن اليمـانى بالنسبة اليها مفضولة والمسارعة الى الأفضـل أفضل من المسارعة الى المفضول انتهى . (الثانية) قال بعض العلماء انمـا يجعل الطائف البيت على يساره ، ويبتدىء بالحجر الأسود لأن الحجر اذا استقبلت البيت من ثنية كدا من باب بنى شيبة يبقى فى ركن البيت

على يسارك وهو يمين البيت لأنك اذا قابلت شخصا فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذى يلاقيك من البيت هو وجهه لأن فيه بابه وباب البيت وجهه أى بيت كان والأدب أن لايؤتى الأفاضل الا من قبل وجوههم ولأجل ذلك كان الابتداثية كـذا ، والاصل فى كل قربة يصح فعلها باليمين واليسار أن لا تفعل الا باليمين كالوضوء وغيره فذا ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره كان قد ابتدأ باليمين والوجه معا فيجمع بين الفاضلين ، ولو عكس ذلك فاته الجمع المذكور ، ويمين البيت جميع الحائط الذى بين الركنين الأسود واليمانى ويسار البيت الحائط الذى عند الحجر بكسر الحاء ، ودبر البيت الحائط الذى فيه الباب المسدود وانما سمى الشام لانه على شمال البيت واليمن لأنه على يمين البيت وسميت ريح الدبور لأنها تأتى من دبر البيت وريح الشمال لأنها تأتى من شمال البيت (الثالثة) كان النساء والرجال يطوفون معا مختلطين حتى ولى مكة خالد بن عبد الله القسرى لعبد الملك بن مروان ففرق بين الرجال والنساء وأجلس عند كل ركن حرسا معهم السياط ، وسببه أنه بلغه قول بعض الشعراء

ياحبذا الموسم من موفد   وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللائى نزاحمنا   عند استلام الحجر الاسود

فقال أما انهن لايزاحمنك بعد فأمر بالتفريق (الرابعة) أول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد عقبة بن الازرق بن عمرو وكانت داره لاصقة بالمسجد من ناحية وجه الكعبة فكان يضع فى جدار داره

مصباحا كبيرا يضيء على وجه الكعبة أخرجهما الأزرقي .

(فروع الأول) قال المجد الآتي بأسبوع بسكينة ووقار وتؤدة بحيث يطوف غيره أسابيع في زمن طوافه الأسبوع مع تساوي أوصافهما في الحضور والخشوع هل يستويان ، قال المحب الطبري هذا يبنى على أن طول القيام في الصلاة أفضل أم تكثير الركعات وهو يقتضي أفضلية الأسبوع قال النسائي ونص عليه الشافعي (أقول) وهو مقتضى مذهب محمد بن الحسن من أصحابنا حيث قال طول القنوت أحب الي من كثرة الركوع والسجود ، وهو محمول على المنفرد لقوله صلى الله عليه وسلم من أم قوما فليخفف فان وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة واذا صلى منفردا فليطول ماشاء انتهى ؟ واعتبر بعض المتأخرين الخطأ فوجد كل طوفة مائة وعشر خطوات اذا كان بينه وبين البيت ذراع أو فوقه قليلا فتكون للطوافات السبع سبعمائة وسبعون خطوة انتهى ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أسعد الناس بهذا الطواف قريش وأهل مكة وذلك أنهم ألين الناس فيه مناكب وأنهم يمشون فيه التؤدة أخرجه الازرقي . (الثاني) : الترتيب في الطواف ليس بشرط عندنا حتى لو طاف منكوسا صح مع الكراهة ، وكذا لو طاف عاريا أو بغير طهر فان أمكن اعادته في طوافي الحج والعمرة أعاد والا جبر بالدم خلافا للثلاثة (الثالث) اختلف العماء هل الطواف بمكة أفضل أم الصلاة ، وهل الاعتمار أفضل أم الطواف ، فمذهب الجمهور أن الصلاة أفضل فرضها ونفلها لأنها أفضل عبادات البدن ، وذكر جماعة من علمائنا أن الطواف

أفضل في حق الآفاقي ، والصلاة في حق المكي أفضل وهو مذهب المالكية ومتأخري الشافعية ، وذهب الماوردي الى أن الطواف أفضل ورجحه ابن عبد السلام واحتج بما سيأتي قريبا عن ابن عباس فيما ينزل من الرحمات حيث جعل للطائفين أكثر

﴿ وأما المفاضلة ﴾ بين الطواف والعمرة عن أنس بن مالك أنه سئل عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة فقال بل الطواف أخرجه الأزرقي . قال المحب الطبري مراد أنس والله أعلم أن تكرار الطواف أفضل من العمره ولا يريد طواف أسبوع واحد فانه موجود في العمرة انتهى . وله في هذا المعنى تأليف لطيف سماه عواطف النصره في تفضيل الطواف على العمرة ذهب فيه الى أن الاشتغال بتكرار الطواف في مثل مدة العمرة أفضل من الاشتغال بالعمرة واستدل رحمه الله على ذلك بجملة أدلة . وذهب جماعة من الشافعية منهم السبكي والبلقيني الى تفضيل الاعتمار مطلقاً على الطواف (الرابع) لا بأس عندنا للطائف أن يقرأ القرآن في نفسه لأنه ذكر مشرف في مكان مشرف . ويكره أن يرفع صوته بالقراءة فيه كي لا يقع في الرياء والسمعة ولفظة لا بأس تدل على أن الأولى الاشتغال بالدعاء دون القراءة فانه صلى الله عليه وسلم اشتغل بالدعاء دون القراءة لكون الطواف محلا لاجابة الدعاء وعند مالك لا يقرأ الا قوله ربنا آتنا الى قوله وقنا عذاب النار . كذا نقله الكرماني من أصحابنا والصحيح من مذهب الشافعي أن الدعاء المأثور في الطواف أفضل من القراءة للاتباع واستدل أصحابه بأنه قد نهى عن

القراءة فى الركوع والسجود لتعلق الدعاء الخاص بهما قال الزركشى وقد ينازع فى عبارتهم فى هذه المسألة اذ لا شىء من الذكر أفضل من القرآن فكيف يكون الاشتغال بالمأثور أفضل من الاشتغال بالقرآن؟ وأجيب بأن القراءة فعل القادر وهى حادثة والقرآن قديم . والتفضيل بين القراءة والذكر ، والصواب أن القرآن من حيث حقيقته أفضل وقد ألف أبو بكر الآجرى تأليفاً يتضمن الانكار على الجاهر فى الطواف بذكر أو تلاوة وغلظ فى ذلك وشدد وينبغى أيضاً لمن كان فى المسجد قريبا من الطواف أن لا يرفع صوته بتلاوة أو ذكر لئلا يشوش على الطائفين أو المصلين (الخامس) من سنن الطواف للرجال القرب من البيت لينال الشرف والبركة ليكون أيسر فى الاستلام والتقبيل . وهذا إذا لم يؤذ أو يتأذ بزحمة أو غيرها واذا لم يفته الرمل أيضاً بسبب الزحمة فان خشى فوات الرمل فالبعد أولى للاتيان به لأن الرمل عندنا لا بدل له ولهذا اذا اشتدت الزحمة يقف وأيضاً فى قرب الرجل من البيت بعده عن النساء فان طوافهن غالبا من جهة حاشية المطاف لا سيما عند من يقول بنقضهن والمستحب للمرأة البعد عن البيت لئلا تخالط الرجال الا فى وقت خلو المطاف فالقرب أولى والخنثى كالمرأة (السادس) التطوع بشوط واحد فى الطواف هل يسوغ ويؤجر عليه أم لا فمذهب الشافعى أن من تطوع ابتداء بطوفة واحدة لا يجوز ولا يثاب على ذلك لما فيه من التلاعب بالعبادة أما لو نوى أن يطوف أسبوعا ثم بدا له بعد ان طاف طوفة واحدة مثلا أنه لم يوف فله أجر الطوفة ولا يحبط ذلك ترك ما بقى

من السبع (أقول) مقتضى مذهبنا أيضاً عدم جواز التطوع بالشوط الواحد قياساً على الركعة الواحدة فى حق عدم المشروعية عندنا لا فى حق الحنث فان حلف لا يصلى يحنث بأداء ركعة واحدة انتهى (السابع) يجوز الطواف عندنا على الشاذروان لأنه ليس من البيت نص على ذلك الأصحاب . ومذهب الشافعية والحنابلة وبعض متأخرى المالكية أنه يجب أن يكون الطائف بجميع بدنه خارجاً عن البيت والحجر والشاذروان وينبغى الاحتراز عند الشافعى لمن قبل واستلم من أن يمر شىء من بدنه فى الشاذروان بل يقر قدميه الى أن يعتدل بعد التقبيل أو الاستلام فان لم يقرهما فليرجع الى مكانه قبل الاستلام لئلا يقع بعض طوافه فى البيت لا بالبيت لأن الشاذروان عندهم جزء نقصته قريش من عرض جدار أساس الكعبة حين ظهر على الأرض . قال الجد رحمه الله لم ينقل وقوع هذا التحرز عن أحد من السلف الصالح ولو وقع لنقل ولكن القواعد المقررة اقتضت ذلك مع أنه لا يلزم من عدم الاطلاع على النقل أن لا يكون منقولا اذ لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود . وعند الحنابلة أن الطائف لو كان يمس الجدار بيده فى موازاة الشاذروان صح طوافه لأن معظمه خارج البيت . وأفاد الشيخ القدوة أبو عبد الله خليل امام مقام المالكية بالمسجد الحرام بأنه لم يشترط أحد من متقدمى المالكية لم عمه الطواف خارج الشاذروان وأن الشيخ أبا الطيب القاضى المالكى كان ينكر ذلك ولا يثبته فى مذهب مالك قال القاضى رحمه الله ينبغى الاحتراز منه لأنه ان كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب و لا فلا

محذور فى ذلك كيف والخروج من الخلاف مطلوب وهو هنا قوى والله أعلم

﴿ نكتة ﴾ اعلم أن منشأ الخلاف بين الائمة فى ذلك حديث عائشة المتقدم المصرح بأن قريشاً اقتصروا على قواعد ابراهيم، وقد صح أن ابن الزبير رضى الله عنه لما بلغه هذا الحديث قال أنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس فهدم الكعبة كما قدمته وبناها على قواعد ابراهيم وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين على ما كان فى زمن قريش الى آخر ما تقدم . فاذا علمت هذا ظهر أن ما ذكره الشافعية من أنه ينبغى الاحتراز عن الشاذروان عند التقبيل ليس بناهض . فينبغى حينئذ صحة الطواف على الشاذروان كما قال ابن البلق من الشافعية وفيه تأييد لمذهبنا ولو وقع ما قاله الشافعية لنبه النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة على ذلك لكونه مما تمس الحاجة اليه بقول أو فعل ولنقل ذلك ، هذا مع توفر الدواعى على النقل . ونازع الفاسى فى ذلك فقال وبعض الناس يعارض القول بأن الشاذروان من البيت بكون ابن الزبير بنى البيت على أساس ابراهيم عليه السلام كما فى خبر بنائه وهذا التعارض لايخلو من حالين أحدهما أن يدعى أن ابن الزبير استوفى البناء على جميع أساس جدران البيت بعد ارتفاعه عن الأرض . والآخر أن يدعى أن البناء إذا نقص من عرض أساسه . بعد ارتفاعه عن الأرض لا يكون مبنياً على أساسه . والأول لا يقوم عليه دليل لأن ما ذكر من صفة بناء ابن الزبير للبيت لا يقتضى أن يكون بناؤه مستوفى على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها من الأرض ولا ناقصاً عن أساسها ووقوع هذا فى بنائه أقرب

من الأول لأن العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لمصلحة البناء . واذا كان هــذا مصلحة فلا مانع من فعله فى البيت لما بنى فى زمن ابن الزبير ، نعم فى بناء ابن الزبير على أساس ابراهيم دليــل واضح على أنه أدخل فى البيت ما أخرجته منه قريش من الحجر فانه بنى ذلك على أساس ابراهيم لا أساس قريش ، والثانى غير مســلم لأن الجدار اذا اقتصر عن عرضه بعد ارتفاعه من الأرض لا يخرجه ذلك عن كونه مبنياً على أساسه وهــذا مما لا ريب فيه وانكاره مكابرة والله أعلم انتهى (الثامن) يجب على الطائف عندنا أن يكون طوافه من وراء الحجر فلو طاف الطواف الواجب فى جــوف الحجر بأن يدخــل من إحدى الفتحتين ويخرج من الأخرى عليــه الاعادة وتجزئ على الحجر خاصة والأفضل الاعادة على البيت كله وذكر قاضى خان فى شرح الجامع الصغير فى صفة الاعادة على الحجر صورتين . الأولى أن يأخــذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى الى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر يفعل ذلك سبعاً . الثانية أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى الى آخره ثم يرجع ولا يدخل الحجر ، ويبتدىء من أول الحجر من المكان الذى ابتدأ منه أولا ولا يعد رجوعه الى ذلك شوطاً يفعل ذلك سبعاً ، فان رجع الى أهله ولم يعد لزمه دم كما قاله صاحب الهداية ، وحكى ابن عبد البر اجماع العلماء على أن من طاف بالبيت يلزمه أن يطوف من وراء الحجر ولو لم يطف من ورائه لم يجزه (التاسع) لو طافت المرأة منتقبة فى غير حالة الاحرام

فمقتضى مذهب الشافعى الكراهة كما تكره صلاتها متنقبة قاله النووى وهو مذهب مالك . قال الجد رحمه الله : محل هذا حيث أمنت من رؤية الرجال لوجهها أما حيث لم تأمن كما هو الغالب من حال الطواف فلا كراهة بل تنقبها حينئذ متعين ، وعندنا لا يكره لها ذلك فى الطواف نص عليه السروجى فى غايته . (العاشر) قال ابن جماعة فى منسكه ومن البدع مايفعله كثير من الجهلة من ملازمة البيت وتقبيله عند ارادة الطواف قبل استلام الحجر الأسود وتقبيله ، والذى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو الابتداء بالحجر لأنه يمين الله فلا يناسب البداءة بغيره والله أعلم .

فصل فى ثواب النظر الى البيت زاده الله شرفا وبيان مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حول البيت وذكر ذرع أرض المطاف

روى الحسن البصرى رحمه الله فى رسالته أنه صلى الله عليه وسلم قال من جلس مستقبل القبلة ساعة واحدة محتسباً لله عز وجل ولرسوله تعظيما للبيت كان له كأجر الحاج والمعتمر والمرابط القائم ، وأول ماينظر الله الى أهل الحرم ، فمن رآه مصلياً غفر له ، ومن رآه قائما غفر له ، ومن رآه جالساً مستقبل القبلة غفر له وروى ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله ينزل فى كل يوم وليلة مائة وعشرين رحمة على هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون

للناظرين . (أقول) هـذا الحديث وان كان ضعيفاً فقد نص النووى وغيره من الحفاظ على جواز رواية الضعيف فى الفضائل انتهى ، وفى رواية أخرى ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة الحديث . قال المحب الطبرى : ولا تضاد بين الروايتين بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت ، ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ويجوز أن يريد مسجدالجماعة وهو الأظهر ، ويكون هو المراد بالتنزيل على أهل المسجد ولهذا السحبت على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد انتهى . ثم قال أيضاً عنـد كلامه عى هذا الحديث يحتمل فى تأويل القسم بين كل فريق وجهان : الأول قسمة الرحمات بينهم على المسمى بالسوية لا على العمل بالنظر الى قلته وكثرته وصفته ومازاد على المسمى فله ثواب من غير هـذا الوجه ونظير هذا أعط الداخلين بيتى مائة دينار ، فدخل واحد مرة وآخر مرارا فلا خلاف فى تساويهم فى القسم . الوجه الثانى : وهو الأظهر قسمتها بينهم على قدر العمل لأن الحديث ورد فى سياق الحث والتحضيض وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتى بالأقل والأكثر ، ثم قال بعد أن استوفى الكلام فى كيفية قسمة الرحمات اذا تقرر ذلك فالتفصيل فى الرحمات بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاثة أدل دليل على أفضلية الطواف على الصلاة والصلاة على النظر اذا تساووا فى الوصف ، هذا هو المتبادر الى الفهم عند سماع ذلك فيخص به وبما ورد من الأحاديث المتقدمة فى فضل الطواف عموم قوله صلى الله عليه وسلم واعلموا أن خير أعمالكم

الصلاة ، أونقول الطواف نوع من الصلاة فيكون داخلا فى عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن ، ولا ينكر أن بعض الصلاة أفضل من بعض . ثم قال بعد كلام آخر ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع الأخصية له بمتعلق الثلاثة وهو البيت الحرام ، ولا خفاء بذلك ، ولذلك بدأ به فى الذكر هنا وفى قوله تعالى « وطهر بيتى للطائفين » الآيتين ولما كانت الصلاة على تنوعها لم تشرع الا عبادة والنظر قد يكون عبادة اذا قصد التعبد به وقد لايكون ، وذلك اذا لم يقصد به التعبد تأخر فى الرتبة ، وقولنا اذا تساووا فى الوصف نحترز مما اذا اختلف وصف المتعبدين فكان الطائف ساهيا غافلا والمصلى والناظر خاشعا يعبد الله كأنه يراه كان المتصف بذلك أفضل اذ ذلك الوصف لايعدله عمل جارحة خاليا عنه ، وهو المشار اليه والله أعلم فى قوله تعالى : « انا لانضيع أجر من أحسن عملا » انتهى باختصار وهو كلام عظيم كاف شاف حر أن يكتب بماء الذهب فى بياض الحدق ، وقد ذكره فى كتابه القرى بأبسط من هذا ، واستدل بأمور معنوية قوية ظاهرة لايحتمله هذا التعليق فيراجعه مريده فى محله فرحمه الله ولله دره من عالم محقق . وفى رسالة الحسن أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : من نظر الى البيت ايماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وحشر يوم القيامة فى الآمنين ، وفيها عنه صلى الله عليه وسلم من نظر الى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عز وجل أفضل من عبادة سنة يعنى صائما وقائما وراكعا وساجدا ، وعن ابن عباس أنه قال النظر

الى الكعبة محض الايمان أخرجه الجندى ، وعن سعيد بن المسيب من نظر الى الكعبة ايماناً وتصديقاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وعن عطاء النظر الى البيت الحرام عبادة ، والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد فى سبيل الله عز وجل ، وعن أبى السائب المدنى من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ، وعن زهير بن محمد قال الجالس فى المسجد ينظر الى البيت لايطوف به ولا يصلى أفضل من المصلى فى بيته لاينظر الى البيت أخرجه الأزرق .

فصل فى ذكر المواضع التى صلى فيها صلى الله عليه وسلم حول الكعبة وبيانها ملخصة كما نقله الفاسى عن القرى للمحب الطبرى مع زيادة أدلة

(الأول) خلف مقام الخليل عليه السلام لما رواه جابر فى صفة حجه صلى الله عليه وسلم من قوله ثم نفر الى مقام ابراهيم فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وجعل المقام بينه وبين البيت ثم صلى الركعتين (الثانى) تلقاء الحجر الأسود عند حاشية المطاف كما فى النسائى من حديث المطلب بن أبى وداعة (الثالث) قريبا من الركن الشامى مما يلى الحجر بسكون الجيم كما فى سنن ابى داود من حديث عبد الله بن السائب (الرابع) عند باب الكعبة كما فى تاريخ الأزرق من حديث ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم أمنى جبريل عند باب الكعبة مرتين

قال الفاسى ، ويحتمل ثلاثة وجوه . الأول : أن يكون صلى وجاه الباب الثانى أن يكون فى الحفرة المرخمة التى عند باب الكعبة على يمينه . الثالث أن يكون فى الملتزم وهو بعيد ، والوجه الأول أقرب لأنه عند الباب حقيقة ، وإنما نبهنا على ذلك لأن الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ أحمد بن موسى بن العجيل ذكرا أن مصلى جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الحفرة المرخمة ، ولم أقف على كلام ابن عجيل ، ولكن بلغنى أن الطبرى امام المقام سأله عن ذلك فحققه له بطريق الكشف . وأما كلام ابن عبد السلام فنقله ابن جماعة انتهى . قال ابن جماعة بعد ذلك عن ابن عبد السلام ، ولم أر ذلك لغيره وفيه بعد لأنه لو كان صحيحا لنبهوا عليه بالكتابة فى الحفرة ، ولما اقتصروا على من أمر بعمل المطاف والله أعلم انتهى . (الخامس) تلقاء الركن الذى إلى الحجر من جهة الغرب جانحا إلى جهة الغرب قليلا بحيث يكون باب المسجد المعروف اليوم بباب العمرة خلف ظهره كما فى مسند أحمد وسنن أبى داود وغيرهما من حديث المطلب بن أبى وداعة أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى مما يلى باب بنى سهم ، والناس يمرون بين يديه ، وباب بنى سهم هو باب العمرة المذكور . (والسادس) فى وجه الكعبة كما فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من البيت صلى قبل البيت ركعتين ، وقال هذه القبلة كما تقدم قال المحب الطبرى وجه الكعبة يطلق على بابها وهذا قيل للمحاذى له خلفها دبر الكعبة ، ويطلق على جميع الجانب الذى فيه الباب وهو المتعارف

والظاهر أن هذا الموضع تلقاء المقام فى فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلى فيه . ثم قال ويحتمل على بعد أن يكون الموضع الرابع يعنى المتقدم عند باب الكعبة، قال ابن جماعة وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيره من الجهات، فعن ابن عمر البيت كله قبلة وقبلته وجهه فان فاتك ذلك فعليك بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب ومثله عن عمرو بن العاص ، والمراد بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم قبلته بالمدينة الشريفة انتهى (السابع) بين الركنين اليمانيين ذكره ابن اسحاق فى سيرته فى قصة طويلة قال الفاسي ولم يبينه المحب . ويحتمل أن يكون عليه السلام صلى الى وسط الجدار كما نقله ابن سراقة ويكون عند الرخامة التى فى الشاذروان المكتوب فيها اسم الملك لاجين أنه عمل البلاط ويحتمل أن يكون مائلا عن الوسط الى جهة الحجر الأسود أو الى جهة الركن اليمانى (الثامن) فى الحجر لحديث الصحيح بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديدا فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبه ودفعه عنه عليه السلام وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله الآية ، قال المحب الطبرى : ولا يبعد أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال صلوا فى مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار ، فقيل له ما مصلى الأخيار وما شراب الأبرار فقال تحت الميزاب وماء زمزم ، وهو صلى الله عليه وسلم سيد الأخيار ، ولا يبعد أن تكون الاشارة اليه صلى الله عليه وسلم .

ذكر شيء من فضائل الحجر

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأدخلنى الحجر وقال صلى فيه ان أردت دخول البيت فانما هو قطعة من البيت وفى هذا دلالة على أن جميع الحجر من البيت ، وكذلك ماورد أن عائشة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الحجر هل هو من البيت فقال نعم . والصحيح أن القدر الذى فيه من البيت ستة أذرع أوما يقارب السبعة كما جاء مصرحا به فى الحديث الآخر عن عائشة رضى الله عنها وهو لو لا قومك الى أن قالت وزدت فيه ستة أذرع من الحجر تركتها قريش لقصر النفقة ، وفى رواية فهلمى لأريك ماتركوه قومك فأراها قريباً من سبعة أذرع ، فحينئذ يحمل المطلق فيما تقدم على القيد واطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن أشار اليه المحب الطبرى ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة رضى الله عنه ان على باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفورا لك مامضى فاستأنف العمل ، وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا الى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج مرحوما ان كنت من أمة محمد تقياً ، وفى رسالة الحسن أن اسماعيل عليه السلام شكا الى ربه حر مكة فأوحى اليه أنى أفتح لك بابا من الجنة فى الحجر يخرج عليك الروح منه الى يوم القيامة. والروح

بفتح الراء نسيم الريح . وفيها عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه ألا تسألونى من أين جئت فسألوه فقال كنت قائما على باب الجنة وكان قائما تحت الميزاب يدعو الله عنده . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن أحد يدعو تحت الميزاب إلا استجيب له . ونقل ابن جماعة عن بعض السلف أن من صلى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشىء مائة مرة وهو ساجد استجيب له . وعن عطاء بن أبى رباح أنه قال من قام تحت مشعب الكعبة ودعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجه الأزرقى . والشعب مجرى الماء ومسيله . ومنه : يجىء الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دما كذا فى النهاية . ويروى عن أبى هريرة وسعيد بن جبير وزين العابدين أنهم كانوا يلتزمون ماتحت الميزاب من الكعبة

﴿ ومن فضائل الحجر ﴾ ان فيه قبر اسماعيل وأمه هاجر ، وكان عمره مائة وثلاثين سنة يوم مات وقيل مائة وسبعة وثلاثين . ونقل القاضى أبو البقاء بن الضياء فى منسكه البحر العميق عن الفقيه اسماعيل الحضرمى نفع الله به أنه لما حج سأل المحب الطبرى عن ثلاث مسائل : عن الحفرة الملاصقة للكعبة . وعن البلاطة الخضراء التى فى الحجر ، وعن القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكاء ، فأجاب بأن الحفرة مصلى جبريل عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وسلم . والبلاطة الخضراء قبر اسماعيل ويشبر من رأسها الى ناحية الركن الغربى مما يلى باب بنى سهم ستة أشبار فعند انتهائها يكون رأس اسماعيل عليه السلام

والقبران المرجومان فهو ان البيت الشريف أصبح يوما فى دولة بنى العباس وقد لطخه رجلان بالعذرة فقبض عليهما أمير مكة واستأذن الخليفة فى أمرهما فأمر بصلبهما فرسم فى هذا الموضع وصارا يرجمان الى الآن انتهى . وينبغى توقى اللوم فيه والاحتراز مما أحدثه العوام من وقوفهم فى فتحق الحجر بقصد السلام كما يزعمون على النبى صلى الله عليه وسلم ومن استدبارهم الكعبة فيهما للدعاء أيضاً والمعروف فى آداب الدعاء استقبال البيت قاله ابن جماعة

ذكر ذرع الحجر من داخله وصفته وخبر شئ من عمارته

أما ذرعه فمن جدر الكعبة الذى فيه الميزاب الى جدر الحجر المقابل له خمسة عشر ذراعا . وسعة ما بين الفتحتين سبعة عشر ذراعا وقيراطان وعرض جداره (١)

وأما صفته فهو عرصة مرخمة عليها جدار مقوس صورته نصف دائرة وأول من رخمه المنصور العباسى فى سنة أربعين ومائة لما حج . وذلك أنه رأى حجارته بادية فدعا بعامله على مكة زياد بن عبد الله وأمره بأنه لا يأتى الصباح الا وقد ستر بالرخام فدعا زياد الصناع فعملوه على السرج قبل أن يصبح ثم جدد بعد ذلك مراراً كثيرة . وآخر من عمره على ماهو عليه الآن فى زمن هذا التأليف من ملوك الشراكسة قانصوه الغورى على يد مباشر عمائره الأمير خاير بك العلائى المعروف عند أهل مكة بالمعمار وذلك فى سنة سبع عشرة وتسعمائة . وكانت عمارته فى هذه

---

(١) بياض بالأصل

السنة مرتين الأولى بحجارة منحوتة من جبل الشبيكة ، والثانية بهذا الرخام الموجود كما ترى .

﴿ فرع ﴾ حكم الصلاة فى مقدار مافى الحجر من البيت حكم الصلاة فى الكعبة يجرى فيه الخلاف المتقدم بين الأئمة الأربعة وقد علمته فلا نطول باعادته لما فيه من تحصيل الحاصل والله أعلم .

﴿ تتميم ﴾ أخرج الفاسى رحمه الله عن بعض مشايخ مكة المتقدمين أن النبى صلى الله عليه وسلم مصلى بين الحفرة المرخمة وبين الحجر بسكون الجيم عند الحجر المشوب الذى يقال له المقام المحمدى وان من دعا عنده بهذا الدعاء . ياواحد ياواحد ياماجد ياماجد يابر يارحيم ياغنى يا كريم أتمم على نعمتك وألبسنى عافيتك استجيب له . ثم قال والحجر المشوب الذى هو علامة لهذا المصلى لايعرف الآن ، والحفرة قد سبق ذكرها . وهذا المصلى هو الموضع الثالث الذى ذكره المحب لأنه ليس بين الحفرة المشار اليها والركن الشامى مصلى للنبى صلى الله عليه وسلم غيره والله أعلم انتهى بمعناه .

﴿ استطراد ﴾ فى بيان مصلى آدم عليه السلام عند البيت حين نزل قد تقدم فى الباب الأول فى فضل الملتزم عن الأزرق رحمه الله ان آدم طاف بالبيت سبعاً ، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم الى آخر ماقدمته عنه ، وأخرج الأزرق أيضا فى رواية أخرى أن آدم عليه السلام حين نزل طاف بالبيت سبعاً ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ، ونقل الفاسى رحمه الله فى شفائه من كلام ابن سراقة مايقتضى زيادة بيان فى مصلى آدم عليه السلام فقال ومن باب الكعبة الى مصلى

آدم حين فرغ من طوافه ، وأنزلت عليه التوبة وهو موضع الخلوق من ازار الكعبة أرجح من تسعة أذرع ، وهناك كان موضع مقام ابراهيم عليه السلام وصلى النبي صلى الله عليه وسلم عنده ركعتى طوافه وبين مصلى آدم والركن الشامى ثمانية أذرع انتهى. قال الفاسى وقد تحرر لى مما ذكره ابن سراقة فى ذرع مابين الركن الشامى ومصلى آدم أن يكون مصلى آدم ظنا بقرب الحفرة المرخمة التى فى وجه الكعبة بحيث يكون منه الى الحفرة ثلاثة أذرع الا ثلث بالحديد انتهى ، وفى رواية لابن أبى الدنيا أن صلاة آدم الى جانب الركن اليمانى ، وفى أخرى عن الفاكهى أن الموضع الذى يثبت فيه على آدم دبر الكعبة عند الباب الذى فتحه ابن الزبير جانب الركن اليمانى ، والله أعلم .

فصل فى بيان جهات المصلين الى القبلة من سائر الآفاق

ملخصاً مما ذكره الشيخ عز الدين بن جماعة فى دائرته بحذف الكواكب اذ ليس كل أحد يعرف الاستدلال بها

﴿ فجهة ﴾ مصر وصعيدها الأعلى وسواحلها السفلى أسوان واسنا وقوص والفسطاط والاسكندرية والاكيدم والمحلة ودمياط وبلبيس وبرقة وطرابلس وصفد ، وساحل المغرب ، والأندلس ، وما كان على سمته مابين الغربى والميزاب .

﴿ وجهة ﴾ جانب الشام الغربى ووسط غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة ، ودمشق ، وفلسطين وعكا وصيدا وما والى ذلك من

السواحل على سمته وهى من قبل ميزاب الكعبة الى دون الركن الغربى

(وجهة) الشام كلها غير ما ذكر وهى حمص وحماه وسلمية وحلب ومنبج وحران وميافارقين وماوالاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامى موقفهم موقف أهل المدينة ودمشق لكنهم يتيامرون شيئاً يسيرا والجهة شاملة للجميع ان شاء الله تعالى

(وجهة) الرها والموصل وملطية وسميشاط وسنجار والجزيرة وديار بكر وماكان على سمت ذلك الى القبلة من الركن الشامى الى مصلى آدم عليه السلام

(وجهة) الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمدان والرى ونيسابور وخراسان ومرو وخوارزم وبخارى ونسا وفرغانة والشاش وما كان على سمت ذلك ما بين مصلى آدم عليه السلام الى قرب باب الكعبة

(وجهة) البصرة والاهواز وفارس وكرمان واصبهان وسجستان وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك من باب الكعبة الى الحجر الأسود

(وجهة) وسط بلاد الصين والهند والمهرجان وكابل والمهدبان والتتار والنقل والخدهار وما والاها وماكان على سمتها من الركن الأسود الى دون مصلى النبى صلى الله عليه وسلم

(وجهة) بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل التهايم والسند والبحرين وماوالاها وكان على سمتها من دون مصلى النبى صلى الله عليه وسلم الى باب هذا الجدار

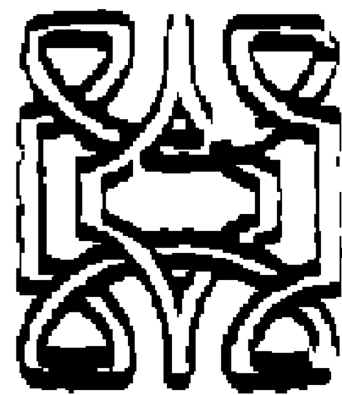
(وجهة) اليمن بأسره ظفار وحضرموت وصنعاء وعمان وصعدة

والشحر وسبا وماوالاها وكان على سمتهـا من دون الركن اليمانى بسبع أذرع الى الركن اليمانى

(وجهة) الحبشة والزنج وزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد وكان على سمتها من الركن اليمانى الى ثلثى الجدار وهو آخر الباب المسدود

(وجهة) جنوب بلاد البجاة ودهلك وسواكن وبلاد البُلَيْن والنوبة الى بلاد التكرورو ما وراء ذلك وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم الى البحر المحيط من دون الباب المسدود الى ثلثى الجدار

(وجهة) شمال بلاد البجاة والنوبة وأوسط المغرب من جنوب الواحات الى بلاد افريقية وأوسط بلاد بربر وبلاد الجريد الى البحر المحيط وهى جهة جده وعيذاب وجنوب أسوان من دون الركن الغربى بثلث الجدار الى الركن الغربى. انتهى ما لخص من الدائرة وهذه الجهات المذكورة هى من حيث الجملة ، ومن أراد التحرير فى الاستقبال كما ينبغى فليراجع كتب الميقات وما وضع لذلك من الآلات يقف على المراد والله أعلم



الباب السادس

فى فضل مكة زادها الله شرفا وتعظيما
وحكم المجاورة بها وذكر شىء مما ورد فى ذلك

قال الله تعالى «رب اجعل هذا البلد آمناً» يعنى مكة قال النسفى أى اجعل هذا البلد أو المكان بلداً آمناً أى ذا أمن أو آمناً من فيه فهذا مفعول أول وبلدا مفعول ثان وآمناً صفة له . وقال تعالى فى سورة ابراهيم أيضاً «رب اجعل هذا البلد آمناً» بصيغة التعريف والمراد مكة والفرق بين هذه وبين ما فى البقرة أنه سأل فى الآية الأولى أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها وفى هذه الآية أن يخرجه من صفة الخوف الى الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً كذا فى المدارك . وفى تفسير الكواشى انما عرف هنا ونكر فى البقرة لأن النكرة اذا أعيدت تعرفت وقيل دعا مرتين فحكيتا . وقوله بواد غير ذى زرع هو مكة لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا حرث فكانت هاجر ترضع اسمعيل وتأكل من الشجر وتشرب من الماء اللذين جاءت بهما معها الى أن نفدا وسيأتى الكلام على ذلك فى محله فى فضائل زمزم مستوفى ان شاء الله تعالى . وقال جل وعلا «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة» الآية يعنى مكة شرفها الله تعالى قال القرطبى ضربها الله مثلا لغيرها من البلاد أى انها مع جوار

بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط فكيف بغيرها من البلاد انتهى . وكانت العرب قد قطعت على قريش وكفار مكة الميرة بأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابتلاهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة وكان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون كذا فى المعالم . وقيل فى تفسير قوله تعالى « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين » أنه دخان قريش هذا والصحيح أنه دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ . ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص كذا فى المدرك والحنيذ المشوى على حد قوله تعالى فجاء بعجل حنيذ والخصص الخلل يقال للفرج التى بين الاثافى خصاص كذا فى الصحاح وعنه صلى الله عليه وسلم ان أول آيات الساعة الدخان وانه يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين ليلة ، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فيخرج من منخريه وأذنيه ودبره . وقوله كانت آمنة أى من القتل والسبى . وقوله مطمئنة لايزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف ، وقوله يأتيها رزقها رغدا أى واسعا وقوله من كل مكان أى من كل بلد على حد قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شىء . ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شىء وقال تعالى مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم «انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة

الذي حرمها » قال المفسرون معناه قل يا محمد انما أمرت أن أخص الله تعالى بعبادتي وتوحيدي الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة المشرفة وخصها بالذكر دون غيرها لأنها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها اشارة تعظيم لأنها موطن بيته ومهبط وحيه . ومعنى حرمها يعني جعلها حرما آمناً لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه أحد ؛ وقال تعالى : لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد . وقال تعالى : وهذا البلد الأمين المراد مكة لأمن الناس فيها جاهلية واسلاما . ومعنى القسم به في الموضعين التنويه بشأنه والابانة عن شرفه لأنه مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد سيد المرسلين ومبعث خاتم النبيين وقال تعالى : وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا . قال المفسرون المراد مكة وسبب نزولها ان الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان ماتقوله حق ولكن نخشى ان اتبعناك على دينك أن تخرجنا العرب من أرضنا يعني مكة . وفي الصحيح أنه ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صافين يحرسونها . والنقب بفتح النون وضمها وسكون القاف هو الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب . وفي رسالة الحسن البصري رضي الله عنه التي كتبها لبعض أخوانه بمكة المشرفة يرغبه في الاقامة بها حين بلغه أنه نوى التحول عنها قال عليه السلام خير بلدة على وجه الأرض وأحبها الى الله عز وجل مكة . وقال صلى الله عليه وسلم : من مات بمكة فكأنما مات في السماء الدنيا . وقال عليه السلام : من صبر على حر مكة ساعة من

نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام ، وقال عليه السلام : من مرض يوما واحدا بمكة كتب له من العمل الصالح الذى كان يعمله فى غيرها عبادة ستين سنة ، وقال عليه السلام : ما أحد يخرج منها إلا ندم ومامن أحد يخرج منها ثم يعود إلا ولله عز وجل فيه حاجة . وقال صلى الله عليه وسلم : المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة ثم ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة يرفع منها الحسنات وأنواع البر كل واحد منها بمائة ألف مايرفع من مكة ، وما أعلم بلدة على وجه الأرض فيها شراب الأبرار ومصلى الاخيار غيرها (أقول) قد علمتهما فيما سبق فلا يحتاج الى تكرارهما انتهى . ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض يصلى فيها حيث أمر الله نبيه عليه السلام إلا بمكة قال الله تعالى : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ثم ما أعلم بلدة يصل فيها للانسان عن طاعات الله تعالى ما يصل اليه بمكة . ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض اذا دعا أحد بدعاء أمنت الملائكة على دعائه إلا بمكة حول البيت الحرام . ثم ما أعلم بلدة يحشر منها من الأنبياء والصديقين والأبرار والفقهاء والزهاد والعباد والصالحين من الرجال والنساء ما يحشر من مكة ، انهم يحشرون آمنين يوم القيامة من عذاب الله . ثم ما أعلم بلدة ينزل فيها كل يوم من رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة واياك يا أخى ثم اياك أن تخرج من مكة فلو أنه لم يدخل عليك كل يوم غير فلسين حلالا لكان خيرا لك من ألفين فى غيرها . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . انتهى ما نقل من الرسالة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لولا الهجرة لسكنت مكة انى لم أر السماء بمكان أقرب

الى الأرض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ماطمأن بمكة ، ولم أر القمر بمكان قط أحسن منه بمكة أخرجه الأزرق. ويروى أن قريشا وجدوا فى الركن أو الكعبة كتابا بالسريانية فلم يدروا مافيه حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه : أنا الله ذوبكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لاتزول حتى يزول اخشباها مبارك لأهلها فى الماء واللبن ، وفى رواية أخرى فى الماء واللحم. والأخشبان هما جبلان : أبو قبيس والمقابل له ومكة بينهما .

فصل فيما يدل على أفضلية مكة على غيرها من البلاد

(اعلم) أن العلماء أجمعوا على أن مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الأرض ، ويليهما بيت المقدس ، ثم مكة أفضل من المدينة عندنا ، وعند الشافعية والحنابلة ووهب وابن حبيب من المالكية وهو قول الجمهور ، وروى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ويستدل على ذلك بأمور (منها) ماتقدم من الآيات (ومنها) ان الله تعالى اختار من ولد آدم الأنبياء بجملتهم ثم اختار منهم الرسل ، ثم اختار منهم أولى العزم وفيهم أقوال وهم خمسة على الأكثر ذكرهم الله فى سورتى الأحزاب والشورى والمراد بالعزم الحزم والصبر كذا قاله المفسرون، ثم اختار منهم خليله وحبيبه ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم واختار لهما من الأماكن خيرها وأشرفها وهى مكة جعلها الله مناسك لعباده ومشاعر لوفده وقصاده ، وأوجب الاتيان اليها من القرب والبعد ودخولهم اليها

متواضعين متخشعين متذللين كاشفين رءوسهم مجردين عن لباس أهل الدنيا فهي خير البلاد وأشرفها .

﴿ لطيفة ﴾ ان قيل ماالحكمة في تجريد الناس في الاحرام قيل ليعلم أن باب الله جل وعلا على خلاف أبواب الملوك لأن العادة جرت أن يتزين الناس باللبس الفاخر اذا قصدوا باب المخلوق ففرق بين بابه وباب غيره (وأيضاً) من أهدى الى الملوك ماليس في خزائنهم يكون أرفع قدرا ، وليس شيء الا وهو في خزائن الله سوى الافتقار اللهم أغننا بالافتقار اليك ، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك يارب العالمين ، (ومنها) حديث أبي سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته واقفا بالحزورة يقول والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ماخرجت ، وهو حديث حسن أخرجه أصحاب السنن وصححه جماعة منهم الترمذى ، وزاد الامام أحمد واقف بالحزورة في سوق مكة ، وقد دخل سوق مكة المذكور في المسجد بعد ذلك ، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحزورة وقال انك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله عز وجل ، ولو تركت فيك ماخرجت منك وفي أخرى عنه : والله لقد عرفت أنك أحب البلاد الى الله وأكرمها على الله ، ولو لا أن قومي أخرجوني الحديث ، وفي رواية ابن عباس ماسكنت غيرك . قال بعض العلماء الظاهر أن هذه المقالة كانت منه صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية حين سألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم

أن يخرج من مكة بعد الثلاثة الايام التى أقامها كما وقع الشرط . ولا يظن أحد أنه عليه السلام قال ذلك حال خروجه للهجرة الى المدينة لانه لم يكن بهذه الصفة حين هاجر وانما كان خروجه اليها مستخفيا كما هو معلوم لاراكبا على راحلته اذ لو كان كذلك لأشعر بسفره . وفى تاريخ الأزرق أنه عليه السلام قال ذلك عام الفتح فيحمل على أنه قاله مرتين اذ لاتنافى ، ويكون فيه من تعظيم مكة مالا يخفى ، والحزورة بحاء مهملة مفتوحة وزاء معجمة وعوام مكة يصحفونها ويقولون عزورة بعين مهملة والحزورة هى الرابية الصغيرة جمعها حزاور ، وكان عندها سوق الحناطين بمكة قديماً ، وهى مخففة على وزن قسورة ، والمحدثون يشددون الحزورة والحديبية ، والصواب التخفيف كذا قال الشافعى والدراقطنى ، (ومنها) حديث ابن الزبير رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى مسجدى » رواه أحمد . قال ابن عبد البر فى التمهيد انه ثبت لايطعن فيه ان مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بمائة مذهب عامة أهل الأثر انتهى . وذهب الامام مالك وجمهور أصحابه الى تفضيل المدينة ، وهو مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثير من الصحابة وأكثر أهل المدينة ، واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم : مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، مع قوله عليه السلام : موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها . قال ابن عبد البر هذا

استدلال بالخبر فى غير ماورد فيه ولا يقاوم النص الوارد فى فضل مكة ثم ساق حديث أبى سلمة عن ابن الحمراء المتقدم ، وقال هذا نص فى محل الخلاف فلا ينبغى العدول عنه . وأما الحديث المروى : اللهم انك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك لايختلف أهل العلم فى نكارته ووضعه ، وسئل عنه الامام مالك رضى الله عنه فقال لايحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى . قال الطبرى : وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه لأن قوله فأسكنى فى أحب البلاد يدل سياقه فى العرف على أن المراد به بعد مكة فان الانسان لايسأل ماأخرج منه فانه قال أخرجونى فأسكنى فدل على ارادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتا عنها انتهى ، وأما الحديث الذى فيه المدينة خير من مكة لايرد لأنه ضعيف بل قيل موضوع قال الجد رحمه الله فان قلت ورد فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل بالمدينه ضعفى مابمكة من البركة ، ودعوته صلى الله عليه وسلم مستجابة بلا شك ، وفيهما أيضاً ان الملائكة يحرسونها لايدخلها الطاعون ولا الدجال قلت هذه الأحاديث ونحوها تدل على فضيلة المدينة لاأفضليتها على مكة كما لايخفى ، وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وفى رواية وأشد لا دلالة فيه أما على رواية أو أشد فظاهر لوجود الشك ، وأما على رواية وأشد بدون ألف أو بها وتكون بمعنى الواو فلأن سؤاله عليه السلام حصول أشدية الحب للمدينة بعد وجود المانع من سكناه مكة تسلية

عنها لايلزم منه تفضيل المدينة على مكة بعد استحضار ماتقدم من قوله عليه السلام لقد عرفت أنك أحب البلاد الى الله وأكرمها على الله بشهادة التأمل انتهى .

﴿ فصل ﴾

(واعلم) أن جميع ماسبق من الفضل فيما قدمته محله فى غير الموضع الذى ضم أعضاء النبي صلى الله عليه وسلم أما محل قبره فقد نقل القاضى عياض رحمه الله فى شرح مسلم الاجماع على أنه أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة وأن الخلاف فيما سواه ، ولقد أحسن وأبدع من قال فى المعنى :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما   قد حاط ذات [١] المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت   كالنفس حين زكت زكا مأواها

قال بعض المحققين وقياسه أن يقال ان الكعبة الشريفة أفضل من سائر بقاع المدينة قطعا ماعدا موضع القبر الشريف .

﴿ تنبيه ﴾ روى ابن عبد البر فى التمهيد أن امرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه عند ماخلق قال شيخ الاسلام ابن حجر وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار أن جبريل أخذ التراب الذى خلق منه النبى صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فعلى هذا فالبقعة التى ضمت أعضاءه عليه السلام من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور الى مكة ان صح ذلك

(١) وفى نسخة ضم أعضاء النبى وحواها

والله أعلم انتهى . قال بعض العلماء يؤخذ من قولهم المرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه أفضلية سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر على بقية الصحابة لدفنهما بالقرب من النبى صلى الله عليه وسلم المقتضى لكون طينتهما التى خلقا منها من البقعة التى خلق منها النبى صلى الله عليه وسلم .

﴿ فائدة ﴾ قال ابن حزم التفضيل المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضاً وان كانت من الحل .

﴿ فصل ﴾

واعلم أن لمكة أسماء كثيرة قد ذكرها الله تعالى فى ثمانية مواضع من القرآن العزيز وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . قال النووى رحمه الله لايعلم بلد أكثر اسما من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية (فالأول) مما فى التنزيل مكة ، وذلك فى سورة الفتح فى قوله « ببطن مكة » (الثانى) بكة وذلك فى سورة آل عمران قوله تعالى « للذى ببكة » واختلف فى هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين ، فعن الضحاك ومجاهد أنهما بمعنى واحد وصححه ابن قتيبة محتجا بأن الباء تبدل من الميم كقولهم ضرب لازم ولازب وسبد رأسه وسمده اذا استأصله ، واختلف القائلون بالثانى فقيل بكة بالباء موضع البيت . قاله ابن عباس وابراهيم النخعى ، وقيل مابين الجبلين قال عكرمة وقيل الكعبة والمسجد قاله الجوهرى وزيد بن أسلم وأما بالميم فقيل القرية ، وقيل الحرم كله ، وقيل ذى طوى ، وقيل ماحوالى

البيت واختلف فى اشتقاقها ، فقيل سميت مكة لأنها تمك الجبارة أى تهلكهم وتذهب نخوتهم وأنشدوا فى معناه :

يامكة الفاجر مكى مكا　　ولاتمكى مذحجاً وعكا

وقيل انها تمك الفاجر عنها أى تخرجه ، وقيل انها تجهد أهلها مأخوذ من قولهم تمككت العظم اذا أخرجت مخه ، والتمكك الاستقصاء . وقيل لأنها تجذب الناس اليها من قول العرب امتك الفصيل ضرع أمه : اذا امتصه ، ولم يبق فيه شيئاً ، وقيل لقلة مائها ، وقيل لأنها تمك الذنوب أى تذهب بها ومكة لاتنصرف للعلمية والتأنيث . وأما بكة فقيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها ماقصدها جبار بسوء الا قصمه الله وقيل لازدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضا ، أى يزحمه فى الطواف قاله ابن عباس ، وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين (الثالث) البلدة وذلك فى سورة النمل (الرابع) البلد ، وذلك فى سورة لاأقسم والتين (الخامس) القرية ، وذلك فى سورة النحل ، وقد تقدم الكلام على هذه الآيات آنفا مستوفى (السادس) أم القرى فى قوله تعالى فى سورة الشورى « لتنذر أم القرى » الآية ، وفى تسميتها بذلك أربعة أقوال : أحدها أن الأرض دحيت من تحتها قاله الحبر ابن عباس ، وقال ابن قتيبة لأنها أقدم الأرض ، ثانيها : لأنها قبلة يؤمها الناس ، ثالثها : لأنها أعظم القرى شأناً . رابعها : لأن فيها بيت الله تعالى ، ولما جرت العادة بأن الملك وبلده مقدمان على جميع الأماكن سميت أما لأن الأم متقدمة كذا فى القرى (السابع) معاد بفتح الميم فى قوله تعالى فى سورة القصص « ان الذى فرض

عليك القرآن لرادك الى معاد » أى مكة كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس (الثامن) الوادى فى قوله تعالى فى سورة ابراهيم « بواد غير ذى زرع » المراد به مكة كما تقدم آنفاً فى تفسير الكواشى وأما ماذكر من أسماء مكة (فى غير القرآن) فكثيرة (من ذلك) تسميتها بالناسة بالنون والسين المهملة المشددة ومعنى ذلك أنها تنس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه ذكره النووى وغيره ، (ومن ذلك) النساسة بالنون وتشديد السين الأولى والمعنى فى ذلك كالمعنى فى الناسة ، (ومن ذلك) الحاطمة لحطمها الملحدين ذكره الأزرقى ، (ومن ذلك) صلاح بصاد مهملة مفتوحة وحاء مهملة وسميت بذلك لأمنها وقد جاء فى قول أبى سفيان بن حرب لابن الحضرمى :

أبا مطر هلم الى صلاح فيكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش

وهو مبنى على الكسر كحذام وقطام وما وازنهما ، وقد تصرف كما فى شعر أبى سفيان (ومن) أسمائها (العرش) بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة ذكره ابن جماعة ، (ومن) أسمائها (العريش) بزيادة ياء مثناة من تحت ذكره ابن جماعة أيضاً وعزاه الى قول ابن سيده (ومن) أسمائها (القادس) نقله الفاسى عن صاحب المطالع ، وهو مأخوذ من التقديس أى التطهير يعنى أنها تطهر من الذنوب ، ومن أسمائها (المقدسة) ذكره النووى وغيره والمعنى فيه كما فى الذى قبله ، ومن أسمائها (القادسة) ذكره العز بن جماعة ولم يعزه (أقول) ويكون المعنى والله أعلم الطاهرة

على حد الاسمين المتقدمين لمادة الاشتقاق اللغوى انتهى ، ومن أسمائها (كوثى) ذكره الازرق عن مجاهد ونقله السهيلى أيضا فى روضته وكذا صاحب المطالع الا انه قال باسم بقعة منها منزل بنى عبد الدار وأفاد الفاسى عن الفاكهى أن كوثى فى ناحية قعيقعان وقيل ان كوثى جبل بمنى وهى بكاف مضمومة وثاء مثلثة . ومن اسمائها (الحرم) بحاء وراء مهملتين ، ومن اسمائها (برة) ومن أسمائها (المسجد الحرام) ومن أسمائها (المعطشة) ذكر هذه الاربعة العلامة ابن خليل فى منسكه فأما برة والمعطشة فلم يعزهما ولم يذكر لهما معنى وفى القرآن العظيم مايشهد لتسميتها بالمسجد الحرام كمانقله المرجانى عن ابن سعدى (أقول) ولعله أراد قوله تعالى فى سورة الفتح «لتدخلن المسجد الحرام انشاء الله» الآية فان المراد مكة كما ذكره المفسرون والله الموفق ، ومن أسمائها (الرتاج) براء مهملة وتاء مثناة من فوق وألف ثم جيم نقله المحب الطبرى فى شرح التنبيه حسبما ذكره ابن جماعة ، ومن أسمائها (أم رحم) براء مهملة مضمومة كذا حكى عن مجاهد لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادعون ومن أسمائها (أم زحم) بزاء معجمة من الازدحام نقله الفاسى عن الرشاطى رحمهما الله ومن أسمائها (أم صبح) ومن أسمائها (أم روح) ذكرهم ابن الأثير فى كتابه المرصع ، ومن أسمائها (بساق) ذكره ابن رشيق فى العمدة مستدلا بشعر لامية ابن حرثه . وقيل ان بساق بلدة بالحجاز وهو بباء موحدة وسين مهملة وألف وقاف . ومن أسمائها (البيت العتيق) ذكره الأزرقى وغيره. قال الفاسى ولعل ذلك من تسمية الكل

باسم البعض وهو مجاز شائع لكن يرد على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كما اذا لحظ هذا المعنى انتهى . (أقول) على هذا يكون لمكة فى القرآن عشرة أسماء بل وأكثر عند التتبع والتدبر فتأمل والله الموفق . ومن أسمائها (الرأس) ذكره النووى والسهيلى وغيرهما والمعنى أنها أشرف الأرض كرأس الانسان فانه أشرف أعضائه . ومن أسمائها (المكتان) ذكره الفاسى عن شيخه بالاجازة برهان الدين القيراطى ثم قال : ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الأسدى

ببطن المكتين على رجائى   حديثك ان أرى منه خروجا

قال السهيلى بعد أن ذكر هذا البيت أى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر وانما مقصد العرب فى هذه الاشارة الى جانبى كل بلدة أو الاشارة الى أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المعنى انتهى ومن شعر عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى فى حصار عثمان ابن عفان رضى الله عنه :

أرى الأمر لايزداد إلا تفاقما   وأنصارنا بالمكتين قليل

وأسلمنا أهل المدينة والهوى   الى أهل مصر والذليل ذليل

ومن أسمائها (النابية) بالنون والموحدة ذكره الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره ، ومن أسمائها (أم الرحمة) ، ومن أسمائهم (أم كوثى) ذكرهما المرجانى وعزا الأول الى ابن العربى ولم يعز الثانى ولم يذكر له معنى . ومن أسمائها (الباسة) بالباء الموحدة والسين المهملة لأنها تبس الملحد فيها أى تهلكه من قوله تعالى وبست الجبال بسا ، ومن أسمائها

(النسة) لأنها تنس الملحد أي تطرده وقيل لقلة مائها والنس اليبس ذكرهم ابن جماعة ، ومن أسمائها (الناشئة) بالنون والشين المعجمة (والباسة) بموحدة وسينين مهملتين بينهما ألف والمعنى فيه ظاهر (وطيبة) لطيبها (وسبوحة والسلام والعذراء ونادرة والعرش) بضم العين والراء المهملتين بعدهما شين معجمة (والعروش) بزيادة واو (والحرمة) بضم الحاء المهملة (والحرمة) بكسرها (والعروض والسبل ومخرج صدق وقرية الحمس وأم راحم) والمعنى ما تقدم في أم رحم (وقرية النمل ونقرة الغراب) والحمس قريش وبهذه ثمانية عشر اسما ذكرها العلامة مجد الدين الشيرازي مع ذكر غيرها أيضاً مما تقدم ومما سيأتي مما ذكره غيره ومن أراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهده وفوائده فليراجع شرح صحيح البخاري للقاضي مجد الدين المذكوران وجده قال الفاسي رحمه الله قلت قرية النمل ونقرة الغراب علامتان لموضع زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها وعدها بعضهم اسمين مجازا فان كان شيخنا مجد الدين لحظ كونهما اسمين لزمزم وسمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة الصفا والمروة والحزورة وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة وقوله وقرية الحمس ان كان لحظ في تسميته مكة بذلك أن الحمس كانوا سكان مكة فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة قرية العمالقة وقرية جرهم لكونهم كانوا سكان مكة قبل الحمس اللهم إلا أن تكون تسمية مكة بقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس منقولة عن أهل اللغة فلا يقاس عليه غيره والله

أعلم انتهى ما قاله الفاسى . (أقول) وهو كلام عظيم وبحث عظيم مستقيم لكن فى تسمية مكة بقرية الحمس الذين هم قريش دون من ذكر من العمالقة وجرهم وغيرهم من سكانها قبلهم أوفى دليل على فضل قريش ومزيد شرفهم وذلك لتميزهم بكونهم أهل الله وتسميتهم بذلك وهم فى حال الشرك لما ورد فى حقهم من الآيات والأحاديث والأخبار التى ستقف عليها فيما سيأتى مفصلا فى محله ان شاء الله تعالى وكيف ومنهم سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم انتهى . ومن أسماء مكة أيضاً (البنية وقدان) ذكرهما يقوت الحموى وقد نظم القاضى أبو البقاء ابن الضياء الحنفى رحمه الله سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسما وهى

لمكة أسماء ثلاثون عددت ... ومن بعد ذاك اثنان منها اسم بكة
صلاح وكوثى والحرام وقادس ... وحاطمة البلد العريش بقرية
ومعطشة أم القرى رحم ناسة ... وباسة رأس بفتح لهمزة
مقدسة والقادسة باسة ... ورأس وتاج أم كوثى كبرة
سبوحة عرش أم رحمن عرشنا ... كذا حرم البلد الأمين كبلدة
كذاك اسمها البلد الحرام لأمنها ... وبالمسجد الاقصى الحرام سمت
وما كثرة الأسماء إلا لعظمها ... حماها به الرحمن من أجل كعبة

وما أحسن ما أنشده بعض العلماء على لسان حال النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة شرفها الله تعالى

أحب بلاد الله ما بين منعج ... الى وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها نيطت على تمائمي ... وأول أرض مس جلدي ترابها

ولبعضهم من قصيدة طويلة في المفاخرة بين مكة والمدينة

لمكة مجد باذخ الركن والقنن ... وفضل منيف باسق الدوح والفنن
ومكة فيها كعبة الحسن كله ... وزينها في خدها خالها الحسن
ومكة للمختار مسقط رأسه ... وكان له فيها احتضان لدى حضن
وفي مكة منشا أبيه وجده ... وأعمامه والأصل والفرع والشجن
وفي مكة وافاه جبريل أولا ... وكلمه بالوحي في السر والعلن
وفي مكة كانت مبادي كلامه ... وانزاله القرآن والخير في قرن
وفي مكة أبدى الهدى نور وجهه ... وكانت بهم من قبل بشرى ابن ذي يزن
وفي مكة أسرى به الله ربه ... وطاف به السبع السموات في سنن
وفي مكة فتح مبين تنزلت ... به سورة [illegible] فخذ أبن
وفي مكة كانت ولادة [illegible] ... وما أنجبت منه خديجة في [illegible]
وفي مكة موطي الخليل وداره ... وزمزمه والحجر والمنزل الأمن

وهي طويلة وهذا بعض منها يستدل به على المراد

{ فائدة } إذا كتب بدم المرعوف على جبهته مكة [illegible] والله رءوف بالعباد انقطع الدم

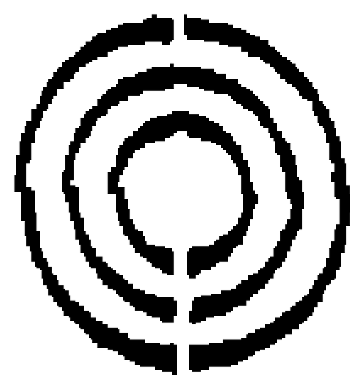
{ ومن خصائص مكة شرفها الله تعالى } أن من [illegible] أكل اللحم وشرب الماء فقط [illegible] منه الضرر أخرجه الأزرقي

{ فرع } [illegible] في [illegible] مكة [illegible]

أبوحنيفة رضى الله عنه وطائفة من العلماء منهم ابن رشد من المالكية والقاضى أبو الطيب من الشافعية الى كراهة المقام بها لأسباب ثلاثة (أحدها) خوف التقصير فى حرمتها والتبرم اذ ملازمة المكان تفضى الى قلة المهابة والتعظيم ولذلك كان عمر رضى الله عنه يأمر الحاج بالرجوع الى أوطانهم (الثانى) تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود كما قال بعض العلماء لأن تكون فى بلد وقلبك مشتاق الى مكة خير لك من أن تكون فيها وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر (الثالث) الخوف من ارتكاب الخطايا بها فان ذلك محظور كبير ومع ذلك فلا يظن أحد أن كراهة المقام بمكة يناقض فضل الكعبة لأن هذه كراهة سببها ضعف الخلق عن القيام بحقوق الله تعالى كذا قاله الغزالى ، وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لخطيئة أصيبها بمكة أعز على من سبعين خطيئة بغيرها وذهب الشافعى وأحمد وغيرهما من العلماء منهم أبو يوسف ومحمد من أصحابنا وابن القاسم من المالكية الى استحباب المجاورة بها لما يحصل فيها من الطاعات التى لا تحصل فى غيرها وتضعيف الصلوات والحسنات وغير ذلك والفتوى عندنا على قول الصاحبين كما صرح به الفارسى فى منسكه عن المبسوط والدليل على الاستحباب ما تقدم من حديث أبى الحمراء وقول عائشة فلا نعيده

﴿ فائدة ﴾ قال ابن الجوزى فى مثير العزم بلغ عدة من استوطن مكة من الصحابة أربعة وخمسين رجلا ومن التابعين جماعة كثيرة وقد جاور بها عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم

﴿ تنبيهان الأول ﴾ ماتقدم من الكلام محله فى المجاورة فقط من غير سكنى ، وأما السكنى والانقطاع فهو بالمدينة أفضل ويشهد له ماثبت من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ، وفى الصحيحين اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد ، وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها الى الجحفة . وهى رابغ ولم يرد فى سكنى مكة شىء من ذلك بل كرهه جماعة من العلماء كما سبق (الثانى) روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة ، وفى الترمذى من حديث عمر مرفوعا من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها . فالموت حينئذ بالمدينة الشريفة أفضل من الموت بمكة لهذه الأحاديث ولأنه من لازم أفضلية السكنى بها على السكنى بمكة الشرفة ، وان كان قد ورد مايقتضى أن الموت بمكة فيه فضل عظيم كذا فى منسك الجد نور الله ضريحه ، والله تعالى أعلم .



الباب السابع

﴿ فى فضل الحرم وحرمته والمسجد الحرام ﴾

وزيادة الثواب للعامل فيه على غيره وتضعيفه
وذكر شيء من خبر عمارته وتوسعته

قال الله تعالى : « أولم نمكن لهم حرما آمنا » الآية ، وقد تقدم الكلام على أول هذه الآية فى الباب الخامس

﴿ لطيفة ﴾ قال النسفى واسناد الأمن المذكور الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز ، وقال الله تعالى : « أولم يروا يعنى أهل مكة أنا جعلنا حرما آمناً » الآية . (واعلم) أن حرم مكة المذكور هو ما أحاط بها من جوانبها ، وقد جعل الله حكمه حكم مكة تشريفا لها ، (وفى سبب) كون هذا القدر المخصوص حرما . أقوال : فقيل ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الأرض خاف على نفسه من سكان الأرض ، وهم يومئذ الجن والشياطين فبعث الله ملائكة يحرسونه فوقفوا فى موضع أنصاب الحرم من كل جانب ، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما ، وقيل ان الحجر الأسود لما وضعه الخليل عليه السلام فى الكعبة حين بناها أضاء يمينا وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله عز وجل من حيث انتهى النور وقيل أهبط الله البيت الى آدم ، وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهابا ، وله بابان

شرقى وغربى فأضاء نوره مابين المشرق والمغرب ففزع لذلك سكان الأرض ورقوا فى الجو ينظرون من أين ذلك النور ، فلما رأوه من مكة أقبلوا اليه فأرسل الله حينئذ الملائكة فقاموا فى مكان الأنصاب فمنعتهم فمن ثم ابتدأ اسم الحرم ، وقيل غير ذلك (وأول) من نصب أنصاب الحرم ابراهيم الخليل بتوقيف جبريل عليه السلام ثم حددها قصى بن كلاب بعد ذلك ، وقيل بل جددها اسماعيل عليه السلام بعد أبيه ثم قصى بعده وقيل ان أول من نصبها عدنان بن أدحين خاف أن يدرس الحرم ثم نزعتها قريش بعد ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم اذ ذاك بمكة قبل هجرته فاشتد ذلك عليه فجاءه جبريل عليه السلام وأخبره أنهم سيعيدونها فرأى عدة من قريش فى المنام كأن قائلا يقول حرم أعزكم الله به ومنعكم نزعتم أنصابه الآن تتخطفكم العرب فأعادوها فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال له عليه السلام هل أصابوا فى ذلك ، فقال جبريل عليه السلام : ماوضعوا نصباً الا بيد ملك ثم جددت عام الفتح بأمره صلى الله عليه وسلم وجددت أيضاً فى زمن عمر وعثمان ومعاوية وعبد الملك بن مروان والمهدى العباسى

واختلف العلماء فى مكة وحرمها هل صار آمناً بسؤال الخليل عليه السلام أم كان ذلك منذ خلق الله السموات والأرض الصحيح الثانى ويشهد له مارواه ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال : ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لايعضد شوكه ولا ينفر صيده

ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه الى آخر ما قاله صلى الله عليه وسلم فقال العباس يارسول الله إلا الا ذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال إلا الاذخر متفق عليه وورد فى لفظ فى الصحيحين ولا يعضد شجرها يعنى مكة والمراد الحرم (سؤال) ان قيل قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة فهذا تصريح بتحريم الخليل عليه السلام أجيب عنه بأن ابراهيم عليه السلام انما أظهر حكم التحريم بعد أن كان مهجورا وسببه أن الطوفان لما وقع اندرس البيت الشريف ونسى ذلك الحكم وهجر والذى تجدد بسؤال ابراهيم هو أن يجعله آمناً من الجدب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات . والعضد فيما تقدم القطع والمراد من تنفير صيده أن لا يصاح عليه فينفر (أقول) إذا كان المراد من التنفير ما ذكر فمن باب أولى أن لا يضرب بعصا وحجر ونحوهما كما يفعله كثير من الناس لتأذيه بذلك أكثر ويستفاد من ذكر الصيد العموم سواء كان من الحمام القاطن بمكة أو من غيره مما يدخل من الحل اليها لأنه بالدخول استفاد الأمن كما صرح به علماؤنا فى فروعهم انتهى وعن عكرمه تنفير الصيد أن تنحيه من الظل وتنزل مكانه . والخلا بفتح الخاء والقصر الحشيش إذا كان رطباً فاذا يبس فهو حشيش وهشيم ، والاختلاء القطع أيضاً ، والاذخر نبت طيب الريح معروف عند أهل مكة وفى حكم الاذخر السنا ونحوه مما يحتاج اليه (أقول) لقائل أن يقول هذا إذا كان ما يحتاج اليه من الاذخر ونحوه لا ينبت إلا فى الحرم فقط وأما إذا نبت فيه وفى الحل فينبغى أن يترك

مافى الحرم ويؤخذ ما فى الحل امتثالا للحديث وعملا بمقتضاه وان كان فى ذلك مشقة لأنه حينئذ يكون أخذا بالعزيمة والاستثناء فى الحديث للرخصة انتهى . والقين الحداد لأنه يحتاج اليه فى عمل النار واحتياج البيوت لأجل السقوف واستثناؤه صلى الله عليه وسلم على الفور تمسك به من الأصوليين من يقول بجواز الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم أو تفويض الحكم اليه ثم قيل ان السبب فى سؤال العباس رضى الله عنه كونه من أهل مكة وقد علم أنه لا بد لهم منه (أقول) غير العباس من قريش من أهل مكة أيضاً ولم يسأل فاما لكونه لم يعلم أنهم لم يستغنوا عنه أو يكون ترك ذلك تأدبا مع العباس لمكانته وفضله وقربه منه صلى الله عليه وسلم فتأمل انتهى : قال شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله فى فتح البارى ناقلا عن ابن التين والحق أن سؤال العباس كان على وجه الضراعة وترخيص النبي صلى الله عليه وسلم كان تبليغاً عن الله اما بطريق الوحى أو الالهام ومن ادعى أن نزول الوحى يحتاج الى أمد متسع فقد وهم انتهى

﴿ فصل ﴾

واعلم أن لهذا الحرم الشريف فضائل كثيرة وخصائص حميدة شهيرة تدل على شرفه وفضله وخيره ويمتاز بها على كثير من البلاد غيره

﴿ فمن فضائله ﴾ ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة وعنه أيضاً أنه قال حج الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيما له . وعن جابر بن

عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما عقرت ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة لم يبق منهم أحد إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله عز وجل فمنعه الحرم فقالوا من هو يارسول الله فقال أبو رغال أبو ثقيف فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه رواه مسلم ورغال بالغين المعجمة وقوله أبو ثقيف يعنى جدهم ، ونقل الزمخشرى أن النبى صالحا عليه السلام وجه أبا رغال على صدقات فأساء السيرة فقتله ثقيف وهو الذى يرجم قبره بمكة ، وقيل انه دليل أبرهة الى البيت انتهى : ويقال ان قبره بالمغمس باق الى الآن والله أعلم . وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكه إذا أراد قضاء حاجته يخرج الى المغمس ونقل عن الشيخ أبى عمرو الزجاجى أحد مشايخ الصوفية المشهورين أنه أقام أربعين سنة بمكة لم يبل ولم يتغوط فى الحرم ، وأما خصائص الحرم المطهر فتحال عن الحصر (ومنها) أنه لا يدخله أحد إلا باحرام وهل ذلك واجب أو مستحب فيه خلاف بين الأئمة رضى الله عنهم والوجوب مذهبنا (ومنها) تحريم صيده على جميع الناس سواء فى ذلك أهل الحرم وغيرهم وسواء المحرم منهم والحلال بل يجب عندنا إرسال صيد الحل إذا دخل الحرم لاستفادته الأمن بدخوله وان ذبح حرم أكله (ومنها) تحريم قطع شجره وحشيشه كما تقدم فى خطبة الفتح (ومنها) أن من دان بغير دين الاسلام منع من دخوله مقيما كان أو مارا كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى وجمهور الفقهاء ماعدا امامنا أبا حنيفة رضى الله عنه ورحمه فانه جوز ذلك لمن لم يستوطن (ومنها)

أن لقطته لا تحل لتملك وإنما تحل للمنشد وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه وأرضاه وعند الأئمة الثلاثة أن حكم لقطة الحرم كغيره من البلاد والمذهب عندنا أنها تحل للمعرف بعد سنة والمراد بالمنشد عندنا المعرف وعند الشافعي المالك (ومنها) تحريم دفن المشرك فيه ولو دفن ينبش ما لم يعلم تفسخه (ومنها) تغليظ الدية بالقتل فيه بزيادة ثلثها سواء كان القتل عمدا أو خطأ عند الشافعية والحنابلة كما نقله ابن جماعة في منسكه قال الفاسي وفيما نقله عن الشافعية نظر لأن الصحيح عندهم أن التغليظ باعتبار التثليث بأن يكون ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة وهذا لا يفهم مما نقله ابن جماعة والله أعلم (ومنها) تحريم اخراج أحجاره وترابه الى الحل سواء قل أو كثر كما هو مذهب الشافعي وعندنا انما يحرم اخراج الكثير من ذلك المؤدي الى التخريب وأما إخراج القدر اليسير للتبرك فلا بأس به ويكره إدخال ذلك من الحل اليه لئلا يحدث لها حرمة لم تكن له (ومنها) أن ذبح دماء الهدايا والجبرانات مختص به ولا يجوز في غيره (ومنها) أن المتمتع والقارن إذا كان من أهله لادم عليهما عند مالك والشافعي وأكثر العلماء لكونهما من حاضري المسجد الحرام وهذا بناء على جواز ذلك من أهل الحرم خلافا لمذهبنا (ومنها) أن الصلاة النافلة التي لا سبب لها لا تكره في وقت من الأوقات سواء في ذلك مكة وسائر الحرم بخلاف خارج الحرم فإنها هناك مكروهة وهو مذهب الشافعي وخالف أصحابنا في ذلك وأطلقوا الكراهة واستدل الشافعي رحمه الله بما رواه جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا يصلى عند هذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الدارقطنى وجوز البيهقى فى المراد بالصلاة احتمالين أحدهما أن يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصة قال وهو الأشبه بالآثار والاحتمال الآخر أن يكون المراد جميع الصلوات قال ابن جماعة ولفظ حديث الدارقطنى يرد الاحتمال الأول الذى ذكره البيهقى وفيه بعد ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهى كما هو مذهبنا. ومذهب المالكية والله أعلم أنه أشبه بالآثار وتأول بعضهم الصلاة على الدعاء (ومنها) أن الانسان إذا نذر قصده لزمه الذهاب اليه بحج أو عمرة كما هو مذهب الشافعى والامامين أبى يوسف ومحمد من أصحابنا بخلاف غيره من المساجد فانه لا يجب الذهاب اليه إذا نذره إلا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى على الأصح عند النووى وفيه خلاف بين العلماء (ومنها) تضعيف الأجر فى الصلاة بمكة وكذا سائر الحرم كما رجحه جماعة من أهل العلم وحكم سائر أنواع الطاعات فى التضعيف حكم الصلاة وستقف عليه قريباً ان شاء الله تعالى (ومنها) إذا نذر أن ينحر بمكة لزمه النحر بها والتصدق باللحم على مساكين الحرم فقط عند الشافعى وعندنا يجوز على غيرهم أيضاً وقد تقدم ولو نذر ذلك فى بلد آخر لم يصح نذره على الراجح (ومنها) تضاعف السيئة به كما نقله المحب الطبرى فى القرى عن مجاهد وأحمد بن حنبل وكذلك نقل عن غيرهما من العلماء والصحيح من مذاهب العلماء أن السيئة بالحرم كغيره (ومنها) أن المقيم بالحرم لا يجوز له إحرام الحج إلا منه (ومنها) أن المستحب لأهل مكة أن

يصلوا العيد فى المسجد الحرام لا فى الصحراء بخلاف غيرهم وذلك لفضيلة البقعة ومشاهدة الكعبة وذهب جماعة من العلماء منهم الغزالى الى أن حكم المسجد الأقصى فى ذلك كمسجد مكة ومال النووى الى خلاف ذلك قال لم يتعرض الجمهور له وظاهر إطلاقهم أنه كغيره (ومنها) أن الانسان يؤاخذ بهمه بالسيئة بالحرم وان كان بعيدا عنه كما يروى من حديث عبد الله بن مسعود فى قوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد الآية أنه قال لو أن رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عز وجل عذابا أليما . ووجه اختصاص الحرم بهذا الحكم أن غيره من البلاد إذا هم الانسان فيه بسيئة لا يؤاخذ بها إلا إذا عملها كما هو موجب حديث ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل فى كتابة الحسنات والسيئات وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة وهذا الحديث فى الصحيحين وظاهره يقتضى عموم البلاد فى حق هذا الحكم فيدخل الحرم فى ذلك لكن حديث ابن مسعود المتقدم آنفاً يخص الحرم والله أعلم (ومنها) وجوب قصده فى كل سنة على طائفة من الناس لاقامة فريضة الحج (ومنها) اختصاص حمام مكة فى الجزاء بشاة من غير حكم إذا أصيب فى الحرم كما هو مذهب مالك والشافعى رحمهما الله تعالى (ومنها) أن الجارح يتبع الصيد فاذا دخل الحرم تركه كذا نقله ابن الحاج عن بعض المفسرين (ومنها) أن أهل الحرم لايقاتلون إذا بغوا فيه عند بعض العلماء لكن يضيق عليهم حتى يكفوا عن ذلك وقال

القفال من الشافعية انه يمتنع أيضاً قتال الكفار بالحرم إذا تحصنوا فيه وهو مقتضى مذهب مالك رحمه الله نص عليه ابن الحاجب فى مختصره وذهب أكثر العلماء الى جواز قتال الكفار والبغاة بمكة تقديماً لحق الله تعالى كما صححه النووى . وأجابوا عن الأحاديث الصحيحة الواردة فى تحريم القتال بمكة بأن معناها تحريم نصب القتال عليهم بما يعم كالمنجنيق وشبهه إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك بخلاف ما إذا تحصن كفار فى بلد آخر فانه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شئ وذكر أن الشافعى رحمه الله نص على هذا التأويل (ومنها) عند إمامنا أبى حنيفة أن القاتل عمدا والزانى المحصن والحربى الذى بغير أمان إذا لجأوا الى الحرم لا يقتل الأول والثالث ولا يقام الحد على الثانى ماداموا فى الحرم بل يضيق عليهم حتى يخرجوا منه ويستوفى من كل ما وجب عليه وهذا إحدى الروايتين عن الامام أحمد ومذهب مالك والشافعى أن الحرم لا يمنع من استيفاء القصاص والحد (ومنها) على ما قال ابن الصلاح من الشافعية لا يجوز أخذ شئ من مساوييك الحرم وذكر ابن الحاج من المالكية أنه يجوز (ومنها) أن المستنجى بحجارة الحرم مسئ ويجزئه ذلك قاله الماوردى (ومنها) أنه لا يحل حمل السلاح بالحرم لغير ضرورة عند مالك والشافعى لما رواه جابر فى الصحيحين (ومنها) أن الله تبارك وتعالى أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة وأن لا يأخذوا منهم أجرا على نزولهم فى مساكنها كما هو مفهوم كلام ابن عساكر فى فضائل منى وفى كلام السهيلى ما يقويه أيضا

(ومنها) أنه يمتنع على المهاجر منها الاقامة بها الا ثلاثة أيام بعد الصدر كما هو معنى ما رواه ابن الحضرمي عن النبي صلى الله عليه وسلم (ومنها) أن الطاعون والدجال لا يدخلان الحرم ولا المدينة الشريفة كما ذكره الحافظ عمر بن شبة في أخبار مكة واستدل بحديث ورد في ذلك نقله العلامة ابن حجر في فتح الباري . وذكر أن رجاله رجال الصحيح ثم قال وعلى هذا فالذي نقل أنه وجد في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ليس كما ظن من نقل ذلك أو يجاب ان تحقق ذلك بجواب القرطبي وهو أن لا يدخلها من الطاعون مثل الذي في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهو جواب صالح على تقدير التنزل أن لو وقع شيء من ذلك بها انتهى . (ومنها) أن سيل الحل لا يدخل الحرم وانما يخرج من الحرم الى الحل واذا انتهى سيل الحل الى الحرم وقف (ومنها) أيضاً خصال خمس تتعلق بمنى ﴿ الأولى ﴾ أن حصى الجمار على كثرته وتزايده في كل عام يمتحق ويرى على قدر واحد وقد ورد أن ما تقبل رفع ولولا ذلك لصار ركاما ﴿ الثانية ﴾ أن اللحوم في أيام منى تشرق وتوضع على الجدران وعلى صخرات الجبال وأسطحة البيوت وهي محروسة بحراسة الله تعالى من خطف الطيور وقد شوهد أن الحدأة اذا رأت شيئاً أحمر بيد إنسان أو على رأسه انقضت عليه لكي تخطفه وهي تحوم على تلك اللحوم لا تستطيع أن ترزأ منها شيئاً . وقيل انما سميت أيام التشريق لهذا المعنى ﴿ الثالثة ﴾ أن الذباب في أيام منى لا يقع على الطعام بل يترك العسل ونحوه فلا يقع فيه بل قل أن يحوم عليه هذا مع كثرة العفونات

الجائية لكثرة الذباب فاذا انقضت تلك الأيام تهافت الذباب على ذلك حتى لا يطيب للطاعم طعام وفى ذلك عبرة ﴿ الرابعة ﴾ اتساعها للحجيج . روى أبو الدرداء رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله ان أمر منى لعجيب هى ضيقة فاذا نزلها الناس اتسعت فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انما مثل منى كالرحم اذا حملت وسعها الله تعالى ﴿ الخامس ﴾ أن البعوض تكون كثيرة بمنى فى طول السنة الا فى أيام الموسم فانها تقل فيها جدا ذكره أبو سعيد فى الوفا (أقول) بل لعل البعوض لا يوجد فى أيام الموسم بمنى وان وجد القليل منه فلا يؤذى وقد جربت ذلك والله الموفق .

(فصل)

وأما المسجد الحرام فاعلم أن له أربعة استعمالات (أحدها) نفس الكعبة لقوله تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » (الثانى) الكعبة وما حولها من المسجد قال النووى وهو الغالب واستدل له بقوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام . اذ المراد به نفس المسجد فى قول أنس بن مالك رضى الله عنه ورجحه الطبرى وفى الصحيح ما يقويه وعليه فهل كان الإسراء من الحجر أو من الحطيم قولان . وقيل أسرى به من بيت أم هانىء . وقيل من شعب أبى طالب فيكون المراد على هذا فى هذه الآية مكة كما فى القول الآتى قال ابن المنير وهذه الآية لا تنافى شيئاً من هذه الروايات الأربع لأن المسجد

الحرام مكة بل الحرم بجملته وهذه البقاع كلها داخلة فى اللفظ انتهى (الثالث) جميع مكة لقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام . قال ابن عطية وأعظم القصد هنا مكة (الرابع) جميع الحرم الذى يحرم صيده ومنه قوله تعالى إلا الذين عاهدتم من المشركين عند المسجد الحرام وعهدهم انما كان بالحديبية وهى من الحرم وكذا قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام قال ابن عباس انه جميع الحرم . قال الماوردى حيث ذكر الله المسجد الحرام فى كتابه فالمراد به الحرم إلا فى قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فان المراد به الكعبة شرفها الله تعالى

﴿ استطراد مفيد ﴾

﴿ فى الكلام على تعيين ليلة الاسراء ويومها الذى أسفرت عنه ﴾

ومكانه من العشر ومكان العشر من الشهر ومكان الشهر
من السنة ومكانها من السنين لأن الشىء بالشىء يذكر
وحيث ذكرت آية الاسراء رأيت أن أذكر ما يتعلق
بتاريخ الاسراء لما فيه من زيادة الفائدة مع بيان ما هو
المعتمد والمرجح فأقول

فاعلم أن للعلماء فى تعيين ليلة الاسراء أقوالا كثيرة فقيل انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة قاله ابراهيم الحربى

ورجحه ابن المنير كما ستقف عليه قريباً . وقيل بعد البعث بخمس سنين
وقيل بعده بخمسة عشر شهرا . وقال ابن اسحاق أسرى به صلى الله
عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل . وقيل ليلة سبع وعشرين
فى رجب قاله الغزالى فى الاحياء . وقال الحافظ مغلطاى بعد ذكر مقالة
الحربى . وقيل فى رجب اجمالا من غير تعيين وقيل غير ذلك . وفى
مسلم من طريق شريك أنه قبل أن يوحى اليه . قال العلامة المحقق
المجتهد ناصر الدين أحمد بن المنير المالكى رحمه الله : ولا يصح هذا بوجه
إلا على القول بأنه منام كما وقع لعائشة رضى الله عنها أنها قالت انه كان
بالمدينة بعد الهجرة وانه منام وأصحها عندى ما قاله ابراهيم الحربى
وقال ورجح القاضى عياض قول من قال انه قبل الهجرة بخمس سنين
وقول ابن اسحاق على القول بأنه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا القول
بأن خديجة صلت معه قبل أن تموت بلا خلاف بين أهل السير مضافا
الى أن خديجة رضى الله عنها ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ما قيل فيها
ثلاث سنين ومضافا الى أن الصلاة لم تفرض إلا فى الاسراء . وهذا
عندى لا يلزم منه تخطئة القول بأنه قبل الهجرة بسنة لأن الصلاة التى
صلتها خديجة معه صلى الله عليه وسلم هى التى كان يصليها عليه السلام
قبل الاسراء غير محدودة ولا معدودة بعدد المكتوبات المستقرة ألا ترى
أن مسلما ذكر فى حديث ابن حماد أنه عليه السلام صلى ببيت المقدس
ركعتين قبل أن يعرج الى السماء فدل أن الصلاة كانت مشروعة فى
الجملة وقد كان قيام الليل واجباً عليه صلى الله عليه وسلم باتفاق بل

كانت الصلاة مشروعة فى الملل السالفة لكن على غير هذا التحديد فظهر أن لا حجة فى ذلك على القائل بما اخترناه ثم الحجة لنافى ترجيحه أن كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لأنه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وأما قول الحربى فانه عين فيه الليلة بعينها من الشهر بعينه من السنة بعينها كما تقدم وإذا تعارض خبران أحدهما أحاط راويه بتفصيل فى القضية زائد على الاجمال الذى فى غيره فالمحيط علمه بالتفصيل أحضر ذهناً وأوعى قلباً من الآخر . فان قلت هل يمكن تعيين اليوم الذى أسفرت عنه تلك الليلة بعينه من أيام الجمعة قلت يمكن ذلك بعون الله ويكون يوم الاثنين ان شاء الله تعالى وذلك أنى استقرأته من تاريخ الهجرة وأصح قول فيها أنها كانت يوم الاثنين وثانى عشر شهر ربيع الأول أعنى وصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قيل ضحى وقيل عند استواء الشمس وإذا كان الثانى عشر من الشهر الاثنين كان أوله الخميس قطعاً وإذا كان أوله الخميس كان أول شهر ربيع الأول من السنة التى فيها الاسراء اما السبت أو الأحد أو الاثنين لأن بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة أو أربعة أو خمسة ولهذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها أو رابعه أو سادسه وأعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة تعقبها الثلاثاء والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب توالى التمامات فى الشهور أو النقصانات فبنى من هذه الاحتمالات الثلاثة على الأول فيكون أول ربيع الأول من سنة الاسراء الاثنين ويكون أول ربيع الآخر وهو شهر

الاسراء الأربعاء لانا فرضنا ربيعا الأول تاما وإذا كان أول شهر الاسراء كان السابع والعشرين منه يوم الاثنين وهو يوم الاثنين ان شاء الله تعالى الذي أسفرت عنه ليلة الاسراء . وانما رجحنا تمام الشهر ليوافق كون المولد يوم الاثنين وكون البعث يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة كذلك فان هذه أطوار الانتقالات النبوية وجودا ونبوة وهجرة ومعراجاً ووفاة فهذه خمسة أطوار اتفقوا على أربعة منها أنها يوم الاثنين فيقرب جدا أن يكون الخامس اسوتها ويكون هذا اليوم فى حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة فى حق آدم عليه السلام فيه خلق وفيه نزل الى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وهذا نظر صحيح لا يحتاج إلا توفيقاً من القائل وانصافا من السامع . وقد ثلج به الصدر ان شاء الله تعالى . ويجوز أن تبنى أيضاً أن بين اليومين أربعة فيكون أول شهر ربيع الأول من سنة الاسراء الأحد وأول شهر ربيع الآخر الثلاثاء فيكون السابع والعشرون منه الأحد فوقع الاسراء فى الليلة التى بين الأحد والاثنين على القول بأن الليلة تتبع اليوم الذى قبلها فيصح أنها الليلة التى كان يسفر صباحها عن يوم الاثنين فاستقر على الاحتمالين تعلق الاسراء بيوم الاثنين . ويدل على أن الليلة تتبع اليوم الذى قبلها أن ليلة عرفة هى التى بعد يوم عرفة ولهذا يجزئ الوقوف فيها الى طلوع الفجر ولا يجزئ فى الليلة التى قبلها بالاجماع وقد ورد أن الاسراء كان ليلة الجمعة وهذا نقل محض يطلب فيه الصحة ولم يعضد بأصول تقربه من الحق بخلاف ما قدمناه فقد بينا الأصول التى تقتضيه

نقلا واستنباطاً وأمكن عندي في القول الذي اخترناه أن يكون ليلة الجمعة وذلك بأن نفرض بين اليومين المتقابلين خمسة أيام فيكون الثاني سادس الأول . وقد اتفق هذا العام أن كانت الوقفة الأربعاء والوقفة التي قبلها الجمعة فجاءت هذه سادس تلك واذا قلنا انها ليلة الجمعة على هذا التقدير لأنه قد استقر أن ربيعا الأول سنة الهجرة كان أوله الخميس ونفرضه ناقصاً ليكون ربيع الآخر من سنة الهجرة الجمعة فيكون أول ربيع الآخر من السنة التي قبلها وهي سنة الاسراء الأحد فيكون السابع والعشرين منه الجمعة وهي ليلة الاسراء وهو لائق بالاسراء لأجل فضيلة ليلة الجمعة

﴿ تنكيت لطيف ﴾ يرجح ما قاله الحربي وذلك أن ليلة سبع وعشرين تضاهي في العدد أفضل الليالي ليلة القدر وهي ليلة سبع وعشرين من رمضان

﴿ تنكيت ألطف من الأول ﴾ انحصرت هذه الليالي الثلاث الفضلات ليلة نصف شعبان وليلة سبع وعشرين من رمضان وهي ليلة القدر وليلة عرفة فوجدتها لا تزال متواخية ان كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمعة وكذلك غير الجمعة من الأيام وان لم تتوافق ليلة عرفة الليلتين المذكورتين فلا بد أن يوافقهما يوم التروية انتهى ما قاله ابن المنير باختصار ورحمه الله من امام محقق حري أن يكتب كلامه بماء الذهب والله اعلم

﴿استطراد ثان﴾

﴿ فى الكلام على متن حديث الاسراء ﴾

استحسنت الاتيان به عقيب آية الاسراء للمناسبة ولما سأذكره بعد من فوائد جليلة يعز وجودها ترجع الى الحديث المذكور وأولى ما يعتمد عليه حديث ثابت البنانى عن أنس لأنه سالم مما وقع فى ظاهر حديث غيره من التعارض فرأيت أن أذكره أولا باختصار ليكون أصلا ثم أذكر ماسواه مما ورد من الطرق تبعاً له باختصار أيضاً فأقول

روى مسلم فى صحيحه عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم عليه السلام فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح

جبريل كما تقدم وقيل له كما تقدم ففتح لهما فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا به صلى الله عليه وسلم ودعوا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الثالثة وقيل كما تقدم فوجد عليه السلام فيها يوسف عليه السلام وقد أعطى شطر الحسن فرحب به صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الرابعة وقيل كما تقدم فوجد صلى الله عليه وسلم فيها ادريس عليه السلام فرحب به ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الخامسة فوجد فيها هرون فرحب به ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء السادسة فوجد فيها موسى عليه السلام فرحب به ودعا له بخير ثم عرج به كذلك الى السماء السابعة فاستفتح جبريل كما سبق وقيل له كما سبق وفتح لهما كما تقدم فرأى صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور ثم ذهب به الى سدرة المنتهى فأوحى الله تعالى اليه ما أوحى ففرض عليه خمسين صلاة ثم أرشده موسى عليه السلام الى الرجوع إلى ربه ولم يزل صلى الله عليه وسلم يرجع بين موسى وربه الى أن استقر الأمر على خمس صلوات كل يوم وليلة وأخرج مسلم أيضا عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه ثم استخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه (وفى طريق) بينا أنا فى المسجد الحرام (وفى طريق) وأنا نائم (وفى طريق) أنه

كان بالحطيم بين النائم واليقظان (وفى طريق) أنه أسرى به من بيت أم هانئ كما علمته آنفاً (وفى طريق) فرج سقف بيتى فنزل جبريل ففرج صدرى (وفى بعض طرق الاسراء) وذلك قبل أن يوحى اليه وفيما تقدم عن ثابت كما رأيت أنه أتى باللبن والخمر قبل العروج (وفى بعض الطرق) أنه أتى بهما فى الملأ الأعلى (وفى طريق) أنه انتهى الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى ثم فارقه جبريل (وفى طريق) فزج بى فى النور وقال ها أنت وربك . وفى حديث ثابت كما تقدم أنه عليه السلام صلى فى بيت المقدس قبل العروج (وفى بعض الطرق) أنه صلى بالأنبياء فى السموات (وفى طريق) فلم نزل على ظهره يعنى البراق أنا وجبريل (وفى طريق) أنه استصعب البراق فقال له جبريل عليه السلام أبمحمد تستصعب فما ركبك أحد أكرم على الله منه فرفض عرقا (وفى بعض الطرق) أنه رأى المعراج بصورة السلم كأحسن ما رأى (وفى طريق) فانتهيت الى سدرة المنتهى فغشيتنى ملائكة كأنهم جراد من ذهب فرأيت جبريل ينضائل كالعصفورة ثم تخلف وقال ومامنا إلا له مقام معلوم فجاوزت سبعين حجابا ثم احتملنى الرفرف الى العرش فنوديت حى ربك فقلت سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك الى آخر ما هو مستوفى فى محله كانكار قريش الاسراء واستيصافهم بيت المقدس من النبى صلى الله عليه وسلم فرفعه الله له فوصفه وذكرهم قضية لقيه العير قاصدين مكة وشربه ما كان فى القدح من الماء الى غير ذلك فكان كل ذلك حقا وصدقا كما قال تعالى

وما ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

﴿ فوائد ﴾ تتعلق بحديث الاسراء وفواضله وأسراره وفضائله

﴿ الأولى ﴾ يؤخذ من قوله تعالى أسرى بعبده مالا يؤخذ أن لو قيل بعث الى عبده لأن الباء تفيد المصاحبة أى صحبه فى مسراه بالألطاف والعناية ويشهد لذلك قوله عليه السلام أنت الصاحب فى السفر ويبنى على هذا من الفروع الفقهية أن من قال لله على أن أحج بفلان يلزمه ان يحج معه بخلاف ما لو قال لله على أن أحج فلانا فانما يلزمه أن يجهزه للحج من ماله ولا يلزم الناذر أن يحج بنفسه والفرق ما تعطيه الباء من المصاحبة ﴿ الثانية ﴾ تخصيص الاسراء بالليل فيه من التعظيم ما لا يخفى لأنه وقت خلوة واختصاص عرفا وبين جليس الملك ليلا وجليسه نهارا فرق ظاهر وخصوصية بالليل ﴿ الثالثة ﴾ لعل تخصيص ذلك بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل أخفى حالا من النهار ولأنه لو عرج به نهارا لفاتت المؤمنين فضيلة الايمان بالغيب ولم يحصل ما حصل من الفتنة على من شقى وجحد ﴿ الرابعة ﴾ ان قيل ما وجه استصعاب البراق عليه صلى الله عليه وسلم بعد التسخير فأجيب بأن ذلك تنبيه على أنه لم يذلل قبل ذلك ولم يركبه أحد وفى هذه النكتة خلاف فمنهم من قال ركبته الأنبياء قبل ذلك ومنهم من قال لم يركبه أحد قبله وحجة القائلين بركوبه قبل ذلك قول جبريل فما ركبك أحد أكرم على الله منه ويمكن الاحتجاج أيضا بقوله فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء وأجيب عن الأول بأن معنى

قول جبريل فما ركبك أحد البتة فكيف يركبك أكرم من محمد ويمكن أن يجاب عن الثانى بأنه ليس فى الحديث فربطته بالحلقة التى تربطه بها الأنبياء وانما قال يربط بها الأنبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل أن يكون غير البراق . ويحتمل أن يراد ارتباط الأنبياء أنفسهم تلك الحلقه أى تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى

﴿ الخامسة ﴾ يحتمل أن يكون استصعابه تيها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد جبريل بقوله أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة وانما تاه ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه أجاب بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب

﴿ السادسة ﴾ ان قيل كان فى قدرة الله تعالى أن يرفع نبيه بدون البراق حرق للعادة أجيب بأن فى صورة الركوب على المركوب المعتاد تأنيساً فى هذا المقام العظيم بطرف من العادة ﴿ السابعة ﴾ لعل فى الاسراء بالبراق اظهارا للكرامة العرفية فان الملك العظيم إذا استدعى خصيصا به بعث اليه بمركوب سنى ليصل عليه ﴿ الثامنة ﴾ كون البراق بشكل البغل ولم يكن بشكل الفرس فيه تنبيه على أن المراد فى سلم وأمن لاحرب وخوف أولاظهار الآية فى الاسراع العجيب من دابة ما توصف بالاسراع كما فى الحديث يضع حافره عند منتهى طرفه أى يقطع ماانتهى اليه بصره فى خطوة واحدة فعلى هذا يكون قطع من الأرض الى السماء فى خطوة واحدة لأن بصر من يكون فى الأرض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات فى سبع خطوات ﴿ التاسعة ﴾ لقائل أن يقول قد

ركب النبي صلى الله عليه وسلم بغلته فى الحرب يوم حنين أجيب بأن ذلك كان لتحقق نبوته عليه السلام فى مواطن الحرب ولما خصه الله به من مزيد الشجاعة والا فمعلوم أن البغال عادة من مراكب الطمأنينة وليعلم أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس (العاشرة) اختلف العلماء هل ركب جبريل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وسلم على البراق أم لا فقال بعضهم ركب معه بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم فمازلت على ظهره أنا وجبريل قال ابن المنير رحمه الله والأظهرعندى أنه صلى الله عليه وسلم اختص بالركوب لأنه المخصوص بشرف الاسراء وفى قول جبريل أيضاً أبمحمد تستصعب فما ركبك أكرم على الله منه دليل على اختصاصه عليه السلام بركوبه وانما كان جبريل ههنا معه رسول بلاغ ودليل طريق ومستدعى حبيب . وقوله صلى الله عليه وسلم مازلت على ظهره أنا وجبريل يحمل قوله وجبريل على أنه استئناف كلام كأنه قال وجبريل سائر معى ونحوه ولا يريد راكبا معى على البراق لأنه ليس فى الكلام ما يعين ذلك (الفائدة الحادية عشرة) دل قوله صلى الله عليه وسلم فصليت ببيت المقدس ركعتين على أن الصلاة لم تزل معهودة قبل أن تفرض ومعدودة مثنى مثنى وفرضت كذلك على ما عهدت كما قالت عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد صلاة الحضر (الثانية عشرة) ان قيل ما الحكمة فى نزول جبريل عليه السلام من سقف البيت ولم يدخل عليه من الباب مع قوله وأتوا البيوت من أبوابها الجواب أن الحكمة فى ذلك المبالغة فى

المفاجأة والتنبيه على الكرامة والاستدعاء كان بديها على غير ميعاد (الثالثة عشرة) يحتمل أن يكون فرج السقف توطئة وتمهيدا للفرج عن الصدر فأراه جبريل بافراجه عن السقف ثم التئامه على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الأمر في نفسه بالمثال الشاهد في بيته لطفاً في حقه وتثبيتاً لقلبه (الرابعة عشرة) السر في العناية بتطهير القلب وافراغ الإيمان والحكمة فيه تحقق مذهب أهل السنة في أن محل العقل ونحوه من أسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة (الخامسة عشرة) انما خص الطشت بالغسل فيه دون بقية الأواني لأنه آلة الغسل عرفا وانما كان من ذهب لأنه أعلى أواني الجنة ولأنه رأس الأثمان وهو إذا أصل الدنيا والإيمان أصل الدين فوقع التنبيه على أن أصل الدنيا آلة لأصل الدين وخادم له ووسيلة اليه (السادسة عشرة) استدل بعض أصحاب مالك على جواز تحلية ما يعظم شرعا بالذهب كالمصحف أو ما هو آلة لطاعة كالسيف الذي هو آلة للجهاد بحديث الاسراء واستعماله طست الذهب (السابعة عشرة) يرد على ذلك بأن الذي خص بالنبي صلى الله عليه وسلم من طست الذهب انما هو تفريغ ما فيه من الإيمان والحكمة في قلبه صلى الله عليه وسلم والتفريغ ترك لا فعل ولا خلاف أن آنية الذهب إذا حصلت فما عدا له حرمة شرعية كان تفريغ ذلك منها مشروعا بخلاف وضعه فيها ولا يعد التفريغ استعمالا ويتقرر هذا الفقه بحكاية لطيفة وهي أن الحسن البصري وفرقد السبخي اجتمعا في وليمة دعيا اليها وكان الحسن عالما وفرقد عابدا وكان

فى الوليمة صحاف من الذهب والفضة قد جعل فيها الخبيص فأما الحسن فانه جلس على الطعام وصار يأخذ الخبيص ويفرغه من الصحفة ويضعه على الخبز ويأكل وأما فرقد فاعتزل ولم يأكل فالتفت اليه الحسن وقال يافريقد هلا صنعت هكذا فرأى الحسن أن التفريغ ليس استعمالا بل تركا وازالة للمنكر فاجتمع له بفقهه اقامة سنة الوليمة بالأكل وجبر قلب الداعى وازالة المنكر وتعليم الأحكام الخفية ولهذا قال يافريقد فصغر اسمه فى النداء تعريضاً له بالانكار إذ تصرف فى الترك بغير اقتداء وكان عليه أن يسأل كيف يصنع ليسلم مما وقع فيه من فوات المقاصد التى اجتمعت للحسن رضى الله عنه ويبنى على هذا من الفروع الفقهية أن من كان فى رمضان أو أراد الصيام فى غيره وطلع عليه الفجر وهو آكل فعلم بذلك وألقى الطعام من فيه لا شئ عليه فهذا من جنس كون التفريغ ليس استعمالا ولا اشكال فى ذلك (الثامنة عشرة) لقائل أن يقول لا يتم الاستدلال على جواز استعمال الذهب بحديث الاسراء لأن العادة انخرقت فيه من حيث ما وعى فيه من الايمان ومن أنه من السكون أو من الجنة واذا انخرقت العادة تغيرت الأحكام المنوطة بها (التاسعة عشرة) يحتاج المستدل على استعمال الذهب لحديث الاسراء أن يثبت أنه كان بعد تحريم استعمال الذهب ولا يقدر على ذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم تختم بالذهب ثم ألقى الخاتم فألقى الناس خواتمهم وما كان النسخ والتحريم إلا بالمدينة وقد تقدم أن الاسراء متقدم على الهجرة على المختار (الفائدة العشرون) تقدم فى حديث ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قدم له الآنية قبل العروج وفى طريق آخر أنه بعد

العروج فيجمع بينهما ويكون التقديم مرتين ويكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث اختار اللبن تأكيدا للتحذير مما سواه . (الحادية والعشرون) ان قيل ما المراد بالفطرة فى قول جبريل اخترت الفطرة فاعلم أن الفطرة تطلق تارة ، ويراد بها الاسلام ، وتطلق تارة على أصل الخلقة ، فمن المعنى الأول : قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . ومن المعنى الثانى قوله تعالى : فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وقوله تعالى : فاطر السموات والأرض أى مبتدىء خلقهما فقول جبريل اخترت الفطرة أى اخترت اللبن الذى عليه تثبت الخلقة ، وهى نبت اللحم ونشر العظم (أقول) فيكون من باب ذكر السبب وارادة السبب فتأمل انتهى أو اخترته لأنه الحلال المستمر فى دين الاسلام وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر (الثانية والعشرون) يحتمل أن يكون فى تقديم اناء اللبن اشارة الى أنه شعار العلم فى التعبير كما ورد أنه عليه السلام قال أريت كأنى أتيت بقدح من لبن فشربت حتى أرى الرى يخرج من أظفارى ثم ناولت فضلى عمر فقالوا يارسول الله ما أولته قال العلم . والاسراء وان كان يقظة الا انه ربما وقعت فى اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام (الثالثة والعشرون) فى استفتاح جبريل عليه السلام لأبواب السماء دليل على انه صادف أبوابها مغلقة مع أنه صلى الله عليه وسلم كان قد استدعى فلعل والله أعلم الحكمة فى ذلك التنويه بقدره وان السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو صادفها مفتوحة لم يتحرر انها فتحت من أجله ولا بد

(الرابعة والعشرون) ينبغي للمستأذن اذا قيل له من هذا أن لايقول أنا فان جبريل لم يقل أنا عند الاستفتاح ثم وانما سمى نفسه ، وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذى استأذن عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم من هذا ، فقال أنا فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكرر لفظة أنا انكارا (الخامسة والعشرون) انما كرهت هذه الكلمة لوجهين (أحدهما) ان فيها اشعارا بالعظمة ، وفى الكلام السائر ان أول من قال أنا ابليس فشقى حيث قال أنا خير منه ثم فرعون فتعس حيث قال أنا ربكم الأعلى (الثانى) انها مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية فى البيان فان قيل قد اتفق النحاة على أن المضمرات أعرف المعارف وأعرفها أنا فهذه الكلمة فى الغاية القصوى فى التعريف فكيف كان العلم أعرف منها ، وانما اختلف النحاة فى اسم الاشارة والعلم لا فى المضمر ، فالجواب ان المضمر اذا عاد وتعين مظهره فهو أعرف المعارف حينئذ والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه أحاله على جهالة .

(حكاية لطيفة استطرادية) تنبه على رعاية الأدب مع الله تعالى جل وعلا : حكي أن سيبويه رحمه الله رؤى فى المنام بعد وفاته ، فقيل له ماذا لقيت ؟ فقال خيرا كثيرا ، فقيل له بماذا ؟ فقال : سئلت فى الدنيا عن أعرف المعارف ، فقلت اسم الله عز وجل فشكر الله لى ذلك (السادسة والعشرون) قول الخازن لجبريل ، ومن معك قال محمد فيه دليل على ان الاذن لواحد لايتناول غيره وان كان فى صحبته ولهذا استفهم الخازن حتى يكون لمن معه اذن مستقل ، وهو عرف الناس اذا أذن لأحد وكان

فى صحبته غيره أن يقول ومن معى فيستأنف الاستئذان لمن معه وقوله وقد بعث اليه أراد به الاستفهام لحذفت الهمزة للعلم بها وأصل الكلام أو قد بعث اليه والنحاة يمنعون حذف الهمزة فيحمل كلامهم على المنع حيث لادليل على المحذوف ، والا فالحديث حجة عليهم ﴿ السابعة والعشرون ﴾ لم يرد الخازن بقوله وقد بعث اليه أصل الرسالة فان الظاهر انه كان معلوما عندهم وانما أراد البعث للمعراج (الثامنة والعشرون) موقع قول الخازن أو قد بعث اليه استنطاق جبريل بالسبب الموجب للاذن والفتح لأن مجرد قول جبريل عليه السلام معى محمد لايوجب الاذن الا بواسطة البعث من صاحب الاذن جل وعلا (التاسعة والعشرون) ان قيل لم لم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول مرحبا بك وانما أورد التحية بصيغة الغيبة . أجيب بأنه حياه قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم خطاب ، ولهذا قال الخازن لجبريل ومن معك بصيغة الخطاب لأن جبريل خاطب الملك فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين (الفائدة الثلاثون) يجوز أن يكون حياه بغير صيغة الخطاب تعظيما له لأن هاء الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب . والله أعلم انتهت الفوائد ملخصة بعضها باللفظ وبعضها بالمعنى من املاء العلامة ابن المنير رحمه الله ، والله أعلم * عدنا الى المقصود : اعلم أن الله تبارك وتعالى قد ذكر المسجد الحرام فى كتابه العزيز فى نحو خمسة عشر موضعاً فاذا تقرر هذا فقد اختلف فى المراد بالمسجد الحرام الذى تتعلق به المضاعفة فى قوله صلى الله عليه وسلم فى

حديث ابن الزبير السابق وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى فقيل جميع بقاع الحرم وقيل المراد الكعبة وما فى الحجر من البيت ويؤيده ما أخرجه النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا الكعبة وقيل المراد الكعبة وما حولها من المسجد وجزم به النووى وقال انه الظاهر وقيل المكان الذى يحرم على الجنب المكث فيه ونقل عن الامام تقى الدين ابن أبى الصيف اليمنى أن المضاعفة تختص بالمسجد المعد للطواف لأنه المنصرف عند الاطلاق فى العرف قال ولا يضر رواية الكعبة ولهذا قال الغزالى لو نذر صلاة فى الكعبة فصلى فى أرجاء المسجد جاز انتهى ورجح الطبرى رحمه الله أن المضاعفة مختصة بمسجد الجماعة وقال انه يتأيد بقوله عليه السلام مسجدى هذا لأن الاشارة فيه الى مسجد الجماعة فينبغى أن يكون المستثنى كذلك فانه قيل قد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن حسنات الحرم كلها الحسنة بمائة ألف فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام فى حديث الاستثناء الحرم كله قلنا نقول بموجب حديث ابن عباس ان حسنة الحرم مطلقاً بمائة ألف لكن الصلاة فى مسجد الجماعة تزيد على ذلك ولهذا قال بمائة صلاة فى مسجدى ولم يقل حسنة وصلاة فى مسجده بألف صلاة كل صلاة بعشر حسنات فتكون الصلاة فى مسجده صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف حسنة وتكون فى المسجد الحرام بألف ألف حسنة وعلى هذا يكون حسنة الحرم بمائة ألف وحسنة المسجد الحرام بألف ألف ويلحق بعض

الحسنات ببعض أو يكون ذلك مختصا بالصلاة الخاصة فيها . والله أعلم انتهى بنصه . قال الجد رحمه الله : وحاصل هذه العبارات مع اختلافها يرجع الى ترجيح هذا القول . ثم قال وهذا التضعيف يحصل بصلاة المنفرد وتزيد الحسنات بصلاة المكتوبة فى جماعة على ماجاء أنها تعدل سبعا وعشرين درجة وهذا فيما يرجع الىالثواب ولا يتعدى ذلك الى الأجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان اصلى فى المسجد الحرام صلاة لم تجزئه عنهما وهذا لاخلاف فيه انتهى . وقد اختلف العلماء فى هذا الفضل هل يعم الفرض والنفل أو يختص بالفرض فمذهبنا ومشهور مذهب مالك أنه يختص بالفرض والتعميم مذهب الشافعي رضى الله عنه كما صرح به النووى رحمه الله تعالى . فان قيل لا عموم فى لفظ الحديث لما أنه نكرة فى سياق الأثبات ويؤيده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة أجيب بأنه وان كان نكرة فى سياق الأثبات فهو عام لأنه فى معرض الامتنان . قال الجد رحمه الله فان قيل كيف يقال ان المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت نصوص الأصحاب ونص الحديث على أن فعل النافلة فى بيت الانسان أفضل الاما استثنى كالعيد وركعتى الطواف فالجواب ما قيل لا يلزم من المضاعفة فى المسجد أن يكون أفضل من البيت اذ فضيلة المسجد المذكور من حيث التضعيف وفضيلتها فى البيت من حيثية أخرى تربو على التضعيف انتهى أقول هذا التفضيل بالنسبة الى الرجال وأما الاناث فالصلاة فى البيت مطلقاً لهن أفضل لا سيما فى هذا الزمان لكثرة الفساد سواء كانت المرأة عجوزا ام

شابة ونقل الشيخ ولى الدين العراق فى شرح تقريب الأسانيد أن التضعيف فى المسجد الحرام لايختص بالمسجد الذى كان فى زمن النبى عليه السلام بل يشمل جميع مازيد فيه لأن المسجد الحرام يعم الكل بل المشهور عند أصحابنا أن التضعيف يعم جميع مكة بل جميع الحرم الذى يحرم صيده كما صححه النووى * وأما المدينة فيختص التضعيف بالمسجد الذى كان فى زمنه عليه السلام ثم قال لكن يشكل على هذا مافى تاريخ المدينة أن عمر رضى الله عنه لما فرغ من الزيادة فى مسجد النبى عليه السلام قال لو انتهى الى الجبانة لكان الكل مسجد رسول الله عليه السلام وفى رواية أخرى : لو مد الى ذى الحليفة لكان منه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو زيد فى هذا المسجد مازيد لكان الكل مسجدى ، وفى رواية أخرى أو بنى الى صنعاء ، وفى أخرى مازيد فى مسجدى فهو منه ولو بلغ مابلغ فان صح ذلك فهو بشرى حسنة انتهى باختصار (فائدتان) الأولى قد حسب النقاش المفسر فضل الصلاة فى المسجد الحرام على مقتضى حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة ألف فبلغت صلاة واحدة فى المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة وصلاة يوم وليلة ، وهى خمس صلوات فى المسجد الحرام عمر مائتى سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال انتهى كلامه . الثانية قال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب الاثارى : ان كل صلاة فى المسجد الحرام فرادى بمائة ألف صلاة كما ورد فى الحديث وكل صلاة فيه جماعة

بألفي ألف صلاة وستمائة ألف صلاة ، والصلوات الخمس فيه بثلاثة عشر ألف ألف صلاة وخمسمائة صلاة وصلاة الرجل منفردا في وطنه غير المسجدين المعظمين كل مائة سنة بمائة ألف وثمانين ألف صلاة وكل ألف سنة بألف ألف صلاة وثماني مائة ألف . فتلخص من هذا أن صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة يفضل ثوابها على ثواب من صلى في بلده فرادى حتى بلغ عمر نوح النبي عليه السلام بنحو الضعف وسلام على نوح في العالمين ، وهذه فائدة تساوي رحلة ثم قال هذا اذا لم يضف الى ذلك شيئا آخر من أنواع العبادات فان صام يوماً وصلى الصلوات الخمس جماعة ، وفعل فيه أنواعا من البر وقتا بالمضاعفة فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه انتهى ﴿ تكملة ﴾ قال بعض العلماء ان السيئات بالحرم تضاعف كتضاعف الحسنات ، وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ، وقال به مجاهد أيضا والامام أحمد بن حنبل ولهذا كان مقام ابن عباس بغير مكة ، والصحيح عند جماهير أهل العلم عدم المضاعفة لكن السيئة فيه أعظم منها في غيره بلا ريب . ثم على قول ان السيئة تضاعف فقيل تضعيفها كتضعيف الحسنات بالحرم وقيل بل كخارجه وحرر بعض العلماء النزاع في هذه المسئلة فقال القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها أي غلظها لا كميتها في العدد فان السيئة جزاؤها سيئة لكن السيئة تتفاوت فالسيئة في حرم الله وبلده على بساطه أكبر وأعظم منها في غيره وليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه فانه قيل يرجع النزاع أيضاً اذ لافرق بين أن تكون

السيئة مغلظة وهى واحدة وبين أن تكون مائة ألف سيئة عددا فالجواب أنه قد جاء من زادت حسناته على سيئاته فى العدد دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته فى العدد دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته عددا كان من أهل الأعراف .

فصل فى ذكر مبدأ عمارة المسجد الحرام وتوسعته وذرعه وذكر شىء من أخباره

ذكر الأزرق والامام أبو الحسن الماوردى وغيرهما من الأئمة المعتمدين أن المسجد الحرام كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه وليس عليه جدار يحيط به وكانت الدور محدقة به من كل جانب وبين الدور أبواب يدخل منها الناس فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى دورا وهدمها ووسع بها المسجد وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع أثمانها فى خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك . وقال لهم عمر أنتم نزلتم على الكعبة ولم تنزل عليكم الكعبة انما هو فناؤها ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطاً به دون القامة . وكان المصابيح توضع عليه فكان عمر رضى الله عنه أول من اتخذ للمسجد جدارا فلما كان زمن سيدنا عثمان رضى الله عنه وكثر الناس اشترى دورا ووسع بها المسجد الحرام وأبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به ؛ فقال لهم انما جرأكم على حلمى عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ، ثم أمر بهم الى

الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له . ولم يذكر الأزرق السنة التي وسع فيها عمر رضى الله عنه المسجد الحرام وهي سنة سبع عشرة من الهجرة ولا السنة التي وسع فيها عثمان رضى الله عنه وهي سنة ست وعشرين من الهجرة ثم قال الأزرق فلما كان زمن عبد الله ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كبيرة واشترى دورا من جملتها بعض دار الأزرق جد الأزرق صاحب تاريخ مكة ، واشترى ذلك البعض بضعة عشر ألف دينار ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وجعل في رأس كل استطوانة خمسين مثقالا ذهباً . ثم ان الوليد بن عبد الملك المتقدم وسع المسجد ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وأذر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفاً وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل اليه أساطين الرخام ﴿ تنبيه ﴾ قول الأزرق الوليد أول من نقل اليه أساطين الرخام قال الفاسي رحمه الله قد نقل الأزرق ما يفهم خلاف ذلك لأنه ذكر في عمل عبد الملك أنه جعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب وهذا يقضي وجود الأساطين قبل الوليد فتكون من عمل ابن الزبير أو عبد الملك وعلى كلا الأمرين فهو مخالف لما ذكره الأزرق من أن الوليد بن عبد الملك أول من حمل اليه ذلك . والله أعلم بالصواب انتهى بمعناه . أقول يمكن الجمع بين كلامى الأزرق وترتفع

المخالفة التي ذكرها الفاسي وذلك أن الأزرقي رحمه الله لم يذكر أن الأساطين التي في رؤسها المثاقيل الذهب في أيام عبد الملك كانت من رخام ليتجه ما قاله الفاسي ولا خصوصية أيضاً لتسمية الأساطين بما كان من الرخام فيحتمل انها كانت آجر أو من حجارة أو من خشب ويؤيد ذلك ما تقدم في الباب الأول من هذا الكتاب عند ذكر فضائل البيت الشريف فيما أخرجه الفاكهي عن السهمي عند قوله فعابت اسطوانة قال شيخ الاسلام ابن حجر والاسطوانة من خشب وما سيأتي قريباً من كلام الفاسي نفسه عند ذكره لما عمره القاضي محمد بن موسى من بني الزيادة التي بدار الندوة في قوله وجعل ذلك باساطين حجارة مدورة عليها ملابن ساج وفي قوله عند بناء ما كان احترق من الجانب الغربي وبعض الشامي من المسجد الحرام في عام اثنين وثمانمائة ما صورته : ان الأساطين التي بالجانب الغربي حجارة منحوتة هذا كلامه وأما الأساطين من الآجر فعمل منها كثير في المساجد وغيرها فاذا علم ذلك فقول الأزرقي رحمه الله ان الوليد أول من نقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام ليس فيه مخالفة مع الاحتمال المذكور فتأمل والله الموفق.

ثم لما أفضت الخلافة الى ابي جعفر العباسي ثاني خلفاء بني العباس وسع المسجد الحرام من جانبه الشامي ومن جانبه الغربي ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين الا رواقا واحدا . وكان ابتداؤه في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة والفراغ منه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة وكان الذي زاده المنصور النصف مما كان عليه قبل ذلك . ثم ان المهدي

ابن أبي جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليماني ومن الموضع الذي انتهى اليه أبوه في الجانب الغربي حتى صار على ما هو عليه اليوم ما عدا الزيادتين فانهما أحدثتا بعده كما سيأتي قريباً ان شاء الله تعالى. وكانت عمارة المهدي في نوبتين : الأولى في سنة احدى وستين ومائة وزاد فيما زاده أبوه رواقين .والثانية سنة سبع وستين وكان أمر بها لما حج حجته الثانية في سنة أربع وستين ورأى الكعبة في شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون متوسطة في المسجد فدعا المهندسين وشاورهم في ذلك فقدروا ذلك فاذا هو لا يستوي لهم من أجل الوادي والسيل وقالوا ان وادي مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حولنا الوادي عن مكانه أن لا يتم لنا على ما نريد فقال المهدي لا بد لي من سعة المسجد بحيث تكون الكعبة في وسط المسجد على كل حال ولو أنفقت فيه جميع ما في بيوت المال ، وعظمت نيته في ذلك وقوى عزمه على ذلك فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادي الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل في المسجد من ذلك وما يبقى في الوادي ثم خرج المهدي الى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك إلا في خلافة ابنه موسى الهادي لمعاجلة المنية للمهدي ، وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليماني وبعض الغربي وأنفق المهدي رحمه الله في ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن كل ذراع في ذراع مكسر مما دخل في المسجد الحرام خمسة

وعشرين دينارا وثمن كل ذراع مكسر مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا ونقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام من مصر وغيرها فى السفن حتى أنزلت بجدة وحملت منها على العجل الى مكة. قال الأزرقى ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذى يستقبل الوادى وجعلوا الباب الذى بازائه من أسفل المسجد يعنى من الجانب الغربى يستقبل خط الحزامية يقال له باب البقالين وهو معروف وقالوا إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب انتهى بمعناه . هذا عمل المهدى فى النوبة الثانية واستمر كذلك الى يومنا هذا والله أعلم . أقول باب بنى هاشم الذى ذكره الأزرقى هو باب على الآن نبه على ذلك الفاسى. وباب البقالين لعله المعروف الآن بباب الحزورة فان الفاسى رحمه الله عرف باب الحزورة بأن الغالب عليه باب الحزامية وقال لأنه بلى خط الحزامية لا باب ابراهيم لأن الأزرقى لم يذكره وانما حدث بعده وأيضاً قول الأزرقى وجعل الذى بازائه يؤيد أنه باب الحزورة لأنه بازاء باب على يعنى مقابله وأما باب ابراهيم فقد أدركته وهو واطىء جدا وانما رفع وعمل له هذه الدرجة فى حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر وتسعمائة فى دولة الأشرف الغورى على يد الأمير خاير بك المعروف بالمعمار وقد شاهدت عمارته وأنا إذ ذاك فى المكتب وكانت السيول إذا دخلت المسجد انما تخرج منه والآن كذلك انما يخرج السيل من القبو الذى تحته لأنه لما رفع جعل تحته العقود بالحجارة المنحوتة لمصرف السيل انتهى

﴿فصل فى ذكر الزيادتين وخبر عمارتهما﴾
وذرعهما وذرع المسجد الحرام وعدد منائره وأبوابه

اعلم أنه لم يزد فى المسجد الحرام بعد عمارة المهدى رحمه الله سوى هاتين الزيادتين دار الندوة التى فى الجانب الشامى من المسجد وزيادة باب ابراهيم فى الجانب الغربى منه

أما زيادة دار الندوة فسببها كما نقله الفاسى عن اسحاق الخزاعى أن بعض أهل الخير كتب الى وزير الخليفة المعتضد العباسى تحببه على جعل ما بقى من دار الندوة مسجدا ويقول ان هذه مكرمة لم تتهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدى فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فأخرجت القمائم من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها فى جدار المسجد الكبير اثنى عشر بابا بعقود ستة كبار وبينهم ستة صغار وجعل فى هذه الزيادة ثلاثة أبواب بابان طاقان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التى حولها وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير وبنى فيها منارة وشرفا وفرغ من ذلك فى ثلاث سنين . قال الفاسى رحمه الله ولم يبين اسحق الخزاعى السنة التى فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان فى سنة أربع وثمانين ومائتين على مقتضى ما ذكره اسحاق من أن الكتابة الى المعتضد بسبب انشائها كانت فى سنة احدى وثمانين ومائتين. ثم ذكر أن القاضى محمد بن موسى لما كان اليه

أمر البلدعبر الطاقات التى كانت فى جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها ملابن ساج بعقود من الآجر والجص الأبيض ووصله بالمسجد الكبير وصولا أحسن من الأول حتى صار من فى دار الندوة من مصل ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك فى سنة ست وثلثمائة

وأما الزيادة التى بالجانب الغربى المعروفة بزيادة باب ابراهيم فنقل الفاسى رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجدا ويوصل بالمسجد الكبير فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع الناس به وصلوا فيه وذلك فى سنة ست أو سبع وثلثمائة انتهى . والسبيل الذى بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاون انشأه فى حدود سنة تسع وخمسين وسبعمائة أو فى التى بعدها

وأما ما وقع فى المسجد من العمارة والتجديد فكثير منها العمارة الكبيرة التى كانت فى سنة أربع وثمانمائة وانما ذكرتها دون ما كان قبلها وبعدها من العمائر لكونها أعظم من غيرها مما عمر بعد الخلفاء ولما ظهر من همة الأمير المباشر لذلك وقوة العزم . وسبب ذلك أن فى ليلة السبت الثمن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الحزورة المصحف بباب عزورة بالجانب الغربى من المسجد الحرام فلم يكن غير لحظة حتى اتصلت بسقف المسجد وعم الحريق الجانب الغربى وبعض الرواقين المقدمين

من الجانب الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعا وانتهى الحريق الى محاذاة باب العجلة فصار ما احترق أكواما عظيمة تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت الشريف . ثم من الله تعالى بعمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهرى وكان قدومه لذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانمائة فلما رحل الحاج من مكة شرع فى رفع تلك الأكوام حتى فرغت ثم ابتدأ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان ، وكان الفراغ من عمارة ذلك فى أواخر شعبان سنة أربع وثمانمائة وعجب الناس كثيرا من سرعة العمارة فى هذه المدة لأن من رأى ذلك قبل العمارة كان يقطع بأن هذه العمارة انما تتم فى مدة سنين باعتبار العادة فى العمارة فسهل الله فراغها فى تلك المدة وجعلت الأساطين التى فى الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامى ماخلا أساطين يسيرة فى مقدمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد وهذا كله ظاهر بين ولم يبق من ذلك إلا سقف الجانب الغربى لتعذر خشب الساج ثم عمل ذلك من خشب العرعر فى أوائل سنة سبع وثمانمائة بتقديم السين على يد الأمير بيسق المذكور وكانت العمارة المذكورة فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق

﴿ ذكر منابر المسجد الحرام ﴾

فى المسجد الحرام الآن ست منابر أربعة فى الأركان والخامسة فى زيادة دار الندوة والسادسة بمدرسة السلطان الأشرف قايتباى رحمه الله تعالى المجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد عمرت فى حدود الثمانين وثمانمائة . والخمس المنابر قديمة أما

منارة زيادة دار الندوة فعمرت مع الزيادة المذكورة من قبل المعتضد العباسى كما تقدم ، وأما الأربعة التى بالأركان ، فالأولى تعرف بمنارة عزورة لأنها على باب عزورة ، والثانية على باب على وتعرف بمنارة على والثالثة على باب العمرة وتعرف بمنارة باب العمرة ، والرابعة تسمى بمنارة باب السلام لأنها على باب السلام ، ولم أقف على من أنشأ هذه الأربع المنائر غير أن الفاسى رحمه الله ذكر أن المنصور عمر منارة باب العمرة وعمر ابنه المهدى المنائر الثلاث التى على باب السلام والتى على باب على والتى على باب الحزورة . (أقول) المفهوم من كلام الفاسى بقوله عمر المنصور منارة باب العمرة ، وعمر ابنه المهدى الى آخره أن مراده بذلك الترميم والتجديد لا الانشاء بدليل قوله بعد ذلك ، وعمر الجواد جمال الدين محمد بن على الأصفهانى وزير صاحب الموصل منائر المسجد وكذا قوله وعمرت منارة باب الحزورة فى زمن الأشرف شعبان صاحب مصر ، وكانت سقطت فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، وكذا قوله وعمرت منارة باب بنى شيبة فى زمن الناصر فرج ، وذلك بعد أن سقطت فى سنة تسع وثمانمائة لأن السقوط يستدعى تقدم البناء قبل ذلك ولو وقف الفاسى على من أنشأ ذلك لذكره كما هو دأبه فى استيفاء الكلام وتبيين الأمور على أحسن الوجوه وأكملها انتهى . وكانت منائر أخر فى غير المسجد الحرام على رءوس الجبال يؤذن فيها نقله الفاسى عن الفاكهى ، فمن ذلك على جبل أبى قبيس أربع منائر ، وعلى رأس الأحمر المقابل له منارة ، وعلى الجبل المشرف على شعب جبل ابن عامر منارة

ومن ذلك منارة تشرف على الجزرة ، ومنارة على جبل تفاحة ، ومنارة على جبل خليفة بن عمر البكرى ، ومنارة على كدى بضم الكاف تشرف على وادى مكة (فهذه المناير) كلها تنسب الى عبد الله بن مالك الخزاعى من خدام أمير المؤمنين هارون الرشيد . ولبغا مولى أمير المؤمنين عدة مناير أيضاً من ذلك منارة على رأس الفلق ، ومنارة على الأحمر ، ومنارة على جبل خلفية كما لعبد الله ، ومنارة على جبل المقبرة ، ومنارة على جبل الخزورة ، ومنارتان على جبل عمر بن الخطاب ولعله المسمى بالنوبى ، ومنارة على جبل الأنصار الذى يلى أجياد ، ومنارة على ثنية أم الحارث المشرف على الحصحاص ، وسيأتى تعريفه وموضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى ، ومنارة على الجبل المشرف على الخرمانية ، ومنارة مشرفة على الخضير أو بئر ميمون ، ومنارة بمنى عند مسجد الكبش ، فهذه كلها لبغا وكان لهذه المناير فيما مضى أناس يؤذنون للصلاة تجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر ثم قطع ذلك لتغير الأحوال وتطاول الأزمان والله أعلم .

ذكر ذرع المسجد الحرام والزيادتين

نقل الأزرقى أن ذرع المسجد الحرام مكسرا مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع ، وأما طول المسجد الحرام وعرضه فقد حرره الفاسى رحمه الله بذراع الحديد فكان طوله من وسط جداره الغربى الذى هو جدار رباط الخوزى بضم الخاء المعجمة وبعدها واو ثم زاء معجمة الى وسط جداره الشرقى الذى عند باب الجنائز مع المرور فى نفس الحجر بكسر

الحاء والملصوق بجدار الكعبة الشامي ثلثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمن ذراع بالذراع المذكور ، ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع ، وكان عرضه من وسط جداره القديم الذي يدخل منه الى زيادة دار الندوة الى وسط جدار المسجد اليماني فيما بين بابي المسجد باب الصفا وباب أجياد مارا كذلك فيما بين مقام ابراهيم والكعبة وأنت الى المقام أقرب مائتي ذراع وستة وستين ذراعا بذراع الحديد ، ويكون ذلك بذراع اليد ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع ، وكان تحريره لذلك في ليلة الخميس السابع والعشرين من ربيع الأول سنة أربع عشرة وثلثمائة

﴿ فائدة ﴾ أخرج الأزرقي بسنده الى أبي هريرة رضي الله عنه انه قال انا لنجد في كتاب الله تعالى ان حد المسجد الحرام من الحزورة الى المسعى وأخرج أيضاً بسنده الى عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال أساس المسجد الحرام الذي وضعه ابراهيم عليه السلام من الحزورة الى المسعى الى مخرج سيل أجياد . ثم قال والمهدي وضع المسجد على المسعى انتهى .

ذكر ذرع زيادة دار الندوة

أما ذرعها طولا وذلك من جدار المسجد الكبير الى الجدار المقابل له الشامي الذي عنده باب المنارة أربعة وسبعون ذراعا بتقديم السين الا ربع ذراع بذراع الحديد ، وذرع عرضها من وسط جدارها الشرقي الى وسط جدارها الغربي سبعون ذراعا ونصف بتقديم السين وهذا ذرع

الأروقة مع الصحن ، وأما ذرع الصحن وحده فطوله من الاساطين التي في مقدم الجانب الجنوبي مما يلي المسجد الكبير الى الاساطين التي في مقدم الجانب الشمالي سبعة وثلاثون ذراعا بتقديم السين وعرضه كذلك بزيادة سدس ذراع بذراع الحديد .

ذكر ذرع زيادة باب ابراهيم

أما طولها وذلك من الأساطين التي تلي المسجد الكبير الى العتبة التي فيها باب هذه الزيادة فسبعة وخمسون ذراعاً الا سدس ذراع بتقديم السين وأما عرضها من جدار رباط الخوزي بضم الخاء وكسر الزاء المعجمتين بينهما واو الى جدار رباط رامشت المقابل له فاثنان وخمسون ذراعاً وربع وذلك ذرع الأروقة من الصحن ، وذرع الوسط وحده طولا من الأساطين الشرقية التي تلي المسجد الكبير الى باب ابراهيم ستة وثلاثون ذراعا وربع وثمن وذرعه عرضاً ثلاثة وثلاثون ذراعاً ونصف بالحديد . هذا تحرير الفاسي رحمه الله (١)

كان ذرع زيادة باب ابراهيم كما ذكره الفاسي ، وأما في وقتنا هذا فينقص ذرع هذه الزيادة بعض أذرع يسيرة بمقتضى تغيير الباب ورفعه وما أحدثه الأمير خاير بك المعروف بالمعمار الجركسي من البلاط والدرج البارزة الى نفس المسجد وزوال تلك العتبة الأولى كما قدمته آنفا انتهى والله الموفق

---

(١) بياض بالأصل

ذكر كيفية المقامات

التي هي الآن في زمننا موجودة بالمسجد الحرام وبيان مواضعها وكيفية الصلاة فيها وما في المسجد من القبب والسقايات وغيرها

أما المقامات فأربع : مقام الشافعي ، وصفته تبرتان عليهما عقد لطيف مشرف من أعلاه مبيض بالنورة وخشبة معترضة للقناديل ، وهو خلف مقام الخليل عليه السلام ، وأما مقام الحنفي فكان قديماً أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلاه مما يلي السماء مطلي بالنورة ، وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب مرخم وكان ابتداء عمله على هذه الصفة في أواخر سنة احدى وثمانمائة وانتهى في أوائل سنة اثنين وثمانمائة كذا ذكره الفاسي ، ثم قال وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكوري الشافعي ، وألف في ذلك تأليفاً حسناً ، والشيخ سراج الدين البلقيني وولده الامام العلامة قاضي القضاء بالديار المصرية شيخ الاسلام جلال الدين ، وكان اذ ذاك متوليساً وباقي القضاة وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ، ورسم ولي الأمر بهدمه ، فعارض في ذلك بعض ذوي الهوى فلم يتم الأمر ، وسبب الانكار ماحصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه ومايتوقع من افساد أهل اللهو فيه لأجل سترته لهم انتهى ، وسبب المعارضة أن جماعة من علماء الحنفية اذ ذاك

أفتوا بجواز بقائه على هــذه الصفة لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من حر الشمس والتوقى من البرد والمطر وأن حكمه حكم الأروقة والأساطين الكائنة بالمسجد الحرام . ثم فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة كشف الأمير سودون المحمدى سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق ولا أثر لها من داخل المقام ، وفرش فيه حجارة حمرا تقرب من حجر الماء ، ولم يكن هــذا فيه قبل ذلك ثم جدّد بعــد ذلك مرارا آخرها فى حدود عام سبعة عشر وتسعمائة ، وقد أدركته ، وهو على هذه الصفة ، واستمر كذلك الى عام أربعة وعشرين وتسعمائة فلما حج الأمير مصلح الدين الرومى فى موسم سنة ثلاث وعشرين فى أول ولاية مولانا السلطان سليم بدا له أن يهدمه ، فهدمه فى أول عام أربعة وعشرين وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر عراض جدا بأربع عقود كل ذلك من حجر يعرف عنــد أهل مكة بحجر الماء يؤتى به من جهة الحديبية أحمر واصفر منحوت ، وزاد فى طوله وعرضه . وأراد ايصاله بالمطاف فعرف بأن ذلك يؤدى الى قطع الصف الأول الذى يصلى خلف امام الشافعية ، فاقتصر وانتهى بمحرابه الى افريز حاشية المطاف . واستمر الأول متصلا واستمرت هذه القبة كذلك نحو خمس وعشرين سنة فلمــا كان فى عام تسعة وأربعين وتسعمائة برز أمر مولانا سلطان الاسلام بهدم هــذه القبة لمــا أنهى اليه من شموخها وأخذها جانبا كبيرا من المسجد ، وكان هدمها من كرامات الشيخ محمد بن عراق رحمه الله

فانى سمعت من غير واحد عن الشيخ المذكور أنه كان يقول لا بد أن تهدم هذه القبة وكان كذلك وكرامات لولى حق فلما برز الأمر بذلك بادر الى هدمها الأمير خشقلدى صاحب الهمم العالية مزيل المنكرات وموسع الطرقات نقمة الله على أهل المفاسد نائب جدة المحروسة ومباشر العمائر السلطانية المأنوسة أعزه الله تعالى وكان له وأحسن اليه فبادر الى امتثال الأمر وحضر بنفسه على جرى عادته فى علو الهمة وهدم القبة المذكورة وذلك فى أوائل شهر رجب أحد شهور عام تسعة وأربعين وتسعمائه ثم شرع فى بناء مقام عظيم فى الشهر المذكور وصفته أربع بتر لطاف فى الأركان من أنقاض القبة الأولى من حجر الماء وست أعمدة من حجر الصوان مثمنة كل عمود قطعة واحدة فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين الى جهة القبلة وعمودان بين البترتين المؤخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وعمود بين البترتين من جهة باب السلام مقابل له وعلى ذلك عشرة عقود لطاف وثلاثة ثلاثة منها الى جهة القبلة وثلاثة منها الى جهة آخر المقام مقابلة للثلاثة الأولى وعقدان الى جهة باب العمرة عن يمين من كان جالساً فى المقام مستقبل القبلة وعقدان مقابلان لهما الى جهة باب السلام وفوق ذلك سقف مزخرف من خشب الساج بصناعة ظريفة وكان تركيب هذا السقف فى يوم الخميس غرة شعبان أحد شهور العام المذكور آنفاً ثم جعل فوق هذا السقف طبقة للمبلغين بأربع بتر وستة أعمدة الطف من الأعمدة التحتانية على حكم ما جعل أسفل عليهما سقف مزخرف

بعمل محكم وفوق هذا السقف جملون عليه رصاص الى جهة السماء لدفع المطر وفى أرض السقف الأول طاقة فى وسطه يرى المبلغ منها الامام وجعلت درجة لطيفة يصعد منها المبلغ الى الطاقة فى وقت المكتوبات وكان ابتداء تركيب سقف الطاقة فى يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان وانتهى بعد الترصيص فى ثالث عشر رمضان من العام المذكور وأما مقام المالكى والحنبلى فكان قديماً كمقام الشافعى المتقدم بترتان عليهما عقد وفى أعلاه نحو ثلاث شراريف غير أن بين البترتين من أسفل جدارا لطيفا فيه محراب فى هذين المقامين فقط ونقل الفاسى رحمه الله فى كتابه شفاء الغرام أن ابتداء عمارة هذه الثلاث المقامات على هذه الصفة المذكورة كان فى سنة سبع وثمانمائة ثم قال وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب يعنى به أصل شفاء الغرام ولم يوجد هذا الاصل بعد الفاسى ولا عثر عليه مطلقاً فما كان من مقام الشافعى فهو كذلك الى يومنا هذا ، وأما مقام المالكى والحنبلى فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة قبل تأليفنا لهذا الكتاب بأحسن مما كانا عليه فى أيام مولانا الخنكار الا عظم سلطان الاسلام سليمان خان أدام الله أيامه ورفع بالنصر والتأييد أعلامه ، وصفتهما الآن كل مقام بأربع أساطين مثمنة الشكل كل اسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكى وتحت كل اسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتثمين وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان وفوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف وفوقه الى جهة السماء أخشاب هيئة جملون عليها صفايح

الرصاص لأجل المطر وفى كل مقام محراب فيما بين الاسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة وهما كذلك الى هذا التاريخ ، وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجى الرومى والله أعلم

﴿ذكر كيفية صلاة الأئمة﴾

بهذه المقامات وبيان مواضعها من المسجد الحرام

أما كيفية الصلاة فانهم فى زماننا هذا يصلون مرتبين الشافعى فى مقام الخليل عليه السلام ثم الحنفى امام الحنفية بعده فى مقام الحنفية ثم امام المالكية بعده فى مقامه المتعين له ثم امام الحنابلة بعده فى مقامه وهذا فى الاربع الفروض الفجر والظهر والعصر والعشاء وأما صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريباً يصلى الحنفى والشافعى معاً فى وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين وأنهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر فى ذلك وازالة هذا التخليط فاجتمع القضاة والامير على بك نائب جدة فى الحطيم واقتضى رأيهم أن الحنفى يتقدم فى صلاة المغرب وعند التشهد يدخل امام الشافعى وكان هذا فى حدود احدى وثلاثين وتسعمائة واستمر ذلك الى وقتنا هذا عام تسعة وأربعين وتسعمائة فجزى الله الساعى فى ذلك خيرا وأما المالكى والحنبلى فلا يصلون المغرب فيما أدركناه وأما كيفية الصلاة فيم تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتبين كما فى الاربع الفروض المتقدمة الا أن المالكى كان يصلى قبل الحنفى مدة ثم تقدم عليه الحنفى بعد التسعين

بتقديم التاء على السين وسبعمائة ونقل الفاسى عن ابن جبير ما يقتضى أن كلا من الحنفى والحنبلى كان يصلى قبل الآخر أما صلاة المغرب فكانوا يصلونها جميعاً أعنى الأربعة الائمة فى وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كثير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر فبرز أمره فى موسم سنة احدى عشرة وثمانمائة بأن الامام الشافعى بالمسجد الحرام يصلى المغرب بمفرده فنفذ أمره بذلك واستمر الحال كذلك الى أن تولى الملك المؤيد شيخ صاحب مصر فرسم بأن الائمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا قبل ذلك فابتدأوا بذلك فى ليلة السادس من ذى الحجة عام سنة عشر وثمانمائة واستمروا يصلون كذلك الى (١) وأما وقت حدوث صلاة الائمة المذكورين على الكيفية المتقدمة فقال الفاسى رحمه الله لم أعرفه تحقيقاً ثم نقل مايدل على أن الحنفى والمالكى كانا موجودين مع الشافعى فى سنة سبع وتسعين بتقديم السين فى الكلمة الأولى والتاء فى الثانية وأربعمائة وأن الحنبلى لم يكن موجودا فى ذلك الوقت وانما كان امام الزيدية ثم قال ووجدت ما يدل على أن امام الحنابلة كان موجودا فى عشر الاربعين وخمسمائة والله تعالى أعلم ﴿وأما بيان محل المقامات المذكورة من المسجد الحرام﴾ فان مقام الشافعى خلف مقام الخليل ولكن ما يصلى امام الشافعية إلا

(١) بياض بالأصل

فى مقام الخليل قديما وحديثا ومقام الحنفى بين الركنين الشامى ويسمى العراقى أيضاً والغربى عن يمين مقام الخليل فى جهة الشام تجاه جدار الكعبة الذى فيه الميزاب قريب من حاشية المطاف ومقام المالكى بين الركنين الغربى واليمانى قريب من الحاشية ومقام الحنبلى تجاه الحجر الأسود وقربه من المطاف كقرب مقام الحنفى

﴿ ذكر ما فى المسجد الحرام من القبب وغيرها ﴾

فيه الآن قبتان كبيرتان متقاربتان جدا الى جانب بئر زمزم من جهة الشرق احداهما وهى التى تلى زمزم معدة لمصالح المسجد كالمصاحف (١) والربعات الموقوفة وحفظ الفوانيس والشمع والشمعدانات النحاس والمسارج النحاس والكراسى الخشب التى توضع عليها الرباع وما أشبه ذلك من الأشياء الموقوفة لمصالح المسجد الحرام ولم أقف على ابتداء عمارتها متى كانت جددها الناصر العباسى وكانت موجودة قبله وذكر الفاسى رحمه الله ما يدل على أنها قديمة لأنه نقل عن ابن عبد ربه أنه ذكرها فى العقد وأن ابن عبد ربه توفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ونقل أيضاً عن ابن جبير أنه ذكر هذه القبة فى أخبار رحلته وذكر أنها تنسب لليهودية ولم يبين سبب هذه النسبة

﴿ والقبة الثانية ﴾ هى سقاية العباس عمرت فى سنة ٨٠٧ وخلف سقاية العباس ملاصقاً لجداره محل لطيف مسقوف فيه آلات الوقادة

(١) منها مصحف عثمان رضى الله عنه على ما يقال اهـ شفاء الغرام

كالعيدان التي ينزل بها القناديل ويسرج بها وكالقصب المجوف الذي يطفأ به المصابيح وبعض شيء من الزيت الذي يحتاج اليه لوقيد الشهر وبعض شيء من القناديل الزجاج والحراريق التي توقد على المقامات في الليالي المباركة كليلة أول المحرم وليلة العشر منه وليلة النصف من شعبان وليلة أوائل الشهور وغير هذا (ومنها) في المسجد الحرام بئر زمزم ومحلها تجاه الحجر الأسود في محل مرخم عليه سقف وفوقه ظلة مسقفة بالخشب المزخرف وفوقه جملون بقبة في الوسط مصفح بالرصاص وقد جدد ذلك في عام ثمانية وأربعين وتسعمائة على يد الأمير خشقدى كان الله له تجديدا حسنا ، وفي هذه الظلة خزانة لطيفة فيها مناكيب زجاج لمعرفة أوقات الصلاة ، والى جانبها مزولة يعلم بها الماضي والباقي من النهار وفي الظلة يؤذن رئيس المؤذنين ويبلغ خلف امام الشافعية في الصلوات الخمس هذا وفي زيادة باب ابراهيم حاصلان مسقوفان بابهما في نفس الزيادة معدان لحفظ أخشاب المسجد المنكسرة والمنابر الداثرة والرصاص المتقلع وغير ذلك من الانقاض عمرا في حدود عام سبعة عشر وتسعمائة أو في الذي قبله في زمن السلطان الغوري على يد الأمير خاير بك العلائي المعروف بالمعمار هذا ما في المسجد الحرام مما أعد لمصالحه ومما أحدث لمصالح المسجد الحرام حاصلان كبيران في زيادة دار الندوة على يسار النازل من باب سويقة أحد أبواب المسجد الحرام أحدثهما الجناب الكريم ذو الهمة العظيمة والرأي المستقيم الأمير خشقدى أعز الله جنابه وأجزل أجره وثوابه وكان مبدأ عمارتهما في شهر رجب أيضاً عام تسعة

وأربعين وتسعمائة وكانت عمارتهما فى هـذا المحل فى غاية الصواب لأن محلها كان به دكة عالية وربما يحصل فيها أو قد حصل من المفاسد ما الله أعلم به فاصان ذلك المحل بعمارة هـذين الخاصاين وزال ما يتوقع من المفاسد ونقل الزيت المتعلق بالمسجد من محله الأول الذى كان خارج المسجد الى أحد هذين الخاصاين وصار ذلك أحفظ له كل هذا بهمة الأمير المذكور وحسن رأيه جزاه الله تعالى خيرا والله أعلم

﴿ ذكر عدد أبواب المسجد الحرام ﴾
﴿ وأسمائها وبيان محلها من المسجد ﴾

للمسجد الحرام الآن من الأبواب تسعة عشر بابا بثمانية وثلاثين منفذا فمن ذلك بالجانب الشرقى أربعة أبواب بأحد عشر منفذا الأول باب السلام ويعرف قديماً بباب بنى شيبة وهو ثلاثة منافذ (الثانى) باب الجنائز وسمى بذلك لأن الجنائز قديما كان يخرج بها منه وهو منفذان وعرفه الأزرقى بباب النبى عليه السلام لأنه كان يخرج منه الى منزله دار خديجة زوجته ويدخل منه (الثالث) باب العباس بن عبد المطلب لأنه يقابل داره التى بالمسعى وهو ثلاثة منافذ (الرابع) باب على وهو ثلاثة منافذ أيضاً وعرفه الأزرقى بباب بنى هاشم وبباب البطحاء أيضا (ومن ذلك) بالجانب الشامى خمسة أبواب بستة منافذ (الأول) باب الدريبة منفذ واحد على يمين الداخل الى المسجد من باب السلام (الثانى) باب سويقة فى صدر زيادة دار الندوة منفذان (الثالث)

باب الزيادة غربى الزيادة المذكورة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب سويقة وهو منفذ واحد (الرابع) باب العجلة وسمى بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديماً دار العجلة ولم أدر ما هذه العجلة وهو منفذ واحد (الخامس) باب السدة لكونه سد ثم فتح وعرفه الأزرقى بباب عمرو بن العاص رضى الله عنه وسكن مؤلف هذا الجامع على يسار النازل من هذا الباب الى المسجد الحرام بجوار المسجد فلله الحمد على اختصاصى بجوارين وهو منفذ واحد (ومن ذلك) بالجانب الغربى ثلاثة أبواب بأربعة منافذ (الأول) باب العمرة لأن المعتمرين من جهة التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه فى الغالب وسماه الأزرقى باب بنى سهم وهو منفذ واحد (الثانى) باب ابراهيم منفذ واحد كبير أكبر أبواب المسجد فى الزيادة التى بهذا الجانب قال الفاسى وابراهيم المنسوب اليه هذا الباب كان خياطا عنده على ما قيل كما ذكره البكرى فى كتاب المسالك والممالك وأن العوام نسبوه اليه ووقع للحافظ أبى القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له والله أعلم انتهى (الثالث) باب الحزورة المصحف الآن بعزورة بالعين المهملة وهو منفذان وعرفه الأزرقى بباب بنى حكيم ابن حزام بالحاء المهملة المكسورة والزاء المعجمة وبباب بنى الزبير بن العوام أيضا ثم قال والغالب عليه باب الحزامية لانه يلى خط الحزامية (ومن ذلك) بالجانب الجنوبى سبعة أبواب بسبعة عشر منفذا الأول باب أم هانئ بنت أبى طالب وبذلك عرفه الأزرقى وهو منفذان

وذكر الفاسى أنه يسمى بباب الملاعبة لأنه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى فى زمنه وعرفه الأقشهرى بباب الفرج ونسبته الى أم هانىء هو الأشهرالى يومنا هذا لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانىء وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر فى المسجد فى زيادة المهدى الثانية فحفر المهدى عوضا بئر على باب البقالين فى حد ركن المسجد الحرام نبه عليه الأزرقى (أقول) لعل هذه البئر التى هى عند باب الحزورة على يسار الخارج من المسجد الحرام يغسل منها الأموات الطرحاء الفقراء الآن فانى لا أعلم هنالك بئرا غيرها وفى هذا دلالة على أن باب البقالين هو باب الحزورة كما سبق التنبيه عليه انتهى (الثانى) باب مدرسة الشريف عجلان لأنها بجانبه كذا عرفه الفاسى وعرفه الأزرقى بباب بنى تيم وهو منفذان (الثالث) باب المجاهدية لأن عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كذا عرفه الفاسى ويقال له باب الرحمة وما عرفت سبب هذه التسمية وذكر الأزرقى أنه من أبواب بنى مخزوم وهو منفذان (الرابع) باب أجياد الصغير منفذان كذا عرفه ابن جبير وعرفه أيضا بباب الحنفيين ولا أعرف ما المراد بذلك وعرفه الأزرقى بباب بنى مخزوم (الخامس) باب الصفا خمسة منافذ وعرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا عرفه الأزرقى أيضاً وسبب تعريف هذه الأبواب ببنى مخزوم كونهم كانوا ساكنين فى تلك الجهة (السادس) باب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وهو منفذان كذا عرفه الفاسى ولم أدر ما سبب هذه الشهرة وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان (السابع)

باب باذان كذا سماه الفاسي وقال لأن عين مكة المعروفة بباذان عنده وعرفه الأزرقي بباب بني عائذ وهو منفذان (أقول) في عبارة الفاسي بعض تسامح لأن باذان هو المحل الذي تمر فيه عين مكة ينزل اليه بدرج لا نفس العين الجاريه وكل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى باذان في عرف أهل هذا الزمان وفي مكة الآن ثلاثة أماكن الثالث بغير درج والظاهر أن درجه أزيلت فيحتمل أن عين مكة كانت تسمى في ذلك الوقت باذان وسمي هذا المحل باسم العين ويحتمل أن يكون من باب تسمية الحال باسم المحل انتهى فهذه عدة أبواب المسجد الحرام الموجوده الآن والله أعلم

الباب الثامن

﴿ في فضل أهل مكة واحترامهم ﴾

ومزيد شرفهم واكرامهم وذكر شيء من فضل قريش
ونسبة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة

روى الأزرقي في تاريخه عن وهب بن منبه أن آدم عليه السلام لما أهبط الى الأرض استوحش لما رأى من سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يارب أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال له سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وسأجعل فيها بيوتا لذكري ويسبحني فيها خلقي وسأبوئك فيها بيتا أختاره

لنفسي وأختصه بكرامتي وآثره على بيوت الأرض كلها باسمي فأسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وأحوزه بحرماتي وأجعله أحق بيوت الأرض كلها وأولاها بذكري وأضعه في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض وأجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وأمنا أحرم بحرماته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرماتي ومن أحله فقد أباح حرماتي ومن آمن أهله فقد استوجب بذلك أماني ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي ومن عظم شأنه عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني ولكل ملك حيازة مما حواليه وبطن مكة خيرتي وحيازتي وجيران بيتي وعمارها وفدي وأضيافي في كنفي ضامنون علي في ذمتي وجواري فأجعله أول بيت وضع للناس وأعمره بأهل السماء وأهل الأرض يأتون أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجيجا ويرجون بالتلبية رجيجا وينتحبون بالبكاء نحيبا فمن اعتمره لايريد غيره فقد زارني ووفد الي ونزل بي ومن نزل بي فحقيق علي أن أتحفه بكرامتي وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء أمة بعد أمة وقرن بعد قرن ونبي بعد نبي حتى ينتهي ذلك الى نبي من ولدك وهو خاتم النبيين فأجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته وسقاته يكون أميني عليه ما كان حيا وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه لنبي من ولدك قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له ابراهيم أرفع له قواعده وأقضي على يديه عمارته وأنبط له

سقايته وأريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحدة قانتا لى قائما بأمرى أجتبيه وأهديه الى صراط مستقيم أستجيب له فى ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم فأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقاته وخدامه وخزانه وحجابه حتى يبتدعوا ويغيروا فاذا فعلوا ذلك فانا الله أقدر القادرين على أن أستبدل من أشاء بمن أشاء أجعل ابراهيم امام أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الانس والجن يطأون فيها آثاره ويتبعون فيها سنته ويقتدون فيها بهديه فمن فعل ذلك منهم أو فى نذره واستكمل نسكه ومن لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه وأخطأ بغيته فمن سأل عنى يومئذ فى تلك المواطن أين أنا فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذرهم المستكملين مناسكهم المبتهلين الى ربهم الذى يعلم ما يبدون وما يكتمون وليس هذا الخلق وهذا الأمر الذى قصصت عليك شأنه يا آدم بزائد فى ملكى ولا عظمتى ولا سلطانى ولا شىء مما عندى إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت فى سبعة أبحر تمدها من بعدها سبعة أبحر لا يحصى ٧ بل القطرة أزيد فى البحر من هذا الأمر فى شىء مما عندى ولو لم أخلقه لم ينتقص شىء من ملكى ولا عظمتى ولا مما عندى من الغنى والسعة إلا كما نقصت الأرض ذرة وقعت فى جبالها وترابها وحصاها ورمالها وأشجارها بل الذرة أنقص للأرض من هذا الأمر لو لم أخلقه لشىء مما عندى وبعد هذا من هذا مثلا للعزيز الحكيم انتهى بنصه وجاء فى الحديث أن سفهاء مكة حشو الجنة كذا نقل عن أبى العباس

اليورقى . ووقع بين عالمين منازعة فى الحرم المكى فى تأويل هذا الحديث وسنده فكابر أحدهما وطعن فى سند الحديث ومعناه فأصبح وقد طعن أنفه واعوج ، وقيل له ان والله سفهاء مكة من أهل الجنة سفهاء مكة من أهل الجنة سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثا فأدركه روع وخرج الى الذى كان يكابره فى الحديث من علماء عصره ، وأقر على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لم يحط به خبرا . قال القاضى تقى الدين الفاسى رحمه الله بلغنى أن الرجل المنكر للحديث هو الامام تقى الدين محمد بن اسماعيل بن أبى الصيف اليمنى الشافعى نزيل مكة ومفتيها ، وأنه كان يقول انما الحديث أسفاء مكة أى المحزونون فيها على تقصيرهم ، والله أعلم انتهى ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : لمقبرة مكة نعم المقبرة هذه ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال وقف رسول الله عليه السلام على المقبرة يعنى مقبرة مكة وليس فيها يومئذ مقبرة قال يبعث الله عز وجل من هذه البقعة أو من هذا الحرم سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال أبو بكر رضى الله عنه ومن هم يارسول الله قال : هم الغرباء . قال الجد رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث فى منسكه ، وانما ذكرت هذا الحديث فى فضل أهل الحرم لأن الغرباء المدفونين فى الحرم صاروا من أهل الحرم فى الجملة . ويروى أن أهل مكة كانوا يلقبون فيما مضى بأهل الله ، وهذا من أهل الله ذكره الأزرقى وغيره. أقول المراد بأهل مكة قريش وبما مضى حال شركهم وكفرهم كما ذكره

أهل السير فالأولى أن يقل لهم بعد أن أكرمهم الله بدين الاسلام وأعزهم بنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فطوبى لأهل مكة ثم طوبى انتهى . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سأل الله عما لأهل بقيع الغرقد فقال لهم الجنة ، فقال يارب ما لأهل المعلاة قال يامحمد سألتنى عن جوارك فلا تسألنى عن جوارى ، والغرقد بالغين المعجمة ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة قال له هل تدرى الى من أبعثك ؟ أبعثك الى أهل الله زاد الأزرقى فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا ، وأخرج الأزرقى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عزل عامله رافع بن حارث الخزاعى لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى ، واشتد غضبه عليه لذلك ، ولم يسكن غضبه عن رافع الا حين أخبر أن ابن أبزى قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض ، وتواضع حينئذ عمر رضى الله عنه وقال لئن كان كذلك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، ان الله يرفع بهذا الدين أقواماً ويضع به آخرين ، وفى رواية بهذا القرآن . أقول ماتقرر من الفضل المذكور لأهل مكة ، فهو على سبيل العموم للصالح منهم والطالح كما دل عليه سياق الكلام الذى هو فى مقام الامتنان ويشهد لذلك الحديث المتقدم آنفاً سفهاء مكة حشو الجنة ، وهذا مما لايخفى على من له أدنى تأمل ، وهذا الفضل لايشاركهم فيه أحد بل تميزوا به وشاركوا غيرهم فى أعظم الأمور ، وهو الاسلام ، وكذلك الحج فان الواحد منهم منذ سقط رأسه والى حين وفاته يحج هذا البيت اذا

كان مقيما فان أحرم عنه وليه في كل عام الى حين بلوغه فلا ريب في تسميته حجاً وحصول ثواب الحج النفل ، والا فقد شهد المشاعر العظام ولا يتهيأ هذا لغيرهم ، وهذا حال أكثرهم فلله الحمد والمنة على ذلك فلو خصص الله أحدا منهم بزيادة خلة بفتح الخاء ، وهي الخصلة من خصال الخير اما علم أو ورع أو زهد أو تقوى أو صلاح فلا ريب حينئذ في زيادة فضله وشرفه وعلو مقامه ، وأما من جمع الله فيه هذه الخصال فبخ بخ له ، وأين ذاك فان كان من قريش واجتمع فيه ما تقدم من النعوت فالكلام حينئذ في زيادة شرفه لا أن كثرة الخصال الجيدة والأوصاف الحميدة مما يدل على شرف القائم بها وزيادة فضله لا سيما اذا كان ثابت التوالد بمكة هو وأبوه وأجداده جاهلية واسلاماً ، وذلك لفضل قريش مطلقاً على جميع العرب ولما خصهم الله به من سنى المجد ورفيع النسب . انتهى والله الموفق

فصل

فيما ورد في حق قريش من الآيات والأحاديث والآثار

قال الله تعالى : «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف» السورة قال الكواشي أصل الرحلة السير على الراحلة ثم استعمل لكل سير وقرئ بضم الراء ، وهي الجهة يرحل اليها ، وأراد رحلتي الشتاء والصيف وأفرد لعدم به لأن قريشا كانت ترحل كل عام للتجارة رحلتين رحلة شتاء الى اليمن لأنه أدفأ ، ورحلة صيف الى الشام يستعينون بهما على المقام

بمكة ، وقريش من ولد النضر بن كنانة ، ومن لم يلده فليس بقرشي انتهى والأشهر أن كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي ، وهو جماع قريش بأسرها ، والدليل على صحة ذلك أنه لا يعلم قرشي من كتب النسب اليوم أن قريشا تنسب الى أب فوق فهر ، وفهر لقب له والذي سمته به أمه قريش . وسيأتى آنفاً سبب تسميته بذلك بأبسط من هذا ان شاء الله تعالى . قال صاحب المدارك ، وكانت قريش في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما ، وآمنهم من خوف عظيم ، وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسيرهم وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم انتهى ملخصا ؛ وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك قيل في تفسيرها يقال ممن هذا الرجل فيقال من العرب فيقال من أيهم فيقال رجل من قريش ، وعن ابن عباس وانه لذكر لك ولقومك شرف لك ولقومك وقال تعالى : «لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » أي فيه شرفكم وقال تبارك وتعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين » المراد قريش ، وقال تعالى « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت » أي كريم يعنى قريشا ، وقال تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » أي لا أسألكم أجرا الى ما أدعوكم اليه الا أن لا تؤذونى بقرابتى منكم وتحفظونى بها ولا تكذبونى قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط النسب في قريش ليس بطن

من بطونهم إلا وقد ولده * وأما ما ورد في حقهم من الأحاديث فكثيرة من ذلك في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش وفيه أيضا ان هذا الأمر في قريش لايعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وفيه لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان وفي الفائق بلفظ ما بقي في الناس اثنان قال العلامة السيوطي في شرح هذا الحديث هو خبر بمعنى الأمر والا فقد خرج الأمر عنهم من أكثر من مائتي سنة ويحتمل أن يكون على ظاهره وأنه مقيد بقوله في الحديث الآخر ما أقاموا الدين ولم يخرج عنهم إلا وقد انتهكوا حرماته انتهى . وفي الفائق عنه صلى الله عليه وسلم : أذق اللهم آخر قريش نوالا كما أذقت أولهم وبالا وفيه عنه صلى الله عليه وسلم استقيموا لقريش ما استقاموا لكم وفيه عنه صلى الله عليه وسلم خير نساء صلح نساء قريش أحناهن على ولد وأرعاهن لزوج وفيه عنه صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وفيه عنه صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت قصرا من ذهب فقلت لمن هذا فقيل لرجل من قريش وفيه عنه صلى الله عليه وسلم ذروا فعل قريش وخذوا بقولهم. أقول يحتمل أن هذا قاله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر قبل إسلام قريش وهو الظاهر من فحوى الكلام وفيه من التنويه بشأنهم ما لا يخفى حيث كانت أقوالهم سديدة معتبرة وهم في تلك الحال المطبوع على قلوبهم فيها ومع ذلك فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالأخذ بقولهم ويحتمل أن ذلك بعد إسلامهم ويحمل على بعض منهم كانت أفعالهم غير مستقيمة

ويحتمل أن يكون ذلك في واقعة مخصوصة اقتضاها الحال وهذا مني على سبيل البحث وما أدى اليه الفهم والا لم أقف على كلام في ذلك انتهى : وفيه عنه صلى الله عليه وسلم : شرار قريش خير شرار الناس وفيه عنه صلى الله عليه وسلم : قريش أهل الله وخاصته وفيه عنه صلى الله عليه وسلم : أسرع الناس فناء قريش وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قريش هم الأنصار ليس لهم دون الله ورسوله مولى قرت عين من أطعم الناس الطعام . أقول قوله في آخر الحديث قرت عين من أطعم الناس الطعام يحتمل أن يكون الكلام راجعاً الى قريش ويصير المعنى من أطعم أحداً من قريش الطعام قرت عينه ويكون فيه حث على قراء الأضياف ومكارم الأخلاق لأن العرب قديماً وحديثاً يفتخرون بذلك ويتمادحون به وهذا هو الأشبه الذي سبق اليه الفهم ويحتمل أن يرجع الى غيرهم ممن يكرم قريشاً ويقريهم ويطعمهم وعلى كلا التقديرين ففيه اشارة لهم ومدحة انتهى وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قدموا قريشاً ولا تقدموهم وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من يرد إهانة قريش يهنه الله فتأمل هذه الكرامة التي أكرمهم الله بها وان بمجرد النية جوزى بالإهانة على حد قوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فسبحان من فضل بعض الناس على بعض وفيه عنه صلى الله عليه وسلم لا يبغض قريشا رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قال اني امرؤ من قريش فمن نال من قريش شيئا فقد نالني رواه الزبير بن بكار . وعنه

صلى الله عليه وسلم أنه قال صلب الناس قريش وهل يمشي الرجل بغير صلب . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال قريش كالملح فهل يطيب طعام إلا به ولولا أن تطغى وفي رواية أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله عز وجل . وعنه صلى الله عليه وسلم أمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش قريش أهل الله فاذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس رواه أبو نعيم . وعنه صلى الله عليه وسلم اللهم فقه قريشا في الدين . وعنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الأرض علما قال بعض العلماء ان هذا العالم هو الامام الشافعي رضي الله عنه لأن علمه قد ظهر وانتشر في البلاد وكتبت كتبه كما كتب المصاحف ودرسها المشايخ والشبان واستظهروا أقاويله وأجروها في مجالس الحكام والقراء والأمراء وهذه صفة لا نعلمها قد أحاطت بأحد إلا بالامام الشافعي إذ كل واحد من قريش من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وان كان علمه قد ظهر وانتشر لكنه لم يبلغ مبلغا يقع تأويل هذه الرواية عليه والى مثل هذا التأويل ذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تعلموا قريشا وتعلموا منها فان أمانة الأمين من قريش تعدل أمانة الاثنين من غيرهم . وللقرشي قوة الرجلين من غير قريش وعقل الرجل من قريش عقل رجلين من غيرهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان قريشا أهل أمانة وصدق فمن بغى لهم الغوائل وفي رواية العواثر أكبه الله لوجهه في النار يوم القيامة. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أحبوا

قريشا فان من أحبهم أحبه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى الدرداء يا أبا الدرداء إذا فاخرت ففاخر بقريش . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة ان أول من يهلك من الناس قومك فقالت فما بقاء الناس بعدهم فقال صلى الله عليه وسلم هم صلب الناس إذا هلكوا هلك الناس وفى رواية أنها قالت فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك فقال عليه السلام دباء يأكل شداده ضعافه حتى تقوم الساعة . والدباء التى لم تنبت أجنحتها من الجراد . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا بعدهم فضلهم بأنى منهم وأن النبوة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لم يعبده فيها أحد غيرهم وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يشركهم فيها أحد غيرهم يعنى لايلاف قريش وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء من بدر سمع رجلا من الأنصار وهو يقول وهل لقينا إلا عجائز كالجزر المعلقة فنحرناها فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تقل ذاك يا ابن أخى أولئك الملأ الأكبر من قريش أما انك لو رأيتهم فى مجالسهم بمكة هبتهم فوالله لقد أتيت مكة فرأيتهم قعودا فى المسجد فى مجالسهم فما قدرت أن أسلم عليهم من هيبتهم . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عبد مناف عز قريش وأسد بن عبد العزى عضدها وركحها وزهرة الكبد وتيم وعدى رئتها ومخزوم فيها كالراكة فى نضرتها وجمح وسهم جناحاها وعامر ليوثها وفرسانها وكل تبع لولد قصى

والناس تبع لقريش وركحها بكسر الراء المهملة ثم كاف ثم حاء مهملة والأحاديث فى فضلهم كثيرة لايحملها هذا التعليق ، و فيما ذكرته مقنع ، وأما ماورد فى حقهم من الآثار ، فروى عن عروة بن الزبير أنه قال : كانت قريش فى أيام الجاهلية تدعى العالمية للعلم ، وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال لما أمر عثمان رضى الله عنه زيد بن ثابت وسعيد ابن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم أن ينسخوا المصحف من الصحف التى جمع فيها القرآن فى خلافة الصديق رضى الله عنه . قال لهم ، اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من القرآن فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا فلما بلغوا ذكر التابوت قال زيد بن ثابت رضى الله عنه التابوه بالهاء ، وهى لغة الأوس والخزرج ، فختلفوا فأمرهم أن يكتب بالتاء بلغة قريش قال الله تعالى . « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وعن هشام بن عروة بن الزبير أنه قال : كان لقريش فى ذلك ضابط كمملكة فارس . وليس لهم ملك ، وانما كان ذلك بأحلامهم ، وكان كالسلطان الضابط وكان يقال لهم لقاحين الله ، وذكر أن العرب من غير قريش كان فيما مضى لا يقدر على الخروج من دار قومه فى غير الأشهر الحرم الا فى جماعة وكان القرشى يخرج وحده حيث شاء وأنى شاء فيقال رجال من أهل الله عز وجل ، فلا يعرض له عارض ، ولا يريبه أحد ولم يعهد أن الحرم غزى ولا سبيت قرشية فى جاهلية ولا اسلام قط . ويروى أن كنانة ابن خزيمة بن مدركة أتى فى منامه وهو فى الحجر ، فقيل له تخير

يأبا النضر بين الصهيل والهدرة أو عمارة الجدر أو عز الدهر ، فقال كلا يارب فصار كل هذا من قريش ، وكانت قريش على ارث من دين أبويهم ابراهيم واسماعيل صلوات الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاج وتعظيم مكة المكرمة ، ومنع الملحد والباغي فيها وقمع الظالم ونصر المظلوم غير أن أوائلهم دخلت فيهم أحداث غيرت أصول الحنيفية دين ابراهيم وطال الدهر حتى أفضى بهم ذلك الى الجهل بشعار الدين والضلال عن سنن التوحيد فمحا الله عز وجل ذلك كله بنبيه محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم فأنقذهم به من الضلالة وهداهم من العماية والجهالة .

استطراد مهم

حيث ذكرت شيئاً من فضائل قريش رأيت ان أذكر نسب سيد قريش وصميمها وغلصمتها وعظيمها سيدنا محمداً خاتم النبيين وحبيب رب العالمين ونسب أصحابه العشرة الكرام البررة وذكر شيء من مناقبهم وأحوالهم على سبيل الاختصار لتشمل بركتهم هذا المؤلف ويسطر ثواب ذلك في صحائف المؤلف لما أن العشرة رضوان الله عليهم كلهم من قريش ونسبهم متصل بنسبه صلى الله عليه وسلم فأقول :

أما نسبه صلى الله عليه وسلم فهو (سيدنا محمد بن عبد الله الذبيح) وسيأتي سبب تسميته بذلك قريباً في فصل زمزم ان شاء الله تعالى (ابن عبد المطلب) واسمه شيبة الحمد ، وقيل عامر وانما قيل له شيبة الحمد لشيبة كانت في ذؤابته ظاهرة ، وكنيته أبو الحارث بابن له ، وانما قيل له

عبدالمطلب لأن أباه هاشما قال لأخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك بيثرب ، فسمي عبد المطلب لهذا ، وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه ، وهو بهيئة غير لائقة فسألوه عنه فقال هو عبدي حياء أن يقول هو ابن أخي ، وهو بتلك الحالة ، فلما أدخله وأحسن من حاله أظهر أنه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب ، وقيل انه كان أسمر اللون فلما جاء به مردفه خلفه ظن الناس أنه عبده فقالوا قدم المطلب بعبد ، فلزمه ذلك (ابن هاشم) ، واسمه عمرو العلا وانما سمي هاشما لأنه كان يهشم الثريد لقومه في أيام الجدب والمجاعة ، وفيه يقول القائل :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وبالغ في الكرم مبالغا عظيما حتى انه كان يطعم الوحش والطير فينحر لهما في رءوس الجبال ، واذا وقع القحط أطعم الناس ، وأمر الموسرين من أهل مكة بالانفاق على فقرائهم حتى يأتي الله بالغيث ، ثم انه وفد الشام على قيصر وأخذ كتابا بالأمن لقريش ، وأرسل أخاه المطلب الى اليمن وأخذ من ملوكهم كتابا أيضا ثم أمر بذلك تجار قريش رحلتي الشتاء والصيف ، فكانوا يرحلون في الصيف الى الشام ، وفي الشتاء الى اليمن كما تقدم فاتسعت من يومئذ معيشتهم بالتجارة ، وأغناهم الله من الخوف والجوع ببركة هاشم . (ابن عبد مناف) . وكان يسمى قمر البطحاء لصباحته ، وهو الذي قام مقام أبيه قصي بالسيادة وسقاية الحاج ، وكان يسمى المغيرة على ما قيل ، وكنيته أبو عبد شمس (ابن قصي) ، واسمه

زيد ، وقيل يزيد ، وإنما قيل له قصي لأنه ذهب مع أمه فاطمة بنت سعد من بنى عذرة ونشأ مع أخواله ، وبعد عن مكة فسمى لذلك قصياً مأخوذ من القاصى ، وهو البعيد ، وكان يدعى مجمعا لأنه لما كبر وعاد الى مكة جمع قريشاً من البوادى ، وردها الى مكة بعد أن تفرقت ، وأخرج خزاعة منها فلذا سمى مجمعا ، وفيه يقول الفضل بن عباس بن أبى لهب :

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

(ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر) واسمه قريش ، وبه سميت قريش على أحد الأقوال ، وقيل أول من سمى قريشا قصى ، وهو ضعيف وسيأتى قريبا ما عليه الاعتماد فى ذلك ان شاء الله تعالى (ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة) واسمه عامر وقيل عمرو ، وانما سمى مدركة على ماقيل لأنه جرى خلف أرنب فأدركها فسماه أبوه مدركة (ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) هذا هو المجمع عليه ، وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى عدنان أمسك وقال كذب النسابون فيما وراء ذلك . (وآباؤه صلى الله عليه وسلم كلهم سادات ممنهم الا من هو سيد قومه فى عصره) وما أحسن ماقيل فى هذا المعنى :

فأولئك السادات لم تر مثلهم ... عين على متتابع الأحقاب
لم يعرفوا رد العفاة وطال ما ... ردوا عداتهم على الأعقاب
زهر الوجوه كريمة أحسابهم ... يعطون سائلهم بغير حساب
حموا الى أن لا تكاد تراهم ... يوما على ذى هفوة بعضاب

وتكرموا حتى أبوا أن يجعلوا ... بين العفاة وماهم من باب
كانت تعيش الطير فى أكنافهم ... والوحش حين يشح كل سحاب
وكفاهم أن النبي محمدا ... منهم فمدحهم بكل كتاب

وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشية الزهرية فهو صلى الله عليه وسلم أصيل الطرفين كريم الأصلين زاده الله شرفا وكرما ، حملت به فى شعب أبى طالب وولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج فى شعب بنى هاشم وسيأتى ذكرها ومحلها فى الخاتمة عند عد الأماكن المباركة التى تزار بمكة ان شاء الله تعالى . وكانت ولادته يوم الاثنين على الصحيح لاثنى عشر من ربيع الأول عام الفيل على الصحيح وقيل لليلتين خلتا منه . وقيل لثمان ليال وقيل لعشر خلون منه . وقيل أول اثنين منه وذلك بعد قدوم الفيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بخمسين يوما وكان قدوم الفيل على ما قيل يوم الأحد السابع عشر من المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر ذى القرنين ، ووافق يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم عشرين من شهر نيسان أحد شهور الروم وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بعد هبوط آدم بستة آلاف سنة وثلاث وأربعين سنة فى ولاية كسرى أنوشروان سنة سبع عشرة منها بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام بخمسمائة وثمان وأربعين سنة كذا ذكره العلامة الحافظ عبد الرحيم الأسيوطى الشافعى فى ورقات له . وكناه صلى الله عليه وسلم من الأولاد

سبعة ثلاثة ذكور وأربع أناث فالذكور القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وعبد الله الطاهر ويقال الطيب أيضا وابراهيم والاناث رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة وكلهم من خديجة إلا ابراهيم فان أمه مارية القبطية التي أهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا اختلاف وقت الضحى ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة ودفن يوم الثلاثاء وقيل يوم الأربعاء صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

﴿ وأما نسب أبي بكر الصديق ﴾ رضي الله عنه فهو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ومن هنا يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم وينسب الى تيم فيقول التيمي وهو في العدد الى مرة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن كل واحد منهما بينه وبين مرة ستة آباء فهذه موافقة بينهما في النسب كما في العمر على أصح الأقوال (أمه) أم الخير سلمى بنت صخر ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه كذا ذكره جمهور أهل النسب أسلمت قديما في دار الأرقم بن أبي الأرقم وسيأتي تعريفها فيما بعد ان شاء الله تعالى وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مسلمة وكان اسم أبي بكر الصديق عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وقيل كان اسمه عتيقا لعتاقة وجهه وجماله والعتق بالتحريك الجمال وقيل بل لقبته به أمه لأنها كانت لا يعيش لها ولد فلما ظهر استقبلت به الكعبة ثم قالت: اللهم ان هذا عتيقك من

الموت فهبه لى فعاش فلزمه ذلك ، وقيل له أخوان عتق وعتيق فسمى باسم أحدهما ، وقيل لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به ، وقيل لأنه قديم فى الخير والعتيق القديم ، وقيل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى هذا فسمى عتيقاً لذلك واختلف فى تلقيبه بالصديق لأى معنى : قيل كان هذا اللقب قد غلب عليه فى الجاهلية لأنه كان من رؤساء قريش ، وكانت اليه الديات اذا تحمل دية قالت قريش صدقوه وامضوا حمالته وحمالة من قام معه واذا تحملها غيره لم يصدقوه ، وقيل لتصديقه النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر الاسراء ، وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : ان الله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق (صفته) كان أبيض نحيفا خفيف العارضين غائر العينين واحنا لايستمسك ازاره معروق الوجه ناتىء الجبهة عارى الأشاجع ، وقيل أحمر ، واحنا بالحاء المهملة غير مهموز يعنى منحنياً وآجنا بالجيم والهمز معناه أيضا يقال فلان أجنى الظهر ومعنى معروق الوجه أى قليل اللحم ، والأشاجع جمع أشجع : وهى أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف ،وكان يخضب بالحناء والكتم (خلافته) كانت خلافة الصديق رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (سنه) كان عمره يوم مات ثلاثا وستين سنة كسن النبى صلى الله عليه وسلم (أولاده) كان له من الأولاد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء (وفاته) قال أهل السير توفى أبو بكر رضى الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وقيل يوم

الجمعة لتسع بقين من الشهر المذكور والأول أصح لما روت عائشة رضى الله عنها أن الصديق لما ثقل قال أى يوم هذا قلنا له يوم الاثنين قال اليوم الذى قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرجو فيما بينى وبين الليل يعنى يرجو الموت ، وكان كذلك .

(وأما نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فهو عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب يجتمع نسبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى كعب وينسب الى عدى فيقال له العدوى (أمه) حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام عمر ، وكناه النبى صلى الله عليه وسلم بأبى حفص ، وكان ذلك يوم بدر ، وسماه الفاروق وسببه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم ألسنا على الحق يارسول الله ان متنا وان حيينا قال بلى فقال عمر ففيم الاختفاء والذى بعثك لنخرجن ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر ، وله زئير حتى دخل المسجد فنظرت قريش الى عمر وحمزة وقد أصابتهم كآبة ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق ، وقيل ان رجلا من المنافقين ويهودياً اختصما فقال اليهودى ننطلق الى محمد بن عبد الله ، وقال المنافق بل الى كعب بن الأشرف ، فأبى اليهودى وجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلما خرج قال المنافق ننطلق الى عمر بن الخطاب فأقبلا عليه فقصا عليه القصة فدخل البيت ثم خرج والسيف فى يده فضرب

عنق المنافق وقال هكذا أقضى على من لم يرض بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقيل بل سماه الله تعالى بذلك فى السماء (صفته) أبيض أمهق وهو الذى لا يكون له دم ظاهر كذا وصفه أهل الحجاز ووصفه الكوفيون بأنه أسمر وكان طوالا أصلع أجلح شديد حمرة العينين خفيف العارضين واختلف هل كان يصبغ أم لا قولان وكان رضى الله عنه من رؤساء قريش وأشرافهم واليه كانت السفارة فى الجاهلية وهى أن قريشاً كانوا إذا وقع بينهم حرب بعثوه سفيرا وان نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا (خلافته) قال ابن اسحق كانت مدة ولاية عمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام وكان يحج بالناس كل عام غير سنتين متواليتين (سنه) اختلف أهل السير فى سن عمر فقيل ثلاث وستون سنة كسن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر روى ذلك عن معاوية والشعبى وقيل خمس وخمسون سنة روى ذلك عن سالم بن عبد الله بن عمر، وقال الزهرى أربع وخمسون سنة ذكر جميع ذلك الحافظ أبو عمر والسلفى وغيرهما ، وعن ابن عمر قال سمعت عمر يقول قبل موته بسنتين أو ثلاث أنا ابن سبع أو ست وخمسين (عدة أولاده) قال أهل السير كان له ثلاثة عشر ولدا سبعة ذكور وأربع بنات بعضهم أشقاء وبعضهم من أمهات (وفاته) توفى عمر رضى الله عنه مقتولا شهيدا لأربع بقين من الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وقيل بل طعن لأربع بقين ومات فى آخر شهر ذى الحجة واتفقوا على أنه دفن بعد

ما طعن ثلاثاً ثم مات وروى أن عثمان وعلياً استبقا على الصلاة عليه فقال لهما صهيب اليكما عنى فقد وليت من أمركما أكثر من الصلاة عليه وأنا أصلي بكما المكتوبة فصلى عليه صهيب . وروى أن ملك الموت لما دخل على عمر سمعه عمر وهو يقول لملك آخر معه هذا بيت أمير المؤمنين ما فيه شيء كأنه القبر فقال له عمر يا ملك الموت من تكون أنت خلفه هكذا يكون بيته ﴿ وأما نسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾ فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وينسب الى أمية فيقال الاموي (أمه) أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشية أسلمت أمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيقة أبي طالب (صفته) كان رجلا ربعة القد ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه وجنتيه آثار جدري أقنى رقيق البشرة عظيم اللحية طويلها أسمر اللون كثير الشعر له جمة أسفل من أذنيه ولكثرة شعر رأسه ولحيته سماه أعداؤه نعثلا بالنون ثم العين المهملة ثم ثاء مثلثة من فوق ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين أصلع وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب وكان محبباً في قريش وفيه يقول قائلهم أحبك الرحمن حب قريش عثمان (خلافته) كانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوماً قاله ابن اسحق وقيل كانت احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوماً (سنه) اختلف أهل السير في سن عثمان رضي الله عنه فقيل ثمانون سنة وقيل

وثمان وثمانون ، وقيل اثنان وثمانون ، وقيل ستة وثمانون ، وقيل تسعون
(عدة أولاده) كانت أولاده ستة عشر ولدا تسعة ذكور وسبع اناث
(وفاته) قال ابن اسحق كان قتل عثمان يوم الأربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر ، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع خلت من ذى الحجة ، وقيل فى وسط أيام التشريق ، وقيل مصدر الحاج سنة خمس وثلاثين ، وروى أنه مكث مطروحا يومه الى الليل ، وقيل ثلاثة أيام ثم دفن وصلى عليه جبير بن مطعم ، وقيل المسور بن مخرمة ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل الزبير ، وكان عثمان رضى الله عنه أوصى بالصلاة عليه ، وقيل بل صلى عليه ابنه عمرو الذى كان يكنى به ، وشاهد الناس الملائكة وهى تصلى عليه رضى الله عنه وأرضاه ، ومن خصائصه أنه لايحاسب . روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال يارسول الله من أول من يحاسب يوم القيامة قال أبو بكر فقال على ثم من يارسول الله قال ثم عمر ثم أنت ياعلى قلت يارسول الله أين عثمان قال انى سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا فسألت الله أن لايحاسبه كذا فى الرياض للمحب الطبرى .

{ وأما نسب سيدنا أمير المؤمنين على كرم الله وجهه } فهو على بن أبى طالب ابن عبد المطلب أقرب العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد المطلب الجد الأول وبعده فى القرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وينسب الى هاشم فيقال القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم

ابن عبد مناف القرشية الهاشمية أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمدينة وصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وتولى دفنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم . كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي تراب لأنه نام في المسجد فسقط رداؤه عن ظهره ومسه التراب فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بتلك الحال فمسح التراب عن ظهره وقال له اجلس أبا تراب ويكنى بأبي الحسن وهي أشهر (صفته) ربع القامة أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه عظيم البطن أصلع ليس في رأسه من الشعر الا شيء يسير من خلفه كثير شعر اللحية ، ومن خصائصه كرم الله وجهه أنه أول من يقرع باب الجنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأول من يجثو بين يدي الله عز وجل يوم القيامة للخصومة (خلافته) كانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر فمدة خلافة الأربعة على الصحيح تسعة وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام وقد قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فاما أن يكون أطلق على ذلك ثلاثين لقربه منها أو تكون مدة ولاية الحسن محسوبة منها وهي تكملتها (أقول) يشكل ذلك بما رواه سهل بن أبي حثمة أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد كلام ألا وان الخلفاء بعدي أربعة والخلافة بعدي ثلاثون سنة نبوة ورحمة ثم خلافة ورحمة ثم ملك ثم جبرية وطواغيت ثم عدل وقسط ألا وان خير هذه الأمة أولها وآخرها أخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي ، ووجه الاشكال التصريح بأن الخلفاء أربعة بعده صلى الله عليه وسلم فكيف تحسب مدة الحسن ، ويمكن أن يجاب عنه بأن مدة الحسن لما كانت يسيرة لم يعده خامسا ، ولم تعد الأربعة

لطول مدتهم ومعظم خلافتهم هـذا على تقدير صحة هذه الرواية وتسليمها وإلا فلا يرد الأشكال من أصله (عدة أولاده) ثلاثة وثلاثون ولدا خمسة عشر ذكرا وثمانية عشر أنثى وقيل ان الذكور أربعة عشر (وفاته) كان قتله فى صبيحة يوم سبعة عشر فى رمضان وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة منه وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت منه أو بقيت وقيل لثمان عشرة ليلة منه سنة أربعين من الهجرة ومات من يومه ودفن بالكوفة ليلا . واختلف هل قتل وهو فى الصلاة أو قبل الدخول فيها أقوال وهل استخلف من أتم الصلاة على القول بأنه قتل وهو فيها أو أتمها هو فالأكثر أنه استخلف جعدة بن هبيرة وجهل موضع قبره وكان ذلك حكمة من الله وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن وروى أنه كان عنده مسك فضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يحنط به ذكره البغوى . ولما بلغ عائشة موته قالت لتصنع العرب ما شاءت فليس لها أحد ينهاها . وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أخبرنى جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح فى جسده أمرنى أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها فى حلق آدم فعصرتها فخلقك الله يا محمد من النقطة الأولى وخلق من الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة عليا فقال آدم يارب من هؤلاء الذين أكرمتهم فقال الله تبارك وتعالى هؤلاء من ذريتك وهم أكرم عندى من جميع خلقى . فلما عصى آدم ربه قال يارب بحرمة أولئك الخمسة الذين فضلتهم إلا تبت على فتاب الله عليه

أخرجه الطبرى فى الرياض وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج » أخرجه الملا فى سيرته

﴿ وأما نسب طلحة رضى الله عنه ﴾ فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ويكنى بأبى محمد يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب ومع أبى بكر فى عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وينسب اليه كأبى بكر فيقال القرشى التيمى أمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد بن ملك بن ربيعة الحضرمى أخت العلاء بن الحضرمى أسلمت (صفته) أسمر اللون كثير الشعر حسن الوجه وكان لا يصبغ شعره مربوعا الى القصر أقرب ومن خصائصه بروكه للنبى صلى الله عليه وسلم حتى صعد على ظهره الى الصخرة فبشره صلى الله عليه وسلم أن جبريل لايراه فى القيامة فى مهم إلا أنقذه منه (سنه) ستون سنة وقيل اثنان وستون وقيل أربع وستون وقيل غير ذلك (عدة أولاده) كان له من الأولاد أربعة عشر ولدا عشر ذكور وأربع اناث (وفاته) كان مقتل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة

﴿ نسب الزبير رضى الله عنه ﴾ هو أبو عبد الله الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصى بن كلاب وينسب الى أسد بن عبد العزى فيقال القرشى الأسدى (أمه) صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله

صلى الله عليه وسلم أسلمت وهاجرت . روى عنه أنه قال لابنه عبد الله يابنى كانت عندى أمك أسماء بنت أبى بكر وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها عائشة خالتك وعمة أبى أم حبيبة بنت أسد جدته صلى الله عليه وسلم وأمى صفية عمته وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف وأختها هالة بنت وهب بن عبد مناف جدتى وخديجة بنت خويلد زوجته عمتى (صفته) ليس بالطويل ولا بالقصير ، وقيل كان طويلا يخط رجلاه فى الأرض اذا ركب خفيف اللحية أسمر اللون أشعر ، وكان لايغير شيبه وهو أول من سل سيفا فى سبيل الله فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالخير ودعا لسيفه (سنه) سبعة وستون سنة ، وقيل ست وستون . وقيل أربع وستون ، وقيل ستون ، وقيل أحد وستون ، وقيل خمس وسبعون وقيل بضع وخمسون (أولاده) كان أولاده عشرين ولدا أحد عشر ذكرا وتسع بنات (وفاته) قتل رضى الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة

﴿ نسب سعد رضى الله عنه ﴾ هو سعد بن مالك بن أبى وقاص بن وهب وقيل وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة . يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلاب بن مرة ويجتمع هو وعبد الرحمن بن عوف فى زهرة كما سيأتى . وينسب الى زهرة بن كلاب فيقال القرشى الزهرى ، ومن فضائله رضى الله عنه شهادة النبى صلى الله عليه وسلم بنسبه . روى عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم من أنا يارسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أنت سعد بن مالك بن

وهيب بن عبد مناف بن زهرة من قال غير ذلك فعليه لعنة الله (أمه) حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام سعدا وكنيته أبو اسحق (صفته) كان رجلا قصيرا غليظا ذا هامة أسمر اللون جعد الشعر أشعر الجسد ويخضب بالسواد، وقيل انه كان طوالا، وهو أول من رمى سهماً فى سبيل الله، وكان مجاب الدعوة لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم له بذلك حيث قال اللهم استجب لسعد اذا دعاك، وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وجمع له النبى صلى الله عليه وسلم بين أبويه ولم يجمع لأحد غيره، وذلك أنه جعل يقول له يوم أحد ارم ياسعد فداك أبى وأمى (سنه) كان له من العمر يوم مات بضع وستون سنة، وقيل بضع وسبعون، وقيل بضع وثمانون وقيل بضع وتسعون (أولاده) كان له من الأولاد أربعة وثلاثون ولدا سبعة عشر ذكرا وسبعة عشر أنثى (وفاته) توفى رحمه الله سنة خمس وخمسين من الهجرة، وقيل أربع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين وكف بصره فى آخر عمره، وكان آخر العشرة موتا.

• نسب سيدنا سعيد ﴾ هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤى يجتمع نسبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى ومع سيدنا عمر فى نفيل بن عبد العزى المتصل بكعب وينسب الى عدى فيقال القرشى العدوى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن عم أبيه، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام سعيدا ويكنى بأبى الأعور (أمه) فاطمة

بنت نعجة بن مليح الخزاعية (صفته) كان أسمر اللون طويلا أشعر (سنه) كان سنه نيفا وسبعين سنة بتقديم السين قال أهل السير كان له من الأولاد أحد وثلاثون ولدا ثلاثة عشر ذكرا وثمان عشرة أنثى (وفاته) توفي رحمه الله بالعقيق وحمل الى المدينة ودفن بها سنة خمسين من الهجرة أو احدى وخمسين في أيام معاوية

﴿ نسب سيدنا عبد الرحمن ﴾ هو عبد الرحمن بن عثمان بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة ويجتمع هو وسعد في زهرة وينسب اليه فيقال القرشي الزهري (أمه) الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث الزهرية ابنة عم أبيه أسلمت وهاجرت كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الحرث وقيل عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان يلقبه بالصادق البار (كنيته) أبو محمد (صفته) كان طويلا حسن الوجه رقيق البشرة أبيض اللون مشربا بحمرة وكان لا يصبغ لحيته ضخم الكفين غليظ الأصابع أقنى جعد الشعر له جمة من أسفل أذنيه ساقط الثنيتين وبه عرج من جراحة أصيب بها يوم أحد ومن خصائصه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في بعض الأحوال (سنه) كان عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين وقيل اثنتين وسبعين ودفن بالبقيع وقبره معروف وصلى عليه عثمان بن عفان وكان أوصاه بذلك (أولاده) كان له من الأولاد ثمانية وعشرون ولدا عشرون ذكورا وثمان بنات (وفاته) قال أهل السير توفي عبد الرحمن

ابن عوف رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين من الهجرة النبوية وقيل سنة اثنتين وثلاثين منها وكان ذا مال عظيم ودنيا طائلة حتى روى أنه احدى زوجاته صولحت عن نصيبها من الميراث على ثمانين ألف دينار

﴿ نسب سيدنا عامر ﴾ هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ابن هلال بن أهيب بن منبه بن الحارث بن فهر وهو قرشى يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فهر بن مالك الذى هو جماع قريش وينسب الى فهر فيقال القرشى الفهرى وهو أبعد العشرة نسبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمه) من بنى الحارث بن فهر أسلمت ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام عامرا (وكنيته) أبو عبيدة (صفته) كان رجلا طويلا نحيفا أثرم الثنيتين خفيف اللحية يخضب بالحناء والكتم وسبب خروج ثنيتيه أنه انتزع سهمين من جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل ان المنتزع حلقت الدرع . قال الطبرى ويجوز أن يكون السهمان أثبتا حلقتى الدرع فنزع الجميع وقيل أنه مارئى أهتم كان أحسن منه رضى الله عنه والاهتم والأثرم بمعنى واحد ومن خصائصه شهادة النبى صلى الله عليه وسلم بأنه أمين هذه الأمة

﴿ فائدة ﴾ قال العلماء إذا شهد الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه بفضيلة عليهم وجب القطع بأنه أفضل منهم فى تلك الفضيلة فيجب أن يقطع بأن أبا عبيدة أفضل من أبى بكر وعمر وغيرهما فى فضيلة الأمانة وأن أباذر أفضل منهم جميعا فى تحرى الصدق حيث قال فيه صلى الله عليه وسلم أصدقكم لهجة أبو ذر وان عليا كرم الله وجهه أقضاهم حيث

قال أقضاكم علي ، وان معاذا أعلمهم بالحلال والحرام حيث وصفه بذلك والفضل المطلق لأبي بكر الصديق بلا خلاف انتهى .

(سنه) كان له من العمر يوم مات [1]

هذا تمام نسب العشرة الكرام رضي الله عنهم فما خرج أحد منهم عن قريش وكلهم نسبه ثابت من قريش من الجهتين من جهة أبيه ومن جهة أمه ماعدا طلحة وسعيد بن زيد فان أميهما غير قرشيتين لأن أم طلحة بنت الحضرمي وأم سعيد خزاعية كما تقدم .

ذكر وصف كل واحد من العشرة

رضي الله عنهم بصفة حميدة

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم في دين الله عمر ، وأشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي بن أبي طالب ، ولكل نبي حواري ، وحواري طلحة والزبير وحيث ما كان سعد بن أبي وقاص كان الحق معه ، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن ، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن ، وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله . ولكل نبي صاحب سر ، وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان ، فمن أحبهم فقد نجا ، ومن أبغضهم فقد هلك (وعنه) صلى الله عليه وسلم أنه قال أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة الى تمام العشرة ، وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) بياض بالأصل

وسلم من أحسن القول فى أصحابى فقد برئ من النفاق ومن أساء القول فى أصحابى كان مخالفاً لسنتى ومأواه النار وبئس المصير ، وهذا عام فى جميع الصحابة لخص الفضل للعشرة خصوصاً وعموما ، وروى أن الله تعالى جمع بين أرواح العشرة قبل خلقهم وخلق من أنوار تلك الأرواح طائرا واحدا وهو فى الجنة . أخرجه الملا فى سيرته وغيره فانظر كيف جمع الله بينهم أرواحا قبل خلقهم أشباحا ثم جمع بينهم أشباحا وأرواحا فى النسب والصحبة والاخاء والتوادد والتراحم فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فى الجنة ، فالسعيد من تولى جملتهم وجملة جميع الصحابة ولم يفرق بين أحد منهم واهتدى بهديهم وتمسك بحبلهم والشقى من تعرض لخوض فيما شجر بينهم واتبع نفسه هواها فى سب أحد منهم فالله الحمد والمنة والفضل أن أعاذنا من ذلك ونسأله تمام هذه المنة ودوامها الى الممات مع حسن الخاتمة آمين . عدنا لما نحن بصدده (اعلم) أنه قد اختلف فى قريش لم سميت قريشا ، فقيل سميت باسم دابة تسكن البحر يقال لها القرش تشبيها لهم بها لشدتهم ومنعهم لأن هذه الدابة تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى . قال فى المدارك وهى دابة عظيمة تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم انتهى ، وفى شعر اللهبى :

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشاً
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك فيه لذى الجناحين ريشاً
هكذا فى البلاد حى قريش يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى يكثر القتل فيهم والخموشا

والقشيش مصدر قشت الحية ، وهو صوتها من جلدها ، وقيل سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر ، وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش ، وقيل ان قصيا قرشها أى جمعها من الأقطار وردها الى مكة ولذلك سمى مجمعا كما تقدم فى شعر الفضل بن عباس بن عتبة ، ومن شعره أيضاً :

نحن كنا سكانها من قريش　　　وبنا سميت قريش قريشاً

وقيل بل كان اسم قصى قريش فسميت به والأشهر أن اسمه زيد كما تقدم ، وقيل لأنهم كانوا يتقرشون فى البياعات أى يتكسبون ، والتقرش التكسب ، وقيل ان النضر كان يقال له القرشى فسموا باسمه ، وقيل لأنهم كانوا يقرشون عن خلة الحاج فيسدونها ، والتقريش التفتيش ويدل لذلك قول الحارث بن حلزة اليشكرى :

أيها الناطق المقرش عنا　　　عند عمرو فهل لنا ابقاء

أى المفتش . واعلم أن قريشا ثلاثة أصناف صنف منهم قريش الأباطح ويسمون أيضا قريش البطاح ، وصنف منهم قريش الظواهر ، والصنف الثالث ليسوا من الأباطح ولا من الظواهر ، أما قريش الأباطح فبنو عبد مناف وأسد بن عبد العزى بن قصى ، وزهرة وتيم ، وبنو مخزوم وبنو سهم وجمح وعدى وبنو حنبل بن عامر بن لؤى ، وبطنان من بنى الحارث ابن فهر ، وأما قريش الظواهر ، فبنو الأدرم بن غالب ، وبنو محارب ، وبنو فهر الاخطين ، وبنو معيص بن عامر بن لؤى ، وأما غير هؤلاء من قريش فليسوا من الأباطح ولا من الظواهر وذلك لأنهم خرجوا

عن مكة فتنحوا عن البلاد . منهم سآمة بن لؤى وقع بعمان ، وجشم بن لؤى ، وهو خزيمة وقع باليمامة فهم فى بنى هزان من عنزة وبنانة فى شيبان وهم بنو سعد بن لؤى ، وهم فى شيبان ، وبنو الحارث بن لؤى وهم أيضا فى بنى أبى ربيعة بن شيبان بن ذهل بن شيبان ، وانما سموا الأباطح لأن قصيا أدخلهم معه الى بطن مكة وأقام الآخرون بالظواهر كذا فى الغاية للاتقانى ، وعزاه الى شرح ديوان كثير لمحمد بن حبيب . ثم اعلم أن طبقات العرب : ست شعب وقبائل وعمارة وبطون وأفخاذ وفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة ، وسميت شعوبا لأن القبائل تتشعب منها ، والشعب بفتح الشين والعمارة بفتح العين المهملة ، وفى معالم التنزيل قيل ان الشعوب من العجم والقبائل من العرب والأسباط من بنى اسرائيل انتهى. قال القرطبى فى تفسيره وقد نظمها بعضهم فقال :

قبيلة قبلها شعب وبعدها ... عمارة ثم بطن بعده فخذ
وليس يؤوى الفتى الافصيلته ... ولا سداد لسهم ماله قذذ

انتهى . والقذذ بالذال المعجمة . قال فى القاموس . والفصائل هى العشائر واحدها عشيرة . ومنه قوله تعالى : « وفصيلته التى تؤويه » أى عشيرته التى تضمه (فرعان * الأول) يعتبر التفاضل عندنا بين قريش فى حق الكفاءة لقوله عليه السلام قريش بعضهم أكفاء لبعض حتى لو تزوجت هاشمية قرشيا غير هاشمى صح عقدها ، وان تزوجت عربيا غير قرشى فللأولياء حق الرد الا أن يكون الولى هو الأب أو الجد فان

لهما تزويج الصغيرة بغير كفء وبغبن فاحش فى المهر عند أبى حنيفة رضى الله عنه خلافا لصاحبيه؛ والتعليل من الطرفين مقرر فى محله ألا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج بنته رقية وأم كلثوم من عثمان ولهذا لقب بذى النورين ، وكان أمويا لا هاشميا ، وزوج على ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب وكان عدويا لاهاشميا فثبت أن قريشا كلهم سواء فى حق الكفاءة (الثانى) مذهب الامام محمد بن الحسن من أصحابنا أن التفاضل انما يعتبر فيما بين قريش اذا كان النسب مشهورا فى الحرمة كأهل بيت الخلافة ، حتى لو تزوجت قرشية من بنات الخلفاء قرشيا ليس من أولاد الخلفاء يكون للأولياء حق الرد وكأنه قال هذا لتسكين الفتنة وتعظيم أمر الخلافة لا لانعدام أصل الكفاءة كذا نقله الاتقانى فى الغاية والله تعالى أعلم



الباب التاسع

﴿ في ذكر مبدأ بئر زمزم وسبب حفر عبد المطلب لها ﴾
وفضل مائها وأفضليته وبركته وخواصه وما ورد في ذلك

اعلم أن بئر زمزم تنسب الى سيدنا اسماعيل صلوات الله عليه وسلامه أن سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام لما هاجر باسماعيل وأمه من الشام الى مكة شرفها الله تعالى (١) وكانت اذ ذاك ترضعه وضعهما تحت دوحة ، وهي شجرة كبيرة وليس معهما الا شنة (٢) فيها قليل ماء ولم يكن بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع عندهم جرابا فيه تمر ثم ذهب راجعا الى الشام فتبعته أم اسماعيل فقالت له يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس وجعلت تردد ذلك مرارا وابراهيم لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فيه (٣) وانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان على الحجر وقف واستقبل البيت ورفع يديه

(١) وسبب هجرة ابراهيم باسماعيل وهاجر من الشام الى مكة شرفها الله تعالى غضب سارة على هاجر فحلفت أن لا تساكنها في بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يخرجها عنها فأوحى الله الى ابراهيم أن يأتي بهاجر وابنها الى مكة فذهب بها حتى قدم مكة

(٢) الشن القربة البالية (٣) وفي رواية قالت فمن تتركنا قال الى الله عز وجل قالت اذا رضيت بالله ثم رجعت

ودعا بالآيات ربنا اني أسكنت الى قوله تعالى لعلهم يشكرون ثم مضى سائرا وجعلت (١) أم اسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء ولبنها يدر على صبيها الى أن نفد فعطشت وعطش ابنها (٢) وصار يتلوى وفي رواية يتلبط فانطلقت كراهة أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي (٣) ورفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات فكان فعلها ذلك سبب السعي بين الصفا والمروة فلما أشرفت على المروة آخرا ولم يكن في الوادي غيرها سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت هذا الصوت فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث هذا هو الملك يعني جبريل عليه السلام عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوطه (٤) بيدها وتغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف

(١) يعني رجعت أم اسماعيل تمشي [illegible] حتى [illegible] تحت [illegible] ابنها الى جنبها [illegible] شجرة من شجر مكة

(٢) يعني عطشت [illegible]

[illegible]

(٤) [illegible]

قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم ولم تغرف من الماء لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها فقال لها جبريل لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله كذا فى صحيح البخارى فاستمرت زمزم كذلك[١] الى أن مرت رفقة من جرهم[٢] يريدون الشام فرأوا طائرا يحوم على جبل أبى قبيس عائفا فقالوا ان هذا الطير ليدور على ماء وعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا رسولا فرأى الماء فأخبرهم فأقبلوا وأم اسماعيل عند الماء فقالوا لها أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى صاروا أهل أبيات وأول سكان مكة وشب اسماعيل عليه السلام وتعلم العربية[٣] منهم وزوجوه امرأة من نسائهم ثم لم تلبث أم اسماعيل أن ماتت[٤] ولها من العمر تسعون سنة ولاسماعيل عشرون سنة فدفنها فى الحجر واسمها هاجر وقيل آجر بالهمزة والمد القبطية وقيل الجرهمية وكانت للجبار الذى يسكن عين

---

(١) ثم ان هاجر استمرت مقيمة عند زمزم مع ولدها اسماعيل وابراهيم يزورها على البراق فى اليوم مرة وقيل فى الجمعة مرة وقيل فى الشهر مرة وقيل فى السنة مرة وقال الحافظ فى المواهب وذكر سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال كان الخليل ابراهيم عليه السلام يزور هاجر فى كل يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها انتهى (٢) قوله من جرهم قبيلة من اليمن يقال لهم جرهم وليست من عاد كما يقال (٣) ولسان ابراهيم كان عبرانيا (٤) وقبرها فى الحجر

البحر التي يقرب بعلبك فوهبها لسارة امرأة ابراهيم فوهبتها لابراهيم صلوات الله عليه

﴿ فائدة استطرادية ﴾

قال في منهاج التائبين اختلف العلماء في الذبيح هل هو اسماعيل أم اسحاق فقال قوم هو اسحاق عليه السلام واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم ومن التابعين وأتباعهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي ورواه عكرمة وابن جبير عن ابن عباس . وقال آخرون هو اسماعيل والى هذا ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواه عطاء بن أبي رباح وأبو الجوزاء ويوسف بن ماهك عن ابن عباس وزعمت اليهود أنه اسحاق وكذبت . واحتج القائلون بأنه اسحاق من القرآن بأن الله تعالى أخبر عن خليله عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام بامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين أنه دعا بعد ذلك فقال رب هب لي من الصالحين وكان ذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابته ودعوته وتبشيره اياه بغلام حليم ثم عن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر

بولد إلا باسحاق وأما حجة القائلين بأنه اسماعيل من القرآن فهو مارواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول ان الذى أمر الخليل عليه السلام بذبحه هو اسماعيل لأن الله تعالى قال حين فرغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ابن وابن ابن ولم يكن يأمره بذبح اسحاق وله فيه من الله الموعود فلما لم يذكر الله تعالى اسحاق إلا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد اسحاق علم أن الذبيح اسماعيل . أقول فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كنت معه بالشام فقال لى عمر وانى لأراه كما قلت ثم أرسل عمر الى رجل كان يهوديا بالشام وقد أسلم وحسن إسلامه فسأله عن ذلك وأنا عنده فقال الذبيح اسمعيل وان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدون العرب على ذلك لكون اسمعيل أباهم ويقولون انه اسحق لأنه أبوهم انتهى قول صاحب المنهاج (أقول) احتجاج القرظي رحمه الله بهذه الآيات المذكورة فى كون الذبيح اسمعيل عليه السلام لا يتم إلا بأن تكون آية الذبح متقدمة تلاوة ونزولا أما لو تقدمت تلاوة وتأخرت عن آية البشرى فى النزول احتملت أن يكون اسحاق هو الذبيح أيضا وسقط الاستدلال بها . وأما قول القرظي ولم يكن يأمره الى آخره الذى فسر به الآية الأخرى من سورة هود لا ينافى كون الذبيح اسحاق لأنه لما سبق فى علم الله سبحانه أنه لا يذبح ، ثم أمر خليله بذلك علم أن الأمر للامتحان كما هو شأن الله تعالى فى أنبيائه وأحبائه ، فلما مضى الخليل صلوات الله عليه لما أمر به

منشرح الخاطر راضيا بما قضاه الله تعالى شكر الله له ذلك وسلم ابنه له من الذبح ببركة التسليم وفدى بالذبح العظيم وصحت البشرى وتم الموعد فى هذه الآية التى لم يتقدم قبلها قصة ذبح انتهى * عدنا الى المقصود . ولم تزل زمزم كذلك الى أن دفنتها جرهم حين ظعنوا من مكة بين صنمى قريش اساف بكسر الهمزة ونائلة ، وقيل بل دفنتها السيول ، فاستمرت مدفونة الى أن نبه عبد المطلب وأمر بحفرها ، وله منقبتان عظيمتان اهلاك أصحاب الفيل كما تقدم ، وحفر بئر زمزم . ذكر ابن اسحاق وغيره أن عبد المطلب بينما هو نائم [١] اذ أتاه آت فقال له احفر طيبة فقال له وماطيبة فذهب عنه ثم جاءه مرة أخرى فقال له احفر المضنونة فقال له وما المضنونة فذهب عنه ثم جاءه مرة ثالثة فقال له [٢] احفر زمزم فقال له عبد المطلب وما زمزم ؟ قال لاتنزف أبدا ولا تزم تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل . وفى رواية احفر زمزم انك ان حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبيك الأعظم لاتنزف أبدا ولا تزم الى آخر ماتقدم، فلما بين له شأنها غدا بمعوله ومعه ابنه الحرث وليس معه يومئذ غيره لحفرها[٣] فلما بدا له أطى البئر كبر[٤] حسده بطون قريش وهموا أن يمنعوه وقالوا له أشركنا معك [٥] فقال لهم ما أنا بفاعل شىء خصصت به دونكم فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه

---

(١) أى فى الحجر (٢) يعنى حتى اذا عاد فنام فى مضجعه ذلك أتى فيه فقال الخ (٣) يعنى ثلاثة أيام (٤) أى قال الله أكبر هذا طى اسماعيل (٥) أى فان لنا فيها حقا انها بئر اسماعيل

فقالوا كاهنة بنى سعد ، فخرجوا اليها فعطشوا فى الطريق حتى أيقنوا بالهلاك ، فقال عبد المطلب والله ان القاءنا بأيدينا هكذا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا بنا ، وقام عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه وشربوا جميعا ، وقالوا قد قضى لك علينا الذى سقاك فو الله لانخاصمك فيها أبدا ، فرجعوا وخلوا بينه وبين زمزم ، وكفاه الله شرهم فنذر عند ذلك لئن رزق عشرة من الذكور يمنعونه ليتقرب الى الله بذبح أحدهم فلما تم له عشرة من الذكور أعلمهم بنذره ، فقالوا له أوف بنذرك واقض فينا أمرك فأسهم بينهم فخرج السهم على عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يذبحه فمنعته قريش وأخواله من بنى مخزوم لئلا يكون ذلك فيهم سنة ، فتحاكموا الى كاهن كان بالمدينة ، وقيل كاهنة ، فأفتاهم بأن يسهم على عبد الله وعلى عشرة من الابل ، وكانت عندهم اذ ذاك دية الرجل ففعل عبد المطلب ذلك ، فخرج السهم على عبد الله أيضا ، فقال له الكاهن زد عشرا أخرى فان ربك لم يرض فزاد فخرج السهم على عبد الله فأمره الكاهن بزيادة عشرة أخرى فزاد ، وفى كل ذلك يخرج السهم على عبد الله حتى بلغ العدد مائة من الابل فخرج السهم حينئذ على الابل ، فقال له الكاهن أعد القرعة ، فأعادها فخرج على الابل ، ثم أعادها ثلاثا ، فخرج على الابل فقال له الكاهن قد رضى ربك فانحرها فداء عن ابنك ، ففعل فاستمرت الدية فى قريش مائة من الابل من يومئذ ، ثم جاء الشرع فقررها دية لكل واحد من المسلمين ، واستمرت

زمزم [1] لايصدعنها أحد ولا ينع الى يومنا هذا كما ترى. ويروى أن عبد المطلب لما حفر زمزم وجد غزالين من ذهب يقال ان جرهما دفنتهما حين خرجوا من مكة ، ووجد أسيافا وسلاحا فأرادت قريش أن يشاركوه فيها فامتنع وضرب بالقداح ، فخرج الغزلان للكعبة والسلاح لعبد المطلب ، ولم يخرج لقريش شيء بل تخلف قدحاها فضرب الأسياف التي خرجت له مع احدى الغزالين على باب الكعبة ، وجعل الغزال الأخرى في الجب الذي في بطن الكعبة ، فكان ذلك أول حلية للكعبه أخرجه الأزرق

وأما فضل ماء زمزم وبركته ، فروى عن جابر رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة مابلغت أخرجه الواحدى في تفسيره وغيره ، وروى الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى زمزم فنزعوا له دلوا فشرب ثم مج في الدلو ثم صبه في زمزم ثم قال لو لا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم ، وفي رواية أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها ، وروى أن الذي نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب ، وروى الواقدي أنه نزعه لنفسه ، وهو ضعيف جدا ، وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ماء زمزم لما شرب له ، وقال العلامة بركة المتأخرين شيخ الاسلام السيوطي هذا

---

(١) فائدة اسم زمزم مؤنث لا ينصرف والمانع له من الصرف العلمية والتأنيث المعنوي كذا في سر الأسنى

الحديث أخرجه ابن ماجه بسند جيد وأخرجه الخطيب في التاريخ بسند صححه الدمياطي والمنذري وضعفه النووي وحسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابر وورد من حديث ابن عباس وابن عمرو مرفوعا وأخرج الديلمي ماء زمزم شفاء من كل داء ، وسنده ضعيف جدا انتهى . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم أخرجه الطبراني في معجمه بسند رجاله ثقات وصححه ابن حبان ، وعنه أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال ان التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين ، وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم ، وعنه أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له ان شربته تستشفي به شفاك الله ، وان شربته لقطع ظمئك قطعه هي هزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل ، ويروى أن في بعض كتب الله المنزلة زمزم لاتنزف ولا تذم لايعمد اليها امرؤ فيتضلع منها رياً ابتغاء بركتها الا أخرجت منه مثل ماشرب من الداء ، وأحدثت له شفاء ، وما امتلأ جوف عبد من زمزم الا ملأه الله علماً وبرا ، وعن وهب بن منبه أنه قال: والذي نفسي بيده ان زمزم لفي كتاب الله عز وجل مضنونة ، وانها لفي كتاب الله برة ، وانها لفي كتاب الله شراب الأبرار ، وانها لفي كتاب الله طعام طعم[1] ، وشفاء سقم ، وعن على ابن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال

(١) قال في التحفة أي فيها قوة غذاء الأيام الكثيرة لكن مع الصدق كما وقع لأبي ذر رضي الله عنها بل نما لحمه وزادسمنه انتهى سر الاسنى

خير واديين فى الناس وادى مكة وواد بالهند الذى هبط به آدم عليه السلام ومنه يؤتى بهذا الطيب الذى يتطيب به الناس وشر واديين فى الناس (١) واد بالأحقاف ، وواد بحضرموت يقال له برهوت (٢) وخير بئر فى الناس (٣) زمزم ، وشر بئر فى الناس برهوت ، واليها تجتمع أرواح الكفار كما سيأتى (٤) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بماء زمزم رواه أحمد وابن أبى شيبة وابن حبان ، ورواه البخارى فى صحيحه على الشك فقال فابردوها بالماء أو بماء زمزم ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال خمس من العبادة : النظر الى المصحف ، والنظر الى الكعبة ، والنظر الى الوالدين ، والنظر فى زمزم وهى تحط الخطايا ، والنظر فى وجه العالم رواه الدار قطنى .

فصل فى فضائل ماء زمزم

اعلم أن لماء زمزم فضائل كثيرة وعجائب شهيرة ، فمن ذلك مارواه ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أهل مكة لايسابقهم أحد الا

---

(١) فى الدنيا

(٢) قال الطبرى وبرهوت بفتح الباء الموحدة والراء المهملة بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها ويقال برهوت بضم الباء والراء ساكنة فيهما وذكرها الأزرق باللام والمشهور بالراء وقيل ان بئر برهوت عين من عيون جهنم وان جهنم فى الأرض تسكن عليها الحبشة انتهى

(٣) فى الدنيا

(٤) ماؤها بالنهار أسود منتن كأنه القيح

سبقوه ولايصارعهم أحد الا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم أخرجه أبو ذر ، ومنها ماأخرجه الأزرق عن عكرمة بن خالد قال بينا أنا ليلة في جوف الليل عند زمزم جالس اذا نفر يطوفون عليهم ثياب لم أر بياضها لشيء قط ، فلما فرغوا صلوا قريباً مني فالتفت بعضهم لأصحابه فقال اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار ، فقاموا ودخلوا زمزم فقلت لو دخلت على القوم فسألتهم ، فدخلت فاذا ليس فيها أحد من البشر ومنها ماأخرجه أيضاً أن أبا ذر الصحابي رضي الله عنه قال لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوماً بلياليها وما لي طعام ولا شراب الا زمزم حتى تكسرت عكن بطني ، وما أجد على كبدي سخفة الجوع يعني رقته وهزاله ، وقيل هي الخفة التي تعترى الانسان اذا جاع ، ومنها ماأخرجه أيضا عن بعض الموالي أنه قال كنت مع أهلي بالبادية فابتعت بمكة ، ثم أعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئا آكله فانطلقت الى زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن أستقي وأنا قائم فيرفعني الدلو من الجهد فجعلت أنزع قليلا قليلا حتى أخرجت الدلو ، فشربت فاذا أنا بصريف اللبن فقلت لعلي ناعس ، فضربت الماء على وجهي وانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعت ، ومعنى صريف اللبن ساعة يصرف عن الضرع ، ومنها ماأخرجه أيضاً عن بعض الرعاة من العباد أنه كان اذا حصل له ظمأ وشرب من زمزم وجد الماء لبناً ، واذا أراد أن يتوضأ وجده ماء ، ومنها ماذكره الفاسي عن الفاكهي أن رجلا شرب سويقاً وكان في السويق ابرة فنزلت في حلق الرجل واعترضت ، وصار لايقدر

يطبق فمه فأتاه آت فقال له اذهب الى ماء زمزم فاشرب منه واسأل الله الشفاء فدخل الى زمزم فشرب منه شيئاً وما أساغه الا بعد جهد ومشقة من ألم تلك الابرة ثم خرج وهو على تلك الحال ، فانتهى الى اسطوانة من أساطين المسجد واستند اليها فغلبته عيناه فنام ثم انتبه من نومه ولم يجد من ذلك الألم شيئاً ، ومنها أن الشيخ العلامة المفتي أبا بكر عمر الشهير بالشنيني بشين معجمة ونون ثم مثناة من تحت ونون وياء النسبة أحد بني العلماء المعتبرين ببلاد اليمن حصل له استسقاء عظيم واشتد به فذهب الى طبيب فلما رآه أعرض عنه وقال لبعض أصحابه هذا ما يمكث ثلاثة أيام فانكسر خاطره لذلك وألقى الله بباله أن يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء عملا بالحديث فقصد زمزم وشرب منه حتى تضلع فأحس بانقطاع شيء في جوفه فبادر حتى وصل الى رباط السدرة الذي هو الآن مدرسة السلطان قايتباي رحمه الله فأسهل اسهالا كثيرا ثم عاد الى زمزم وشرب منها ثانياً حتى امتلأ رياً ثم أسهل اسهالا بليغاً فشفاه الله من ذلك الاستسقاء فبينما هو في بعض الأيام برباط ربيع يغسل ثوبه واذا بالطبيب الذي أعرض عن ملاطفته قد رآه فقال له أنت صاحب تلك العلة ؟ قال نعم فقال له بم تداويت فقال بماء زمزم فقال الطبيب لطف بك . ومنها أن أحمد بن عبد الله المعروف بالشريف الفراش بالحرم الشريف اشتكى حصل له عمى فشرب من ماء زمزم بنية التداوى فشفي من ذلك العمى . ومنها أن رجلا آخر عمي فشرب من ماء زمزم وصب في عينيه منه بنية الشفاء فشفي في أسرع وقت ، وهذا من العجب فان الأطباء

ينهون عن إدخال الماء فى العين ويجعلونه من أسباب العمى . ومنها ما ذكر الحافظ الذهبي فى طبقات الحفاظ أن الخطيب البغدادى لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث مرات وسأل الله ثلاث حاجات : الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها ، الثانية أن يملى الحديث بجامع المنصور ، الثالثة أن يدفن عند بشر الحافى . فقضى الله له ذلك . ومنها أن الحاكم أبا عبد الله شربه لحسن التصنيف وغيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفاً . ومنها ما ذكره العلامة التاج السبكى فى طبقاته فى ترجمة محمد بن اسحق بن خزيمة أنه قيل له من أين أوتيت هذا العلم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له وانى لما شربته سألت الله علماً نافعاً ومنها ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عن نفسه فقال وأنا شربته مرة وسألت الله وأنا فى بداية طلب الحديث أن يرزقنى الله حالة الذهبى فى حفظ الحديث ثم حججت بعد مدة نحو من عشرين سنة وأنا أجد من نفسى المزيد على تلك المرتبة فسألت (١) رتبة أعلى منها فأرجو الله أن أنال ذلك ومنها ما نقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال شربت من ماء زمزم لثلاث : شربته للعلم (٢) وشربته للرمى فكنت أصيب عشرة عشرة ومن عشرة تسعة وشربته للجنة وأرجوها (٣) ومنها ما أخرجه أبو الفرج فى مثير

---

(١) أى الله (٢) وقال فيها أنا بحمد الله كما ترون

(٣) كذا فى جزء الحافظ وغيره

الغرام عن الشيخ أبي عبد الله الهروى أنه قال لبعض أصحابه دخلت المسجد فى السحر فجلست الى زمزم واذا بشيخ قد دخل الى زمزم وثوبه مسدول على وجهه فأتى البئر فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه ثم التفت فاذا الشيخ قد ذهب ثم عدت فى الليلة الثانية عند السحر فجلست الى زمزم فاذا الشيخ قد دخل الى زمزم فنزع الدلو فشرب فشربت فضلته فاذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه ثم ذهب الشيخ فعدت فى الليلة الثالثة عند السحر فجلست عند زمزم فاذا الشيخ قد أتى زمزم فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا سكر مضروب بلبن لم أذق قط أطيب منه فأخذت ملحفته فلففتها على يدى وقلت يا شيخ بحق هذه البنية عليك من أنت قال تكتم على حتى أموت قلت نعم قال أنا سفيان ابن سعيد الثورى . ومنها ما أخرجه أبو الفرج أيضاً عن الحميدى أنه قال كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث ماء زمزم لما شرب له فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال يا أبا محمد أليس الحديث الذى حدثتنا به عن زمزم صحيحا فقال سفيان نعم قال فانى قد شربت الآن دلوا من زمزم على أنك تحدثنى بمائة حديث فقال سفيان اقعد فحدثه مائة حديث فهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث ماء زمزم لما شرب له مع أنه صحيح الاسناد كما سبق ولم ينصف ابن الجوزى فى ذكره هذا الحديث فى كتاب الموضوعات لكونه اما صحيحاً أو حسناً . ومنها كما نقله القاضى جمال بن عبد الله الشافعى الظهيرى فى مؤلفه الجواهر المكنونة فى فضائل

المظنونة عن علماء الشافعية وغيرهم أن الدعاء يستجاب [1] عند زمزم وفضائل ماء زمزم كثيرة وفى هذا القدر كفاية. وأما أفضليته فنقل الجد تغمده الله برحمته عن شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني أنه قال ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر لأن به غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه انتهى . قال الجد رحمه الله وفيما استدل به وقفة فقد يقال قوله ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه مسلم ولكن بأفضل مياه الدنيا إذ ماء الكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل فى دار الفناء ولا يشكل بكون الطشت الذى غسل فيه صدره صلى الله عليه وسلم من الجنة لأن استعمال هذا ليس فيه اذهاب عين بخلاف ذاك والله أعلم انتهى . وقد سئل شيخ الاسلام جلال الدين السيوطى تعاهده الله بالرحمه عن ذلك بما صورته :

يا غرة فى جبهة الدهر افتنا ... لا زلت تفتى كل من جاء يسأل
فى زمزم أو ماء كوثر حشرنا ... من منهما ياذا المعالى أفضل
جوزيت بالاحسان عنا كلنا ... وبجنة المأوى جزاؤك أكمل

فأجاب بما صورته

---

(١) وروى الفاكهى فى روضه عن أبى عمرو التميمي قال لما حججت واردت أن أشرب من ماء زمزم فكرت لأى شىء أشربه فتحيرت ثم تذكرت أن أشرب لاجابة الدعاء فما سألت الله تعالى فى تلك المواقف شيئاً إلا عطانيه حتى دخول الجنة فأنا أرجوها وأنتظر وكان من سؤالى أنه أن لا يحوجنى الى الاستلاف من نصلة أحد فقضت لى فضة كثيرة من الزاد . وتقدم أيضاً أن أحد الابدال مقيم بزمزم يؤمن لمن شرب منها ودعا عندها

لله حمدي والصلاة على النبي ... محمد من للبرية يفضل
ما جاءنا خبر بذلك ثابت ... فالوقف عن خوض بذلك أجمل
هذا جواب ابن السيوطي راجياً ... من ربه التثبيت لما يسأل

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن لماء زمزم وبئره خواص مباركة (ومنها) أنه يبرد الحمى وقد تقدم فى الحديث (ومنها) أنه يذهب الصداع (ومنها) أن جميع المياه العذبة التى فى الأرض ترفع وتغور قبل يوم القيامة إلا زمزم قاله الضحاك [1] (ومنها) أنه يفضل مياه الأرض كلها طباً وشرعاً ذكر عن الامام بدرالدين ابن الصاحب المصرى أنه قال : وازنت ماء زمزم بماء عين مكة فوجدت زمزم أثقل من العين بنحو الربع ثم اعتبرته بميزان الطب فوجدته يفضل مياه الأرض كلها (ومنها) أنه يحلو ليلة النصف من شعبان . ويطيب ويقال يقول أهل مكة أن عين السلوان تتصل بزمزم فى تلك الليلة (ومنها) أنه يكثر فى ليلة نصف شعبان فى كل عام بحيث يفيض الماء من البئر على ما نقل لكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون وممن شاهده كذلك الشيخ الصالح أبو الحسن المعروف بكرباج وكان ذلك فى عام ست وسبعمائة (ومنها) أن الاطلاع فى بئر زمزم يجلو البصر ويحط الخطايا (ومنها) كما أخرجه الفاسى على الفاكهى أن شيخاً

---

(١) وزاد صاحب مثير شوق الأنام بقوله : ان الله يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة غير زمزم الى أن قال وتلقى الأرض ما فى بطنها من ذهب وفضة ويجىء الرجل بالجراب فيه الذهب والفضة فيقول من يقبل منى فيقال له لو أتيتنى به أمس قبلته رواه الأزرقى انتهى من الاسدى

من أهل مكة أسر فى بلاد الروم فقال له الملك من أى بلد أنت قال من مكة قال له هل تعرف بمكة هزمة جبريل قال نعم . قال فهل تعرف برة قال نعم ، قال فهل لها اسم غير هذا قال نعم هى اليوم تعرف بزمزم قال انا نجد فى كتبنا أنه لا يحثو رجل على رأسه من مائها ثلاث حثيات فتصيبه ذلة أبدا [١] (ومنها) أنه لا يجتمع هو ونار جهنم فى جوف عبد أبدا كما نقله المحب الطبرى (ومنها) أنه يقوى القلب ويسكن الروع ولهذا قال الحافظ زين الدين العراقى ان الحكمة فى غسل صدر النبى عليه السلام بماء زمزم ليقوى به على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار [٢] (ومنها) اجتماع أرواح المؤمنين فى بئرها كما نقله فى منهاج التائبين قال روى عن مجاهد بن يحيى البلخى أنه قال كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان وكان كثير الطواف بالليل ويعتكف على قراءة القرآن بالنهار وذلك منذ ستين سنة وكان الناس يودعونه ودائعهم فجاء رجل من الصالحين وكان بينه وبين الخراسانى صداقة فأودعه عشرة آلاف دينار

---

(١) قال العلامة ابن الضياء فى تفسيره فى سورة ابراهيم انه من حثا على رأسه ثلاث حثيات من زمزم لم تصبه مذلة أبدا انتهى . أقول وينبغى فعل ذلك اتباعاً لفعله عليه السلام فقد صح أنه بعد طوافه الركن أتى زمزم وشرب ثم صب دلوا على رأسه الشريف فصح فيه ما تقدم فيه وأكدته السنة الشريفة

تنبيه من الخواص أيضا ما نبه عليه الشيخ زروق المغربى المالكى فى رسالته نفع الله به أنه قال إذا خيف ضرر ماء يقول عليه يا ماء ماء زمزم يقرئك السلام فانه يأمن ضرر ذلك الماء من الأسقى (٢) (مطلب حكاية عجيبة)

ثم سافر ، فلما قدم من سفره وجد الخراسانى قد مات فسأل أهله وأولاده عن ماله ، فقالوا مالنا به علم لاندرى ماتقول فقص أمره على فقهاء مكة يومئذ ، وأخبرهم بما قال له أهله وأولاده ، فقالوا له نحن نرجو أن يكون الخراسانى من أهل الجنة ، فاذا مضى ثلث الليل أو نصفه ائت زمزم فاطلع فيها وناد يافلان بن فلان أنا صاحب الوديعة ، ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه أحد فأتى الفقهاء ، فأخبرهم بذلك فقالوا انا لله وانا اليه راجعون نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب الى اليمن فان بها بئرا اسمها برهوت يجتمع فيها أرواح المعذبين ، وهى على فم جهنم فاطلع فيها اذا مضى ثلث الليل أو نصفه ، وناد يافلان بن فلان أنا صاحب الوديعة قال فمضيت الى تلك البئر فاذا أنا بشخصين قد جاءا فنزلا فيها وهم يبكيان ، فقال أحدهما للآخر من أنت قال أنا روح رجل فاذ كنت أضمن المكوس وآكل الحرام ، فرمانى ملك الموت الى هذه البئر أعذب فيها ، وقال الآخر : أنا روح عبد الملك بن مروان كنت عاصياً ظالماً وأنا أعذب فى هذه البئر ثم سمعت لهما صراخاً ، فقامت كل شعرة فى بدنى من الفزع ، ثم تطلعت فى البئر وناديت يافلان فأجابنى من تحت العقوبة والضرب فقلت ويحك يأخى ماالذى أنزلك ههنا وبأى ذنب حللت الى منازل الأشقياء ، وقد كنت صاحب خير ، قال بسبب أخت كانت صعلوكة ، وهى بأرض العجم فاشتغلت عنها بالمجاورة بمكة والعبادة ولم كنت أفتقدها بشىء ولا أسأل عنها ، فلما مت حاسبنى الله عز وجل عنها ، وقال نسيتها تعرى ، وأنت تكتسى وتجوع وأنت شبعان مكتفى

وعزتى وجلالى انى لا أرحم قاطع الرحم اذهبوا به الى بئر برهوت فأنا معذب مع قطاع الرحم فى هذه البئر فعسالك يأخى تذهب اليها وتشرف على حالها وتطلب لى منها أن تجعلنى فى حل ، فليس لى ذنب عنـد الله سوى هذا قال فقلت له أين مالى الذى أودعته عندك ، فقال هو على حاله وانى لم أثق عليه أولادى ولا غيرهم ، فدفنته فى بيتى تحت العتبة فى الموضع الفلانى فاذهب الى أولادى وقل لهم يدخلوك دارى ، فاحفر فانك ستجد مالك ، قال فمضيت الى الموضع الذى قال لى عنه ، فحفرته فوجدت ذهبى على حاله كما ربطته ، فأخذته ومضيت الى بلاد العجم ، فسألت عن أخته ، واجتمعت بها وحدثتها حديثه فبكت وجعلته فى حل ثم شكت الى القلة والضرورة فوهبتها شيئا من الدنيا ، وانصرفت راجعا الى مكة شرفها الله تعالى ، فلما كان نصف الليل جئت الى زمزم ، وناديت يافلان فقال لبيك جزاك الله عنى خيرا .

﴿ فصل فيما لزمزم من الأسماء ﴾

نقل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى عن أشياخه من أهل مكة أن لزمزم عدة أسماء ، وهى زمزم وهزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل وبركة ، وسيدة ، ونافعة ، ومضنونة أى ضن بها لبنى اسماعيل لأنها أول ماأخرجت له عليه السلام أخرجه الأزرقى عن كعب وعونة وبشرى وصافية وبرة وعصمة وسالمة وميمونة ومباركة وكافية وعافية ومغـذية بضم الميم والغين المعجمة من الغذا وطاهرة وحرمية بالحاء المهملة لكونها

والله أعلم بالحرم ، ومروية بضم الميم وتخفيف التحتية ومؤنسة وطعام طعم وشفاء سقم ، وذكر الفاكهي عن عثمان بن ساج أن من أسماء زمزم سابق وذكر الفاسي رحمه الله أن لها أسماء أخر من ذلك طبية بالظاء المعجمة المشالة وبعدها باء موحدة ساكنة ثم مثناة من تحت مفتوحة سميت بها تشبيهاً بالظبية التي هي الخريطة . قال القاضي جمال الدين عبدالله بن ظهيرة تغمده الله برحمته لجمعها ما فيها ومن ذلك تكتم بتاءين مثناتين من فوق بينهما كاف ثم ميم في الآخر وهو فعل مضارع بفتح التاء الأولى وسكون الكاف وضم التاء الثانية ، وشباعة العيال وشراب الأبرار وقرية النمل وهزمه اسماعيل وحفيرة العباس وعزا هذا الأخير الى معجم البلدان لياقوت ، ونقرة الغراب هذا ما ذكره ، ثم قال وقد ذكرنا معاني بعض هذه الأسماء في أصل هذا الكتاب يريد بذلك أصل كتابه شفاء الغرام ولم يوجد ولا عثر عليه أحد مطلقا . وأخرج الأزرقي رحمه الله أن معنى تسميتها بنقرة الغراب هو أن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم ونبه على ذلك وقيل له عند نقرة الغراب الأعصم كما تقدم جاء الى المسجد ليتعرف موضع الحفر بما رأى من العلامات فبينما هو على ذلك إذ نحرت بقرة عند الحزورة فانفلتت من الذابح تجرى حتى غلبها الموت في موضع زمزم فجزرت في ذلك الموضع فأقبل غراب يهوى حتى وقع في الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك انتهى . ولم أدر ما قرية النمل التي بحث عنها الغراب ولا وقفت على كلام فيها . والغراب الأعصم هو الذي في جناحه ريشة بيضاء كذا في الصحاح ومن أسماء

زمزم على ما نقله السهيلى فى روضه همزة جبريل بتقديم اليم على الزاء
وقل لأن جبريل همز بعقبه فنبع الماء وزمازم حكاها عن المطرز
وفى بعض نسخ الروض ضبط زمزم بالشكل فجعل على الزاء الأولى
ضمة وعلى اليم شدة وفتحة وطيبة بالطاء المهملة بعدها ياء مثناة من
تحت مشددة ثم باء موحدة كما يقتضيه كلام السهيلى ورأيت فى النسخة
التى وقفت عليها من تاريخ الأزرقى كذلك بالطاء المهملة ويقال لماء
زمزم وزمزوم وزمزام ، وقد اختلف فى سبب تسمية زمزم بزمزم
فقيل لكثرة مائها قال ابن هشام والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع
وقيل لأنها زمت بالتراب حين نبع الماء لئلا يأخذ يمينا وشمالا ولو تركت
لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء كذا نقل عن ابن عباس . وقيل
سميت بذلك لزمزمة الماء وهى صوته قاله الحربى وقيل لأن الفرس
كانت تحج فى الزمن الأول فتزمزم عليها . قال المسعودى والزمزمة صوت
تخرجه الفرس من خياشمها عند شرب الماء . وروى أن عمر رضى الله عنه
كتب الى عماله بأن ينهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودى البيت :

زمزمت الفرس على زمزم وذاك فى سالفها الأقدم

وقيل ان زمزم غير مشتقة . والله تعالى أعلم .

—>>>ǁ<<—

﴿ فصل فى آداب الشرب من زمزم ﴾
وما ينبغى أن يقال عند ذلك

قال العلماء رحمهم الله من أراد أن يشرب من ماء زمزم فينبغى له أن يأخذ السقاء بيده اليمنى (١) ويستقبل الكعبة الشريفة ويقول اللهم انه بلغنى عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال ماء زمزم لما شرب له اللهم انى أشربه لكذا ويذكر ما يريد (٢) ثم يشرب (٣) ويتنفس (٤) ثلاثا ويسمى الله فى ابتداء كل مرة ويحمده عند فراغها لما روى أن محمد ابن عبد الرحمن بن أبى بكر قال كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما فجاءه رجل فقال له من أين جئت قال من زمزم قال فشربت كما ينبغى قال وكيف ذلك قال إذا شربت منها استقبل الكعبة واذكر اسم الله عز وجل ثم تنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله تعالى فان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم . رواه البيهقى من طرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان إذا شرب من ماء زمزم قال اللهم انى أسألك علما نافعا ورزقا واسعا

---

(١) أى ان أمكن من غير تأذ ولا ايذاء (٢) من دين أو دنيا أو هما وأهمها رضا الله تعالى ومغفرته وحسن الخاتمة قال القاضى فخر الدين بن ظهيرة فى منسكه ثم يقول فافعل ذلك تفضلا وكذا قاله شيخ الاسلام فى غرره

(٣) وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إذا أنتم رفعتم (٤) بأن يبين الاناء عن فيه فيتنفس ثم يعود

وشفاء من كل داء (١) قال العلماء ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحب من أمور الدنيا والآخرة ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة (٢) وعن سويد بن سعيد قال رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم واستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال اللهم ان ابن أبي الموالى حدثنا عن محمد ابن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له وأنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب

﴿ فائدة ﴾ أخرج الأزرقي رحمه الله أن في بئر زمزم ثلاث عيون عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفا (٣) وعين حذاء المروة ونقل الفاكهي عن العباس بن المطلب عن كعب الاحبار أن العين التي تجري من جهة الحجر الأسود هي أغزر (٤) العيون الثلاثة قال الجد رحمه الله انها من عيون الجنة والله أعلم (٥)

---

(١) قال الخطيب في المغني والكمال الدميري قال الحاكم هو صحيح الاسناد ثم قال رحمه الله: وينبغي أن يزاد على ذلك وقلبا خاشعا وذرية طيبة

(٢) لأنه يكون في شربه له بذلك إعانة على معصية

(٣) قال جعفر رضي الله عنه كانت زمزم أطيب المياه وأعذبها وألذها دفعت على المياه فانبط الله فيها عينا من الصفا فأفسدتها قاله الفاكهي في الروض الجامع وروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا شرب من زمزم يقول اللهم انى أشربه لظمأ يوم القيامة

(٤) وفي نسخة أعز (٥) وروى ابن أبي شيبة عن ابن عدي قال نعم دلوك من قبل العين التي بالبيت فانها من عيون الجنة وروى القرطبي في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن في زمزم عينا من الجنة من قبل الركن الأسود وفي منسك ابن أمير الحاج قال قال ابن شعبان العين التي تلي الركن الأسود من زمزم من عيون الجنة

﴿ فروع ﴾ الأول يجوز الوضوء من ماء زمزم والغسل به عند الحاجة اليه كما صرح به أئمتنا من غير كراهة وكذلك مذهب السادة الشافعية والمالكية والحنابلة . وفى شرح المهذب للنووى أن الجواز مذهب الجمهور الثانى فى حكم الاستنجاء به أما عندنا فلم أقف [1] على نقل فى ذلك والمنقول عن الماوردى والنووى من الشافعية أن ماء زمزم وان كان له حرمة فليست هى بحيث تمنع استعماله فى الاستنجاء والمنقول عن الرويانى الكراهة فى ذلك قال ابن درباس من الشافعية ان ماء زمزم وغيره فى ذلك سواء على المذهب ثم نقل فى شرحه على المهذب عن الصيمرى أنه قال ان غيره من الماء أولى منه فى الاستنجاء وجزم المحب الطبرى رحمه الله بتحريم إزالة النجاسة به وان حصل به التطهير . قال أكثرهم وينبغى توقى إزالة النجاسة به لا سيما مع وجود غيره وخصوصاً فى الاستنجاء فقد قيل ان بعض الناس استنجى به فحدث له الباسور. وقال ابن شعبان من المالكية لا يغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة واخرج الفاكهى ان أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبركا به وأن أسماء بنت الصديق رضى الله عنهما غسلت ابنها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بماء زمزم الثالث يجوز نقل ماء زمزم الى البلدان للتبرك به باتفاق المذاهب الأربعة بل ذلك

---

(١) قوله لم أقف الخ قال الملا رحمه الله فى المتفرقات من الأوسط ويجوز الاغتسال والتوضؤ بماء زمزم على وجه التبرك ولا يستعمل إلا على طاهر ويكره الاستنجاء ويستحب حمله الى البلاد انتهى

مستحب عند الشافعية والمالكية وكذلك يجوز عندنا اخراج اليسير من حجارة الحرم وترابه للتبرك ولم يجوزه الشافعي رحمه الله ، والفرق بين ذلك وماء زمزم عنده أن الماء إذا زال حدث غيره بخلاف حجارة الحرم والدليل على جواز اخراج ماء زمزم الى الحل أن عائشة رضى الله عنها حملت من ماء زمزم فى قوارير وقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله فى الأداوى والقرب أخرجه الترمذى فى جامعه . وعن ابن عباس أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم فبعث له براويتين أخرجه الطبرانى بسند رجاله ثقات . وروى أن كعب الأحبار حمل من ماء زمزم اثنى عشر راوية الى الشام وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصبه على المرضى ويسقيهم منه وأنه صلى الله عليه وسلم حنك به الحسن والحسين رضى الله عنهما مع تمر العجوة(١)

(١) وعن نافع مولى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال جاء كعب الأحبار بداوة من ماء الى زمزم ونحن ننزع عليها فنحيناه عنها فقال العباس دعوه يفرغها فيها فاستقل منها اداوة وقال انهما ليتعارفان بين ايليا وزمزم أخرجه الأزرقى (فائدة) ايلياء بكسر همزة أوله ومد وفى آخره همزة مفتوحة عين ببيت المقدس يقال لها عين السلوان وتقدم أن من شرب منها ومن العيون الثلاثة حرم الله جسده على النار وعن خالد بن معدان أنه قال ماء زمزم وعين سلوان التى ببيت المقدس عينان من عيون الجنة كذا فى باعث النفوس للفراوى سر الاحسن

﴿ استطراد لطيف ﴾

فى ذكر ماورد فى فضل السبطين وأنهما سيدا شباب أهل الجنة وفضل الشيخين وأنهما سيدا كهول أهل الجنة وفى معنى ذلك والمراد به

جاء فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله قال « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين الا النبيين والمرسلين . رواه الترمذى وحسنه وتوفى أبو بكر وعمر والسبطان رضى الله عنهم وهم شيوخ كلهم . معنى الحديثين أن الحسن والحسين سيدا كل من مات شابا ودخل الجنة وان أبا بكر وعمر سيدا كل من مات كهلا ودخل الجنة ، فكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين ولكن لايلزم كون السيد فى سن من يسودهم فقد يكون أكبر منهم سنا وقد يكون أصغر ، ولا يجوز أن يقال وقع الخطاب حين ماتا شابين أو كهلين فان هذا جهل ظاهر وغلط فاحش لأن النبى صلى الله عليه وسلم توفى وللحسن والحسين دون ثمانى سنين فلا يسميان شابين ولأبى بكر فوق الستين سنة ولعمر فوق خمسين فكانا حال الخطاب شيخين فان هذا الخطاب كان بالمدينة ، وانما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عشر سنين ، ولعل هذا الخطاب كان

فى آخرها وينقضى سن الكهولة ببلوغ أربعين سنة ويدخل بالأربعين سن الشيخوخة ، والله أعلم قاله النووى فى فتاويه ، وقوله فكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين يؤيده مانقله الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى البدور السافرة ، فقال أخرج الطبرانى عن المقداد بن الأسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس مابين السقط والشيخ الفانى أبناء ثلاث وثلاثين فى خلق آدم وحسن يوسف وقلب أيوب مكحلين ذوى أفانين . قال القرطبى رحمه الله يكون الآدميات فى الجنة على سن واحد ، وأما الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار ، وعلى ما اشتهت أنفس أهل الجنة ، وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال أهل الجنة جرد مرد مكحلون ليس لهم لحى الا ما كان من موسى بن عمران عليه السلام فان لحيته تضرب الى صدره وأخرج هنا ، وعن أبى الدرداء أنه كان يأخذ لحيته ويقول نزع الله اللحى متى الراحة منها قيل له متى الراحة منها قال اذا أدخلنا الجنة وأخرج أبو الشيخ فى العظمة وابن عساكر عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس أحد يدخل الجنة الا جرد مرد الا موسى بن عمران عليه السلام فان لحيته تبلغ سرته ، وليس أحد يكنى فى الجنة الا آدم فانه يكنى أبا محمد ، وأخرج عن كعب رضى الله عنه قال ليس أحد فى الجنة له لحية الا آدم عليه السلام له لحية سوداء الى سرته ، وذلك لأنه لم يكن له لحية فى الدنيا ، وانما كانت اللحى بعد آدم وليس أحد يكنى فى الجنة غير آدم يكنى فيها أبا محمد (أقول) من العلوم المقرر عند النحاة

والأصوليين أن الاستثناء من النفي اثبات ، وهو مفيد للحصر ، فاذا كان كذلك ، فبين الخبرين المذكورين الدالين على اختصاص اللحية في الجنة بآدم وموسى عليهما السلام تعارض ظاهر من غير ترجيح لأنه حيث ثبت الحصر في حق آدم انتفى عن موسى أو في حق موسى انتفى عن آدم ، واذا تعارض الخبران ولم يكن مرجح تساقطا غير أنه يمكن الجمع بما ذكره من الصنف من كون لحية آدم سوداء فيجوز أن يكون لموسى لحية غير سوداء بأن تكون بيضاء أو شمطاء أو غير ذلك لأن أحوال الآخرة لاتكيف ولا تقاس على أحوال الدنيا ثم ماذكره من العلة في حق آدم عليه السلام من كونه لم يكن له لحية في الدنيا لما أن اللحى لم تظهر الا بعده لايصدق ذلك على موسى عليه السلام ، اذ في زمنه كانت اللحى قد ظهرت ، ويشهد لذلك قوله تعالى : حكاية عن أخيه هارون معه « قال يابن أم لاتأخذ بلحيتي » فهذا صريح في وجود اللحى زمن موسى فيحتمل أن يكون ذلك كرامة لسيدنا موسى اختصه الله بها أو غير ذلك مما الله أعلم به ، فتأمل والله الموفق (الرابع) ان قيل الحرمة الثابتة لماء زمزم هل هي لعينه أم لأجل البقعة ؟ فالجواب أنها لعينه ولا يلزم أنه لو حفرت بئر أخرى في المسجد أن يثبت لها من الفضل ما ثبت لزمزم ولا قائل به كذا في منسك الجد رحمه الله (الخامس) يستحب شدنا لكل من طاف طوافا بعده سعي أن يأتي زمزم بعد فراغه من ركعتي طوافه ويشرب منها ثم يعود الى الحجر ويقبله ويخرج الى الصفا وكذلك يستحب للحاج اذا فرغ من طواف الصدر وهو طواف الوداع أن يأتي

الى زمزم فيشرب منها ، ويستعمل آداب الشرب المتقدمة ويصب منه على وجهه ويغتسل منه ان أمكن .

ولنختم هذا الباب بذكر أبيات الشيخ العلامة بدر الدين أحمد بن محمد المصرى فى مدح ماء زمزم وهى :

شفيت يازمزم داء السقيم ... فأنت أصفى من تعاطى النديم
وكم رضيع لك أشواقه ... اليك بعد الشيب مثل الفطيم

وله أيضا :

ياماء زمزم الطيبة الخبر ... يامن علت غورا على المشترى
رضيع أخلاقك لا يشتهى ... فطامه الا لدى الكوثر

وله أيضا :

بالله قولوا لنيل مصر ... بأننى عنه فى غناء
بزمزم العذب عند بيت ... مخلق الستر بالوفاء

وله أيضا :

لزمزم نفع فى المزاج وقوة ... تزيد على ماء الشباب الذى فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ... ولو أن ماء النيل يجرى على المسك

وليكن لمسك ختام الباب ، والى المرجع والمآب



الباب العاشر

﴿ فى ذكر أمراء مكة ﴾

من لدن عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى تاريخ وقتنا هذا
وهو عام تسعة وأربعين وتسعمائة (١)

وهذا المؤلف وان كنت وضعته لبيان فضل مكة فقد يذكر الشىء بالشىء تكثيرا للفائدة وهـذا الفرع لم يتصد لجمعه أحد كما ينبغى سوى العلامة تقى الدين الفاسى رحمه الله . فأحببت أن أذكرماذكره وأزيد من حدث بعده من أمراء مكة الى يومنا هذا ليصير هذا المؤلف جامعا مغنيا عن مطالعة غيره من المطولات مع توسط العبارة وعـدم الاخلال بأحد ممن عده الفاسى مع زيادة الايضاح ، والله ولى التوفيق والمعونة .

فأول أمير ولى مكة عتاب بن أسيد بفتح الهمزة ابن أبى العيص ابن أميـة بن عبـد شمس بن عبـد مناف بن قصى بن كلاب القرشى الأموى ولاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مخرجه الىغزورة حنين فى العشر الأول من شوال سنة ثمـان من الهجرة وهو ابن احدى وعشرين سنة . قاله ابن اسحاق وغيره ممن لايحصى ، وهو فى عامة كتب

---

(١) تاريخ التأليف سنة ٩٤٩

الحديث بل وغيرها وذكر ابن عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى حنين استخلف معاذ بن جبل الأنصارى على أهل مكة وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين ، وذكر ابن عبد البر عن الطبرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار الى الطائف استخلف على مكة هبيرة بن سهل الثقفى ، وهو أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح ، وقد جمع الفاسى رحمه الله بين هذه الأخبار بأن عتاب جعل أميرا على مكة ومعاذا اماما وفقيها ، واشترك هبيرة مع معاذ فى الامامة ولا يعارض ذلك ماقيل فى ترجمة هبيرة من أنه أول من صلى بمكة جماعة كما تقدم لامكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر فى الناس ومعاذ غائب فبادر هبيرة فصلى بالناس لتحصيل فضيلة أول الوقت ثم حضر معاذ وصلى بمن لم يكن يدرك الصلاة خلف هبيرة ، وهذا أولى من جعل الأخبار متعارضة فى ولاية عتاب هذا معنى كلام الفاسى ، وقد أجاد لأن ولاية عتاب لم تبلغ حد التواتر ، ولم يزل عتاب أميرا على مكة الى أن مات . وكانت وفاته يوم مات أبو بكر رضى الله عنه ، وقيل بل يوم جاء نعى الصديق الى مكة ، ونقل ابن عبد البر مايقتضى أن الصديق عزل عتاب ، وولى الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القريشى الهاشمى ، وهو ضعيف والمشهور دوام ولاية عتاب على مكة الى أن مات فى التاريخ المتقدم آنفاً ثم ولى مكة فى خلافة الصديق نيابة عن عتاب لسفر طرأ له المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف القريشى .

﴿ ذكر من ولى مكة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

وليها له جماعة أولهم المحرز بن حارثة المذكور وذلك فى أول خلافته ثم وليها قنقذ بن عمير بن جدعان التيمى بعد عزل المحرز ثم وليها نافع بن عبد الحارث الخزاعى بعد عزل قنفذ ووليها بعد عزل نافع خالد بن العاص ابن هشام بن المغيرة المخزومى وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف ، وعبد الرحمن بن ابزى مولى خزاعة نيابة عن مولاه نافع بن عبد الحارث لما خرج لملاقاة عمر رضى الله عنه بعسفان وأنكر عمر ذلك على نافع كما قد علمته فيما سبق فى الباب الثامن والحارث بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، ونقل الذهبى أن الحارث هذا ولى مكة لأبى بكر وهو ضعيف .

﴿ ذكر من ولى مكة فى خلافة عثمان رضى الله عنه ﴾

وليها جماعــة أولهم على بن عدى بن ربيعة بن عبــد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى ولاه عليها أول خلافته ثم خالد بن العاص ابن هشام بن المغيرة المخزومى المتقدم ، وكذلك ولى عثمان الحارث بن نوفل السابق آنفاً ، وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشى ابن أخى عتاب بن أسيد وعبد الله بن عامر الحضرمى وذكر ابن الأثير أنه كان على مكة فى سنة خمس وثلاثين وفيها قتل عثمان ثم نافع ابن عبد الحارث الخزاعى السابق ذكره

﴿ ذكر من ولى مكة فى خلافة أمير المؤمنين ﴾
على بن أبى طالب كرم وجه

وليها جماعة أولهم أبو قتادة الأنصارى فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه الحارث بن ربعى وقيل النعمان بن ربعى ، وقيل غير ذلك ثم قثم بضم القاف وفتح المثلثة ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد عزل أبى قتادة الأنصارى ، ولم يزل واليا عليها الى أن قتل على رضى الله عنه على الأشهر ثم أخوه معبد ابن العباس بن عبد المطلب على ماقيل وقيل ان المحرز بن حارثة ولى مكة لعلى قال الفاسى . وهو تصحيف .

ذكر ولاة مكة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان

وهم جماعة لانعرف أولهم منهم أخوه عتبة بن أبى سفيان . وخالد بن العاص بن هشام المخزومى المتقدم ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى أبو عبد الملك ، وسعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى يكنى أبا عثمان ، وقيل أبا عبد الرحمن أحد أشراف مكة وأجوادها وفصحائها ، وعمرو بن سعيد بن العاص القرشى الأشدق ، وكذا سعيد المتقدم وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص القرشى ابن أخى عتاب السابق ، وكانت ولايته سنة أربع وأربعين وفيها حج معاوية حجته الأولى .

﴿ ذكر ولاة مكة في خلافة يزيد بن معاوية ﴾

وهم جماعة: عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق السابق في ولاية معاوية والوليد بن عتبة بن ابي سفيان بن حرب القريشي ابن عم يزيد ، وعثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب القريشي ابن عم يزيد أيضا الأمويون والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي المتقدم ذكر والده خالد وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القريشي ابن أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويحيي بن حكيم بن عمرو بن صفوان بن امية بن خلف الجمحي وفي ترتيب ولايتهم اختلاف الا عمرو سعيد فانه أولهم ثم الوليد بعده

﴿ خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ﴾

ثم ولي مكة عبد الله بن الزبير بعد أن لقي في ذلك بلاء شديدا من الحصين بن نمير المتقدم على عسكر يزيد وكان وصول الحصين الى مكة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه أهل الحجاز لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين ونقاتل هو وابن الزبير مدة ثم خرج لما نعى ابن الزبير وصول نعى يزيد في ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين فولى الحصين راجعاً الى الشام وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالحرمين ثم بويع بها في العراق واليمن وغيرهم من البلاد وساد أمره ودامت ولايته على مكة الى أن حاربه الحجاج وقتله وكان من أمره ماليس هذا محل ذكره

ذكر ولاة مكة فى خلافة عبد الملك بن مروان

وليها له جماعة وهم ابنه مسلمة والحجاج بن يوسف والحارث بن خالد المخزومى السابق ذكره وخالد بن عبد الله القسرى وعبد الله ابن سفيان المخزومى وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص الأموى ونافع بن علقمة الكنانى ويحيى بن الحكم بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى وأولهم فى الولاية الحجاج والباقون لا يعرف ترتيبهم وممن ولى لعبد الملك كما قيل هاشم بن اسمعيل المخزومى وأبان بن عثمان بن عفان * وأما ولاة مكة فى خلافة الوليد بن عبد الملك فاثنان الامام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم القرشى الاموى رضى الله عنه وولاه المدينة الشريفة أيضا ثم خالد بن عبد الله القسرى * وأما ولاتها فى خلافة سليمان بن عبد الملك فثلاثة أنفار خالد بن عبد الله القسرى ثم طلحة بن داود الحضرمى ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص الأموى * وأما ولاتها فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فخمسة رجال عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور ومحمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعروة بن عياض بن عدى بن الحبان بن نوفل بن عبد مناف بن قصى القرشى النوفلى كذا ترجمه الذهبى وغيره وعبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب القرشى وعثمان بن عبيد الله بن عبد الله ابن سراقة العدوى وذكر ابن جرير أن عبد العزيز بن خالد هو الذى كان والياً على مكة مدة خلافة عمر جميعها وجمع الفاسى رحمه الله

فقال ولعل المذكورين من الولاة غير عبد العزيز بن خالد ولوا لعمر فى زمن ولايته لمكة عن الوليد بن عبد الملك فى المدة التى كان فيها بالمدينة فانها كانت فى ولايته أيضاً * وأما ولاتها فى خلافة يزيد بن عبد الملك فجماعة أولهم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القرشى الفهرى مع ولايته للمدينة أيضاً وولايته لمكة فى سنة ثلاث ومائة وللمدينة فى سنة احدى ومائة ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى بالنون من بنى نصر بن معاوية بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك فى سنة أربع ومائة مع المدينة أيضا *

وأما ولاتها فى خلافة هشام بن عبد الملك فجماعة أيضاً أولهم عبد الواحد المذكور ، ومدة ولايته لذلك فى خلافة يزيد وهشام سنة وثمانية أشهر على ماذكره ابن الأثير ثم بعده ابراهيم بن هشام ابن اسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك فى سنة ست ومائة ، وولى مع ذلك المدينة أيضاً ودامت ولايته على مكة الى سنة ثلاث عشرة ، وقيل أربع عشرة ومائة ثم بعد ابراهيم المذكور أخوه محمد بن هشام بن اسماعيل ، ودامت ولايته على ماقيل الى سنة خمس وعشرين ومائة ، وذكر الفاكهى أن ممن ولى لهشام مكة نافع بن علقمة الكنانى السابق ذكره فى خلافة أبيه عبد الملك ، وممن وليها على الشك فى خلافته عبد الملك بن مروان أو فى خلافة أحد أولاده الأربعة أو خلافة عمر بن عبد العزيز أبو جراب محمد ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر الأموى ذكره الفاكهى وذكر مايقتضى أنه كان على مكة زمن عطاء بن أبى رباح * وأما ولاتها

فى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فيوسف بن محمد بن يوسف الثقفى مع المدينة والطائف فى سنة خمس وعشرين ومائة ، وذلك بعد عزم محمد بن هشام خال الوليد المذكور ، ودامت ولايته الى انقضاء دولة الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائه * وأما ولاتها فى خلافة يزيد ابن يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان على ماقيل * وأما ولاتها فى خلافة مروان بن محمد بن مروان الأموى المعروف بالحمار خاتمة خلفاء بنى أمية ، فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان المذكور آنفا ، ودامت ولايته الى أن حج بالناس فى سنة ثمان وعشرين ومائة ثم بعده عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وولى مع ذلك المدينة ، واستمر متوليا الى أن حج بالناس فى سنة تسع وعشرين ومائة ، ثم ولى مكة بعده بالتغلب أبو حمزة الخارجى الاباضى واسمه المختار بن عوف ، وسببه أن عبد الله بن يحي الأعور الكندى المسمى طالب الحق بعد أن ملك حضرموت وصنعاء وتغلب عليهما طرد عامل مروان القاسم بن عمر الثقفى عنهما ، وبعث أبا حمزة المذكور الى مكة فى عشرة آلاف من العسكر ، فهرب عبد الواحد المذكور يوم النفر الأول من منى ، وقصد المدينة وجهز جيشا من المدينة الى أبى حمزة فخرج أبو حمزة قاصدا المدينة ، فلقيه جيش عبد الواحد بقديد . فكان الظفر لأبى حمزة ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة ، وبلغ خبره مروان فجهز اليه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فى أربعة آلاف فارس فالتقى هو وأبو حمزة بمكة بالأبطح ، فقتل أبو حمزة ، وكان عسكره خمسة عشر ألفا

وظفر عبد الملك . وذكر ابن الأثير مايقتضى أن عبد الملك سار الى اليمن لقتال طالب الحق المتقدم ذكره ، وانه ظفر بطالب الحق وقتله وأرسل برأسه الى مروان ، وممن ولى مكة لمروان الوليد بن عروة السعدى ابن أخى عبد الملك المذكور ، وانه كان عليها فى سنة احدى وثلاثين ومائة ، ويقال ان محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكة والمدينة فى سنة ثلاثين ومائة ، وانه حج بالناس فيها ، والله أعلم .

﴿ ذكر ولاة مكة فى أيام بنى العباس ﴾ أما ولاتها فى خلافة أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أول خلفاء بنى العباس وتلقب بالسفاح فداود بن على بن عبد الله بن العباس عم السفاح وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة ثم بعده زياد بن عبد الله الحارثى خال السفاح مع المدينة واليمامة أيضا ودامت ولايته الى سنة ست وثلاثين ومائة على مايقتضيه كلام ابن الأثير ، ثم ولى بعد زياد العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى فى سنة ست وثلاثين ومائة ، واستمر عليها الى موت السفاح قاله ابن الأثير ، وممن ولى مكة للسفاح على ماذكر ابن حزم فى الجمهرة عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، وهذا يخالف ماتقدم عن ابن الأثير من كون العباس كان مستمرا على ولاية مكة الى موت السفاح ، والله أعلم بحقائق الأمور * وأما ولاتها فى خلافة المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس أخى السفاح فجماعة أولهم العباس بن عبد الله بن معبد

المذكور آنفا ، وذلك سنة سبع بتقديم السين وثلاثين ومائة ثم مات بعد انقضاء الموسم. ثم ولى بعده زياد بن عبيد الله الحارثى المتقدم ودامت ولايته الى سنة احدى وأربعين ومائة ، وهو الذى تولى عمارة مازاد المنصور فى المسجد الحرام ، ثم ولى بعد عزل زياد الهيثم بن معاوية العتكى الخراسانى فى سنة احدى وأربعين ومائة ، واستمر الى سنة ثلاث وأربعين ، ثم ولى بعد عزله السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب واستمر الى سنة خمس وأربعين ، ثم ولى بعده بالتغلب محمد بن الحسن ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب القريشى الهاشمى الجعفرى من قبل ـ بكسر القاف وفتح الموحدة ـ محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب الملقب بالنفس الزكية لأنه لما تغلب على المدينة النبوية ، وخرج على المنصور فى سنة خمس وأربعين أمر على مكة محمد بن الحسن بن معاوية المذكور ، فسار الى مكة فخرج اليه السرى بن عبد الله أمير مكة من قبل المنصور ، فتحاربا فانهزم السرى ودخل محمد مكة ، ثم أنفذ المنصور جيشا لمحاربة محمد بن عبد الله ، فقتل كذا نقله ابن الأثير ، وذكر الزبير بن بكار مايقتضى أن الذى ولاه محمد بن عبد الله على مكة حسن بن معاوية والد محمد المذكور ، والله أعلم بالصواب ، ثم عاد السرى على ولاية مكة من قبل المنصور ، واستمر الى سنة ست وأربعين ومائة ، ثم ولى بعده عبد الصمد بن على بن عبدالله ابن العباس العباسى عم المنصور والسفاح ، واستمر الى سنة تسع وأربعين بتقديم المثناة الفوقية ، وقيل الى سنة خمسين ، وقيل انه كان على مكة

فى سنة سبع وخمسين بتقديم السين ثم ولى بعد عبد الصمد محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى ومكث الى سنة ثمان وخمسين * وأما ولاتها فى خلافة المهدى أمير المؤمنين محمد ابن المنصور العباسى لجماعة أولهم ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بوصية من المنصور ثم جعفر بن سليمان بن على ابن عبد الله بن عباس وكان على ذلك فى سنة احدى وستين وثلاث وستين ، ثم عبيد الله بن قثم بضم القاف وفتح المثلثة ابن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان متوليا لذلك فى سنة ست وستين . وممن ولى للمهدى أيضا محمد بن ابراهيم الامام العباسى المتقدم ذكره الفاكهى . وممن ولى مكة على الشك فى خلافة المهدى وابنه الهادى قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب والد عبيد الله المتقدم والله أعلم بذلك * وأما ولاتها فى خلافة الهادى موسى ابن المهدى العباسى فعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم وذلك فى سنة تسع وستين بتقديم المثناة . ثم وليها بالتغلب فى أيام الهادى الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى لأنه خرج عن طاعة الهادى وفتك بمن فى المدينة من جماعة الهادى ونهب بيت المال الذى بالمدينة وبويع على كتاب الله وسنة نبيه وخرج بجماعته الى مكة لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين وبلغ الهادى خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وأمره بمحاربة الحسين المذكور ، وكان محمد بن سليمان قد توجه فى هذه السنة المذكورة

للحج في جماعة من أهل بيته وخيل وسلاح فلما دخل من عمرته عسكر بذي طوى وانضم اليه من حج من جماعتهم وقوادهم والتقوا مع الحسين وأصحابه وكان القتال في يوم التروية فقتل الحسين في أزيد من مائة من أصحابه بفيح ظاهر مكة عند الزاهر ودفن هنالك . قال الفاسي وقبره معروف الى وقتنا هذا في قبة على يمين الداخل إلى مكة ويسار الخارج منها إلى جهة وادي مر وحمل رأسه الى الهادي فلم يحمد ذلك . وكان الحسين هذا شجاعا كريما يحكى أنه قدم على المهدي فاعطاه أربعين ألف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة وخرج لايملك ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص رحمه الله وغفر له . وممن ولي مكة في خلافة الهادي وأخيه الرشيد محمد بن عبد الرحمن السفياني كان على امارتها وقضائها واستمر الى أن صرفه المأمون إلى قضاء بغداد * وأما ولاتها في خلافة هارون الرشيد بن المهدي فجماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية وهم أحمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس وحماد البربري وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأخوه علي بن موسى بن عيسى والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام وعبد الله ابن محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي وعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم فيما سبق وعبيد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام والفضل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد بن ابراهيم الامام ومحمد بن عبد الله

ابن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان العفانى وموسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن على والد العباس وعلى المتقدم ذكرهما * وأما ولاتها فى خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسى فداود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين بتقديم المثناة على السين واستمر الى انقضاء خلافة الأمين فى سنة ست وتسعين وهو الذى تولى خلع الأمين بمكة فيها * وأما ولاتها فى خلافة المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هرون الرشيد فداود المذكور أيضاً ولاه المأمون بعد خلع الأمين واستمر الى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة بتقديم المثناة الفوقية ثم فارق مكة متخوفاً من الحسين بن الحسن ابن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بالافطس وسببه أن أبا السرايا السرى بن منصور الشيبانى داعية ابن طباطبا لما تغلب واستولى على العراق ولى مكة الحسين بن الحسن الأفطس فسار الى أن وصل الى وادى سرف المعروف فى وقتنا هذا بالنوارية بتشديد النون على مرحلة لطيفة من مكة الى جهة مرالظهران فتوقف عن الدخول خشية من أميرها داود فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف وسعى ثم مضى الى عرفة فوقف بها ليلا ثم دفع الى مزدلفة فصلى بالناس الصبح ثم دفع الى منى فلما انقضى الحج عاد الى مكة فلما كان مستهل المحرم سنة مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التى كانت عليها من قبل العباسيين ثم كساها كسوتين أنفذهما معه أبو السرايا المذكور من قز رقيق احداهما صفراء والأخرى بيضاء ثم عمد الأفطس الى خزانة

الكعبة وأخذ ما فيها من الأموال فقسمها مع كسوة الكعبة على أصحابه وهرب الناس من مكة لأنه كان يأخذ أموال الناس ويزعم أنها ودائع بنى العباس عندهم ولم يزل كذلك على ظلمه الى أن بلغه قتل مرسله أبى السرايا فى سنة مائتين، فلما علم بذلك ورأى الناس قد تغيروا عليه لما فعله معهم من القبيح واستباحة الأموال جاء هو وأصحابه الى محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى الملقب بالديباجة لجمال وجهه وسألوه فى المبايعة بالخلافة فكره محمد ذلك فاستعان الأفطس عليه بولده على ولم يزالوا به حتى بايعه بالخلافة وذلك فى ربيع الأول سنة مائتين وجمعوا الناس على بيعة محمد ابن جعفر طوعا وكرها ولقبوه بأمير المؤمنين وبقى شهورا وليس له من الأمر شىء وانما ذلك لابنه على وللأفطس وهما على أقبح سيرة مع الناس فلم يكن الامدة يسيرة إذ جاء عسكر المأمون فيهم الجلودى وورقاء ابن جميل وقد انضم الى محمد بن جعفر غوغاء أهل مكة وسواد البادية فالتقى الفريقان فانهزم محمد وأصحابه وطلب الديباجة من الجلودى الأمان فأجلوه ثلاثا ثم خرج من مكة ودخل الجلودى بعسكره الى مكة فى جمادى الآخرة سنة مائتين وتوجه الديباجة الى جهة بلاد جهينة فجمع منها جيشا وقاتل والى المدينة هارون بن المسيب فانهزم الديباجة بعد أن فقئت عينه بنشابة وقتل من عسكره خلق كثير ثم عاد الى مكة وطلب الامان من الجلودى فأمنه فدخل مكة فى أواخر الحجة سنة مائتين وصعد المنبر معتذرا بأنه انما وافق على المبايعة لأنه بلغه موت المأمون ثم

قدم على المأمون واعتذر واستغفر فقبل عذره وأكرمه وعفا عنه فلم يمكث إلا قليلا ثم مات فجأة بجرجان فصلى عليه المأمون ونزل في لحده وقال هذه رحم قطعت من سنين وكان موته في شعبان سنة ثلاث ومائتين وسبب موته على ما قيل أنه جامع وافتصد ودخل الحمام في يوم واحد ثم وليها بعد هزيمة الديباجة في خلافة المأمون عيسى بن يزيد الجلودى ووليها له نيابة ابنه محمد ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى ثم وليها بعد عزل الجلودى هارون بن المسيب ووليها للمأمون أيضاً حمدون بن على ابن عيسى بن ماهان وابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب وحج بالناس سنة اثنتين ومائتين كذا قاله الفاسى عن العتيق وذكر الأزرقى أن حنظلة كان واليا على مكة فى سنة اثنتين ومائتين خليفة لحمدون بن على وجمع الفاسى بين ذلك بأنه يمكن أن يكون حمدون كان واليا فى أول سنة اثنتين ومائتين واستناب حنظلة المذكور وابراهيم كان واليا فى آخر هذه السنة وعبيد الله بن الحسين ابن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب مع المدينة وذلك فى سنة أربع ومائتين واستمر الى سنة ست وقيل الى سنة تسع بتقديم المثناة الفوقية وصالح بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وذلك فى سنة عشر ومائتين واستمر الى أن حج بالناس سنة اثنى عشر ومائتين ثم وليها بعده على الأشهر سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس مع المدينة وولى أيضاً للمأمون محمد بن سليمان المتقدم ذكر والده وذلك فى سنة ست عشرة ومائتين كما يقتضيه كلام الفاسى وعبيد الله

ابن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وممن ولى مكة للمأمون من غير مباشرة الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل لأن المأمون بعد قتل أخيه الأمين استعمل الحسن هذا على كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من العراق والاهواز وفارس والحجاز واليمن وذلك فى سنة ثمان وتسعين ومائة

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المعتصم ﴾ فمحمد بن هارون الرشيد فصالح ابن العباس المتقدم ذكره آنفا وكان فى سنة تسع عشر بتقديم المثناة ومائتين ثم وليها محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس الملقب بترنجه وذلك فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ويقال ان ولايته دامت الى أثناء خلافة المتوكل وولى للمعتصم أيضاً اشناس التركى وهو من كبار قواده وذلك أنه لما أراد الحج فى سنة ست وعشرين ومائتين فوض اليه المعتصم الولاية على كل بلد يدخلها فلما دخل مكة جعل محمد بن داود المتقدم نائبا عنه على الحج بالناس ودعا لاشناس على منابر الحرمين وغيرهما من البلاد التى دخلها

﴿ وأما ولاتها فى خلافة الواثق هارون ابن المعتصم ﴾ فعلى بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين واستمر الى أن توفى سنة تسع وثلاثين ثم ولى بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى المتقدم ذكر والده فى خلافة المعتصم واستمر الى سنة احدى وقيل اثنتين وأربعين ومائتين ثم ولى بعده عبد الصمد ابن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس

سنة اثنتين وأربعين ، ثم ولى بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام المعروف بالزينبي وممن عقد له على مكة ولم يباشر فى خلافة المتوكل ابنه المنتصر محمد الذى ولى الخلافة بعد أبيه المتوكل ، وممن ولى على ماقيل فى خلافة المتوكل إيتاخ بهمزة وبعدها مثناة تحتية ثم مثناة فوقية فألف فجيم الخوزى بضم الخاء المعجمة وكسر الزاء المعجمة مولى المعتصم ، وكان من كبار قواد المتوكل ، والله أعلم بذلك .

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المنتصر محمد بن المتوكل ﴾ فمحمد بن سليمان الزينبي المتقدم آنفاً

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المستعين أبى العباس أحمد بن المعتصم العباسى ﴾ فعبد الصمد بن موسى الامام المتقدم ذكره ، وذلك فى سنه تسع وأربعين بتقديم المثناة ثم بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المعروف بشاشات ، وكانت ولايته فى سنة خمسين ومائتين ، واستمر الى سنة احدى وخمسين ، ثم وليها بعد شاشات بالتغلب اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب لأنه لما تغلب على مكة هرب منه عاملها جعفر شاشات ، وقتل الجند الذى بمكة وجماعة من أهل مكة ونهب منزل شاشات وغيره ، وأخذ من الناس نحو مائتى ألف دينار ، وعمد الى الكعبة الشريفة فأخذ كسوتها ، وأخذ مافى خزائنها من الأموال وما كان حمل من المال لاصلاح العين ونهب مكة وأحرق بعضها ثم خرج منها فى شهر ربيع الأول بعد اقامته فيها خمسين يوما ، وقصد المدينة الشريفة

فتوارى عنه عاملها ، فرجع الى مكة فى رجب ، فحصر أهلها حتى ماتوا جوعا وعطشاً وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ، ولقى أهل مكة منه بلاء شديدا ثم سار الى جدة فحبس عن الناس الطعام ، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب ، ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها ، وقتل من الحجاج نحو ألف ومائة ، ونهب الناس فهرب الحجاج ولم يقف بعرفة أحد لا ليلا ولا نهارا سوى اسماعيل وعسكره ، ثم بعد انفصاله من عرفة رجع الى جدة ثانيا ، وأفنى أموالها ، وفعل أمورا قبيحة . ليس هذا محل ذكرها هذا كله فى خلافة المستعين ، وممن عقد له على مكة ولم يباشر فى خلافة المستعين اثنان : ابنه العباس ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المعتز واسمه محمد ، وقيل طلحة ، وقيل الزبير ابن المتوكل العباسى ﴾ فعيسى بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى ، وذكر الفاكهى مايقتضى أنه ولى مكة مرتين ، وممن ولاتها فى خلافة المعتز أو خلافة المهتدى ، أو خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل على الشك محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور العباسى الملقب كعب البقر وولايته لاتخرج عن أحد هؤلاء الثلاثه .

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المهتدى ، واسمه محمد بن الواثق العباسى ﴾ فعلى بن الحسن الهاشمى ذكره الفاكهى ، ولم يزد على اسمه واسم أبيه وذكر أن ولايته فى سنة ست وخمسين ومائتين ، وأنه أول من فرق بين الرجال والنساء فى جلوسهم فى المسجد الحرام أمر بحبال تربط بين

الأساطين التى تقعد عندها النساء تفصل بينهن وبين الرجال .

﴿ وأما ولايتها فى خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى ﴾ فجماعة أخوه أبو أحمد الموفق ، واسمه طلحة ، وقيل محمد بن المتوكل ، وذلك فى سنة سبع وخمسين بتقديم السين على الموحدة ومائتين على ماافتضاه كلام ابن الأثير وابراهيم بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على ابن عبد الله بن عباس العباسى الملقب بزيه بباء موحدة ثم زاء معجمة ثم مثناة تحتية ثم هاء الوقف ، وكانت ولايته فى حدود تسع وخمسين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين الى احدى وستين ومائتين ، وأبو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومى ولد عيسى بن محمد المتقدم ذكره فى خلافة المعتز آنفا ، وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائتين كما تقتضيه عبارة الفاسى والفاكهى ، وذكر ابن الأثير مايدل أنه وليها نائباً لصاحب الزنج فى سنة خمس وستين ، واستمر الى سنة ثمان وستين ومائتين ، وهارون بن محمد بن اسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى ، وكانت ولايته فى سنة تسع وستين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين . كما دل عليه كلام ابن جرير وابن الأثير ، وأحمد ابن طولون صاحب مصر ، أقول كذا عده الفاسى مع أنه لم يباشر ذلك ولولا ماقدمته أول هذا الباب بأنى لم أخل بأحد ممن عده الفاسى لما ذكرته ، ولعل سبب ذكر الفاسى لأحمد المذكور ـ والله أعلم ـ مانقله عن ابن جرير ان فى عام تسع وستين ومائتين أرسل ابن طولون هذا قائدين من مصر فى أربعمائة وتسعين فارسا بتقديم المثناة الفوقية على السين وألفى

راجل فوافوا مكة لليلتين بقيتا من ذى القعدة وأعطوا الجزارين والحناطين بمكة دينارين لكل رجل ولغيرهم سبعة دنانير ، وكان هارون بن محمد المتقدم آنفاً يومئذ أميرا على مكة ، ومعه مائة وعشرون فارسا ومائتا عبد من السودان فوافاه جعفر بن الباعمرون لثلاث خلون من ذى الحجة فى نحو مائتى فارس فقوى بهم هارون فالتقوا هم وأصحاب ابن طولون فانهزم عسكر ابن طولون ، وقتل منهم بمكة نحو مائتى رجل ، وأخذت دوابهم وأموالهم ، وأمن جعفر الباعمرون المصريين والحناطين والجزارين وسلم الناس ، وأموال التجار ، ولعن أحمد بن طولون فى المسجد الحرام وبهذا لايثبت لابن طولون ولاية على مكة ، وكان عدم ذكره أولى ، والله أعلم انتهى . ومحمد بن أبى الساج وأخوه يوسف بن أبى الساج ، فأما محمد فنى كلام ابن جرير مايدل على أنه لم يباشر ، وانما عقد له على الحرمين وأما ولاية أخيه يوسف فذكر ابن الاثير أنها فى سنة احدى وسبعين بتقديم السين على الموحدة ومائتين ، والفضل بن العباس بن الحسين ابن اسماعيل بن محمد بن العباس ، وكان متوليا على مكة فى سنة ثلاث وستين ومائتين كذا نقله الفاكهى (أقول) وفيه نظر لأنه قد تقدم أن أبا المغيرة بن عيسى كان واليا على مكة فى هذه السنة ، ويمكن الجمع بأن الفضل لعله كان واليا فى أول السنة ثم ولى بعده أبو المغيرة فى أثنائها أو آخرها والله أعلم بذلك ولم ينبه الفاسى على ذلك ، وأبو عيسى محمد بن يحيى ابن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى ذكر ولايته عن المعتمد ابن حزم

ولم يذكر لها تاريخا لكنه نقل أن أبا عيسى عزل بأبى المغيرة المخزومى المتقدم فيحتمل أن تكون ولايته تقريباً من ثلاث وستين الى ثمان وستين ومائتين لأن أبا المغيرة كان واليا فى هذه الحدود على اختلاف الأقوال المتقدمة فى تاريخ ولايته انتهى . ونقل الفاكهى ما يقتضى أن أبا عيسى هذا ولى مكة نيابة عن الفضل بن العباس المذكور آنفا وجمع الفاسى بين ما ذكره ابن حزم والفاكهى فقال : ولامانع لأنه يجوز أن يكون أبو عيسى ولى مكة عن الفضل نيابة وعن المعتمد استقلالا انتهى

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المعتضد أبى العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق بن المتوكل العباسى ﴾ ثم فى خلافة أولاده المكتفى أبى محمد على والمقتدر أبى الفضل جعفر والقاهر أبى منصور محمد ثم فى خلافة الراضى أبى العباس أحمد بن المقتدر ثم فى خلافة المتقى أبى اسحاق ابراهيم ابن المقتدر ثم فى خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى على بن المعتضد ثم فى خلافة المطيع أبى القاسم الفضل بن المقتدر العباسى فجماعة كثيرة لم يعرف منهم ويذكر سوى عج بالعين المهملة والجيم ابن حاج ولم يعلم مبدأ ولايته متى كانت غير أن اسحاق الخزاعى ذكر أنه كان واليا على مكة فى سنة احدى وثمانين ومائتين وذكر ابن الأثير مايدل على أنه كان واليا فى عام خمس وتسعين بتقديم المثناة الفوقيه ومائتين فيحتمل أنه استمر من عام احدى وثمانين الى التاريخ الذى ذكره ابن الأثير أو تولى غيرة ثم أعيد هو والله أعلم ومؤنس المظفر وذلك فى سنة ثلثمائة حسبما ذكره ابن الأثير وكان أميرا على الحرمين والثغور بالعقد لا بالمباشرة

وابن ملاحظ لأن النابه أبا محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ترجم ابن ملاحظ بسلطان مكة من غير ذكر تاريخ قال العلامة الفاسى وما عرفت اسم ابن ملاحظ ولا متى كانت ولايته غير أنى أظن أنه كان عليها بعد سنة ثلثمائة أو قبلها بقليل انتهى. وابن محلب وقيل ابن محارب والأول أصوب ولم يعلم أول ولايته غير أن ابن الأثير لما ذكر ما فعله أبو طاهر القرمطى من القبائح بمكة فى سنة سبع عشرة بتقديم المهملة على الموحدة وثلاثمائة قال ما صورته فخرج اليه ابن محلب أمير مكة فى جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أبو طاهر أجمعين انتهى فاستفيد من كلامه أن ابن محلب كان والى مكة فى تلك السنة . ومحمد بن طعج بالطاء والعين المهملتين ثم بالجيم المعروف بالاخشيد وابناه أبو القاسم أونجور بالنون والجيم ومعنى أونجور محمود وأبو الحسن على وكان مبدأ ذلك فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة كما دل عليه كلام المؤرخين بأن الخليفة المتقى العباسى ولى محمد المذكور مصر والشام والحرمين فى السنة المذكورة وعقد لولديه أبى القاسم وعلى أبى الحسن من بعد أبيهما على البلد المذكورة على أن يكفلهما خادمه كافور الخصى المعروف بالاخشيدى وهذه الولاية بالعقد عن غير مباشرة ودليله أن الفاسى رحمه الله قال بعد استيفاء كلام المؤرخين فى عقد المتقى لمحمد وولديه ما صورته وماعرفت من كان يباشر لهم ولاية مكة ولا من يباشر ذلك لمؤنس المظفر انتهى والله أعلم وممن ولى مكة القاضى أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى ذكر ذلك بعض مؤرخى مصر وذلك فى سنة ثمان وثلاثين

وثلاثمائة ، وقيل انه باشر ذلك لأبى الحسن على بن الأخشيد ، والله أعلم
ثم ولى مكة فى زمن الأخشيدية بالتغلب جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد
ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على
ابن أبى طالب الحسنى كذا ذكره ابن حزم ثم قال وولده الى اليوم ولاة
مكة يعنى فى زمنه ، قال العلامة الفاسى ، ولعل ولاية جعفر المذكور بعد موت
كافور الأخشيدى وقبل أخذ العبيديين مصر من الأخشيدية ويصدق
على ذلك أنها أيام الأخشيدية ، ويبعد أن يلى جعفر مكة فى أيام كافور
لعظم أمره ، وقد رأيت فى بعض التواريخ مايدل على أنه كان يدعى لكافور
على المنبر بمكة ، وكان موت كافور فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة فى
جمادى الأولى ، وقيل فى سنة سبع وخمسين فتكون ولاية جعفر فى احدى
هاتين السنتين ، أو فى سنة ثمان وخمسين ، ولا تخرج ولايته عن هذا
انتهى ، ثم ولى مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى بن جعفر ، ودامت ولايته
الى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ولم يتعرض الفاسى لموت أبيه جعفر متى
كان ليعلم من ذلك مبدأ ولاية عيسى ، واذا أفاد ولاية عيسى بعد أبيه لاغير
ثم ولى بعد عيسى أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى ودامت ولايته
الى أن مات فى سنة ثلاثين وأربعمائة الا أن الحاكم العبيدى صاحب مصر
كان قد ولى مكة لابن عم أبى الفتوح أبى الطيب فى المدة التى خرج فيها
أبو الفتوح عن طاعة الحاكم ثم أعاده الى مكة بعد أن راجع طاعته وقيل
ان أخا لأبى الفتوح كان خرج عليه بمكة فى زمن عصيانه ، والله أعلم بحقائق
الأمور . وكان عصيان أبى الفتوح فى سنة احدى وأربعمائة وقيل فى سنة اثنتين

وذكر ابن خلدون أن أبا الفتوح ولى المدينة الشريفة أيضا وأزال عنها امرة بنى المهنا الحسنيين وذلك فى سنة تسعين بتقديم التناة وثلاثمائة ثم ولى مكة بعد أبى الفتوح ابنه شكر بن أبى الفتوح واستمرت ولايته الى أن مات فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ونقل ابن خلدون أنه ملك المدينة وجمع بين الحرمين ، ويقال انه ملك ثلاثا وعشرين سنة ، ومات ولم يعقب ولا ولد له قط ، وانما صار أمر مكة بعده الى عبد كان له كذا ذكره ابن حزم ونقل صاحب المرآة مايقتضى أن شكرا كانت له ابنة ، والله أعلم ، ثم ولى مكة بعد شكر بنو أبى الطيب الحسينيون ، وهم الذين يقال لهم السليمانيون من جماعة شكر ، ولم يذكر الفاسى عدتهم ، ثم ولى مكة على بن محمد الصليحى صاحب اليمن ، وذلك فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى شهر ذى الحجة ، وأظهر العدل بها واستعمل الجميل مع أهلها وكثر الأمن وطابت به قلوب الناس ، ورخصت الأسعار فى أيامه ، وكثرت له الأدعية ، وكسا البيت ثوبا أبيض ورد الى البيت الحلى الذى أخذه بنو أبى الطيب الحسينيون لما ملكوا بعد شكر ، وأقام بمكة الى يوم عاشوراء ، وقيل الى ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وعاد الى اليمن ، ثم ولى بعده نائبا أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب الحسنى ، وسببه أن الصليحى لما دخل مكة كان الأشراف بنو أبى الطيب قد أبعدوا عن مكة ، وجمعوا عليه ، ثم راسلوه بأن يخرج من مكة ويؤمر بها من يختاره منهم ، وكان قد وقع فى عسكره الوباء فمات

منهم سبعمائة رجل ، ولم يبق معه الا نفر يسير فاختار محمدا هذا ابن جعفر ابن أبي هاشم وأقامه نائبا عنه وأمره على مكة واستخدم له عساكر وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فرسا ثم سار الى اليمن فجاء الاشراف بنو سليمان ومعهم حمزة بن أبي وهاس ، وحاربوا محمد بن جعفر فحاربهم ، ولم يكن له بهم طاقة فخرج هاربا من مكة فتبعوه فكر راجعا وضرب واحدا منهم ضربة قطع بها درعه وفرسه وجسده ووصل الى الأرض فرجعوا عنه وكان تحته فرس يقال لها دنانير لاتكل ولاتمل . ومحمد بن جعفر هذا هو أحد أمراء مكة المعروفين بالهواشم ، وقيل انه كان صهر شكر بن أبي الفتوح على ابنته والله أعلم بذلك ، ثم عاد محمد بن جعفر الى مكة بعد خروجه ، واستمر متولياً الى أن مات في سنة سبع وثمانين بتقديم السين وأربعمائة ، وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد أن قطعت نحو مائة سنة ، وقد بالغ ابن الأثير في ذمه ، فقال : لما أن ذكر وفاته ما له ما يمدح به انتهى قال الفاسي رحمه الله ، ولعل ذلك لنهبه الحاج ، وقتله منهم خلقا كثيرا في سنة ست وثمانين ، ولأخذه حلية الكعبة في سنة اثنتين وستين والله أعلم انتهى ، وذكر ابن خلدون أن امرته على مكة كانت ثلاثين سنة وانه مات المدينة والله أعلم ، ثم ولي مكة بعده ابنه قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم مدة يسيرة ، ثم وليها أصبهبد بن سارتكين بسين مهملة ثم ألف ثم راء مهملة ثم مثناة فوقية ثم كاف ثم مثناة تحتية ثم نون ، وكان استيلاؤه عنوة في أوائل سنة سبع وثمانين بتقديم المهملة ، فهرب منها قاسم بن محمد وأقام أصبهبد بمكة الى شوال فجمع قاسم عسكرا وكبس أصبهبد بعسفان

فانهزم أصبهبد الى الشام ، ودخل قاسم مكة ، ودامت ولايته عليها الى أن مات فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وذكر ابن خلدون أن امرته نحو ثلاثين سنة على الاضطراب ، ثم ولى مكة بعده ابنه فليتة وقيل أبو فليتة واستمرت ولايته حتى مات فى سنة سبع وعشرين بتقديم المهملة وخمسمائة ثم ولى مكة بعده ابنه هاشم بن فليته ، واستمر متوليا الى أن مات فى سنة تسع وأربعين بتقديم المثناة الفوقية وخمسمائة وقيل فى سنة خمسين وقيل احدى وخمسين ، ولم يختلف عليه اثنان مدة ولايته ، ثم ولى بعده ابنه قاسم بن هاشم بن فليتة ، واستمر الى سنة ست وخمسين ثم فارق مكة متخوفا من أمير الحاج العراقى ، وذلك وقت الموسم لاساءته السيرة فى مكة ثم ولى مكة بعده عمه عيسى بن فليتة ، ثم عاد قاسم الى مكة واستولى عليها فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين بتقديم السين على الموحدة وأقام بها أياما يسيرة ، ثم قتل ، واستقر الأمر بعده لعمه عيسى ودامت ولايته الى أن مات فى سنة سبعين بتقديم السين وخمسمائة ، ثم ولى بعد عيسى ابنه داود بن عيسى بن فليتة بعهد من أبيه واستمر الى ليلة النصف من رجب احدى وسبعين ، ثم وليها أخوه مكثر بن عيسى ، واستمر الى موسم هذه السنة ، ثم عزل وجرى بينه وبين أمير الركب العراقى حرب شديد فى ذلك الموسم كان الظفر فيه لطاشتكين ، ثم ولى مكة فى الموسم المذكور الأمير قاسم بن مهنا الحسنى بعد عزل مكثر ، وأقام متوليا نحو ثلاثة أيام ثم انه رأى من نفسه العجز عن القيام بامرة مكة فأعاد أمير الحاج داود ابن عيسى المذكور آنفاً الى امرة مكة وشرط عليه أن يسقط جميع

السكوس ولم تعلم ولايته هذه إلى متى استمرت غير أنه بعدها كان يتداول
هو وأخوه مكثر امرة مكة ، ثم انفرد بها مكثر عشر سنين متوالية آخرها
سنة سبع بتقديم السين وتسعين بتقديم المثناة الفوقية وخمسمائة وهو آخر
أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير أن فى ولايته أو فى ولاية أخيه داود
على الشك كان ممن ولى مكة سيف الاسلام طغتكين بطاء مهملة ثم
غين معجمة ثم مثناة فوقية ابن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب ، وذلك فى سنة احدى وثمانين وخمسمائة لأنه قدم مكة فى هذه
السنة ، ومنع من الأذان بحى على خير العمل ، وقتل جماعة من العبيد
المفسدين ، وهرب منه أمير مكة الى قلعته بأبى قبيس وشرط على العبيد
أن لايؤذوا الحاج ، وضرب طغتكين الدراهم والدنانير بمكة باسم أخيه
السلطان صلاح الدين ، ثم ولى مكة بعد مكثر أبو عزيز قتادة بن ادريس
ابن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد
الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن
على بن أبى طالب الحسنى ، وذلك فى سنة سبع بتقديم السين وتسعين بتقديم
المثناة وخمسمائة وقيل فى سنة ثمان وتسعين وقيل فى سنة تسع وتسعين
وخمسمائة ، ودامت ولايته الى أن مات فى سنة سبع عشرة بتقديم
السين ، وقيل فى سنة ثمان عشرة وستمائة فتكون ولايته عشرين سنة
أو مايقاربها للاختلاف فى مبدأ ولايته ، وكانت ولايته ممتدة الى ينبع
والى حلى ، وكان يحارب صاحب المدينة الشريفة ، ويغلب كل منهما
الآخر حينا ، وكان ممن ولى مكة بالعقد لابالمباشرة فى أيام قتادة اقباش بن

عبد الله الناصرى فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسى لأن مولاه عقد له على الحرمين وامرة الحج لعظم مكانته عنده ، ثم ولى مكة بعده ابنه حسن ابن قتادة ، وقتل بعض عسكره اقباش المتقدم آنفا لأنهم اتهموه أنه واطأ راجح بن قتادة على أن يوليه عوضاً عن أخيه حسن ، واستمر حسن المذكور الى سنة تسع عشرة بتقديم التاء ، وقيل الى سنة عشرين وستمائة ثم وليها بعده الملك المسعود يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب اليمن لأنه صار الى مكة ونحارب هو وحسن بن قتادة بالمسعى فانهزم حسن وهرب من مكة ونهبها عسكر الملك المسعود الى وقت العصر ، ودامت ولايته عليها الى أن مات فى سنة ست وعشرين وستمائة .

وكان ممن ولى مكة نيابة للملك المسعود رجلان : الأول نور الدين عمر ابن على بن رسول الذى ولى السلطنة ببلاد اليمن بعد ذلك ، فقصده حسن ابن قتادة بجيش جاء به من ينبع فتحاربا فانكسر حسن والثانى الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودى ، وذلك فى سنة خمس وعشرين وستمائة ، ثم ولى مكة بعد الملك المسعودى والده الملك الكامل ، واستمر الى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين بتقديم المثناة الفوقية وستمائة ثم وليها نائبه على اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول بعد أن بويع بالسلطنة فى بلاد اليمن ، وذلك أنه بعث جيشا الى مكة ومعهم راجح بن قتادة الحسنى أخو حسن المتقدم فأخرجوا متوليها الأمير طغتكين نائب الملك الكامل ، فهرب الى ينبع فبلغ ذلك الملك الكامل فجهز الى طغتكين

جيشا كثيفاً مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ على ماقيل فوصل الى طغتكين ودخل الى مكة مع الجيش فأخرجوا منها راجحا ومن معه من أهل اليمن واستولى طغتكين على مكة وقتل خلقا كثيرا من أهل مكة لخذلانهم له فى النوبة الاولى وكان استيلاؤه فى رمضان سنة تسع وعشرين بتقديم المثناة وستمائة ، ثم وليها مع راجح بن قتادة عسكر صاحب اليمن بغير قتال وذلك فى صفر سنة ثلاثين وستمائة (أقول) لم يبين الفاسى من هو صاحب اليمن والذى يظهر أنه الرسولى لأن الكلام الآتى يدل على ذلك انتهى ، ثم وليها فى آخر سنة ثلاثين عسكر الملك الكامل وكان المقدم عليه أميرا يعرف بالزاهد وأقام أميرا بمكة يعرف بابن مجلى ثم انه جيم ثم وليها فى سنة احدى وثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن مع راجح بن قتادة (أقول) لم يبين الفاسى من هو الملك المنصور وهو عمر الرسولى لانه بعد أن بويع بالسلطنة لقب بالمنصور انتهى ، ثم وليها نيابة عن الملك الكامل أميره المسمى بجفريل بجيم ثم فاء ، ثم راء مهملة ثم مثناة تحتية ثم لام وذلك أن الملك الكامل كان قد جهز عسكرا كبيرا فيه ألف فارس وقيل سبعمائة وقيل خمسمائة وخمسة أمراء مقدمهم جفريل المذكور واستمرت ولاية جفريل على مكة الى سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن فى هذه السنة وسار اليها بنفسه ودخلها فى رجب بعد أن هرب جفريل ومن معه وكان مع المنصور ألف فارس ودامت ولايته الى سنة سبع وثلاثين بتقديم السين ورتب بمكة مائة وخمسين فارسا وجعل عليهم أميرين ابن الوليد

وابن التعزى ، ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر ، لأنه جهز اليها جيشا ألف فارس معهم الشريف شيحة بشين معجمة مكسورة ثم مثناة تحتية ثم حاء مهملة ثم هاء الوقف صاحب المدينة الشريفة ، فاستولوا على مكة بغير قتال . وذلك فى سنة سبع وثلاثين ثم وليها عسكر الملك المنصور صاحب اليمن ولما قدم العسكر المذكور هرب الشريف شيحة ومن معه ، ثم وليها ثانيا عسكر الملك الصالح صاحب مصر فى سنة ثمان وثلاثين ، وكان ممن وليها للملك الصالح الأمير شهاب الدين أحمد ابن التركمانى ، ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن ، وذلك فى سنة تسع وثلاثين ، وسار بنفسه ودخل مكة فى رمضان بعد أن فارقها عسكر الملك الصالح خوفا منه ، ودامت ولايته الى أن مات وأمر على مكة فى هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين السلاح ، وابن ميزور ، وجعل الشريف أبا سعد بن على بن قتادة الحسنى بالوادى مساعدا لعسكره بعد أن استدعاه من ينبع وأحسن اليه واستمر مملوكه السلاح على نيابة مكة الى سنة ست وأربعين وستمائة . ثم ولى فيها ابن المسيب وعزل السلاح ، ثم ولى مكة الشريف أبو سعد بن على بن قتادة بعد أن قبض على ابن المسيب فى ذى القعدة ، وقيل فى شوال سنة سبع وأربعين بتقديم السين واستمر على مكة الى أن قتل فى أوائل شعبان سنة احدى وخمسين وستمائة ، وقيل فى رمضان ، ثم وليها بعد قتله جماز بن حسن بن قتادة وهو أحد قتلة أبى سعد ، ودامت ولايته الى آخر يوم من ذى الحجة سنة احدى وخمسين ، ثم وليها بعد جماز عمه راجح بن قتادة الذى كان يليها مع عسكر

صاحب اليمن واستمر متوليا الى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة
ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح واستمر الى شوال من السنة المذكورة
ثم وليها عمه ادريس بن قتاده وأبو نمى بن أبى سعد بن على بن قتادة
واستمرت ولايتها الى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين
وخمسين ثم وليها المبارز على بن الحسن بن برطاس بموحدة ثم راء وطاء
مهملتين فألف فسين مهملة من قبل الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن
لأنه جهز ابن برطاس المذكور الى مكة فى عسكر ومائتى فارس فتحارب
هو وادريس وأبو نمى ومن معهما فكان الظفر لابن برطاس فاستمر على
مكة الى يوم السبت لأربع بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة فوقع
الحرب بين ابن برطاس والأمير ابن ادريس وابن نمى فى الشهر المذكور
وسفكت الدماء بالحجر من المسجد الحرام وأسر ابن برطاس ففدى نفسه
ثم خرج بمن معه من مكة واستمر الشريفان على مكة ثم انفرد أبو نمى
بالولاية فى سنة أربع وخمسين لذهاب عمه ادريس الى أخيه راجح بن
قتادة ثم عاد ادريس لمشاركة أبى نمى ثم ولى مكة أولاد حسن بن
قتادة وأقاموا ستة أيام وقبضوا على ادريس ثم جاء أبو نمى وأخرجه منهم
ولم يقتل منهم أحدا واستمر أبو نمى وادريس شريكين فى الامرة الى
سبع وستين بتقديم السين وستمائة ثم انفرد أبو نمى بالامرة مدة يسيرة
فى هذه السنة ثم عاد شريكا لادريس فى سنتهما هذه واستمرت ولايتهما
الى ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة بتقديم المثناة الفوقية ثم انفرد
فيها ادريس نحو أربعين يوما ثم قتل فى السنة المذكورة بخليص فوليها

أبو نمى واستمر الى سنة سبعين وستمائة بتقديم السين ثم وليها فى هذه السنة فى صفر الشريف جماز بن شيحة صاحب المدينة وغانم بن ادريس ابن حسن بن قتادة صاحب ينبع شريكين ثم عاد أبو نمى الى ولايتها بعد أربعين يوما من سنة سبعين (أقول) مقتضى هذا الكلام أن ولاية جماز وغانم المذكورين انما هى أيام يسيرة اما عشرة أو أقل لأن أبا نمى كان مالكا لمكة جميع شهر محرم سنة سبعين بلا ريب كما تعطيه العبارة وتكون ولاية جماز وغانم على تقدير أنها عشرة أيام أول يوم من صفر سنة سبعين والا كانت أقل ويكون عود أبى نمى فى الحادى عشر من صفر من السنة لأنه بعد أربعين يوما والله الموفق واستمر أبو نمى على مكة فى عوده هذا بعد أن أخرج جمازا وغانما الى سنة سبع وثمانين وستمائة بتقديم السين ثم عاد جماز بن شيحة المذكور الى ولاية مكة فى أواخر هذه السنة وأقام مدة يسيرة ثم عاد أبو نمى واستمر الى قبل وفاته بيومين فعهد الى ابنيه حميضة ورميثة بالامرة بعده وكانت وفاته فى يوم الأحد رابع صفر سنة احدى وسبعمائة فكانت امرته على مكة تشريكا واستقلالا نحو خمسين سنة واستقلاله بالامرة يزيد على ثلاثين سنة شيئاً يسيرا وكان ممن ولى مكة فى ولاية أبى نمى وادريس من قبل السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر أمير يقال له شمس الدين مروان وذلك بسؤال أبى نمى وعمه فى ذلك ليرجع أمرهم اليه وكان ذلك فى سنة سبع وستين وستمائة وفيها حج السلطان بيبرس ثم عزل مروان عن ذلك فى سنة ثمان وستين وستمائة ثم وليها بعد موت أبى نمى ابناه حميضة ورميثة المذكوران

وذلك فى سنة احدى وسبعمائة فى صفر منها واستمرا الى موسمها فقبض عليهما ثم وليها عوضهما أخواهما أبو الغيث وعطيفة وقيل بل محمد بن ادريس بن قتادة عوض عطيفة وكان ذلك بمباشرة أمير الحاج بيبرس الجاشنكير بجيم ثم ألف فشين معجمة فنون ثم كاف ومثناة تحتية وراء مهملة الذى ولى السلطنة بعد ذلك بمصر فى سنة ثمان وسبعمائة وكان فعله هذا تأديباً لحميضة ورميثة لاساءتهما الى أخويهما أبى الغيث وعطيفة ثم عاد حميضة ورميثة الى امرة مكة فى سنة ثلاث وسبعمائة وقيل فى التى بعدها بولاية من الملك الناصر صاحب مصر واستمرا متوليين الى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ثم وليها أبو الغيث بن أبى نمى من قبل الملك الناصر أيضاً فحاربه حميضة فظفر بأبى الغيث فقتله واستمر على مكة الى شعبان سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم وليها رميثة فى السنة المذكورة من الناصر واستمر الى انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أو أول ثمان عشرة ثم وليها حميضة واستمر الى أوائل سنة تسع عشرة ثم وليها عطيفة بن أبى نمى من قبل الملك الناصر ودامت ولايته على مكة الى أوائل سنة احدى وثلاثين وسبعمائة غير أن أخاه رميثة فى بعض السنين المذكورة شاركه فى الامرة ثم انفرد رميثة بالامرة وذلك فى ربيع الآخر أو جمادى من سنة احدى وثلاثين واستمر الى سنة أربع وثلاثين ثم شاركه فيها أخوه عطيفة بلا قتال ثم انفرد رميثة أيضا بالامرة فى سنة أربع وثلاثين بعد رحيل الحاج واستمر الى موسم سنة خمس وثلاثين ثم عاد عطيفة لمشاركته فى هذا التاريخ واستمر الى

أثناء سنة ست وثلاثين فحصلت بينهما منافرة فانفرد عطيفة بمكة وأقام رميثة بالجديد ثم اصطلحا فى سنة سبع وثلاثين بتقديم السين ثم انفرد رميثة فى هذه السنة بالامرة واستمر الى سنة ست وأربعين وسبعمائة ثم وليها عجلان بن رميثة بمفرده من قبل الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم من أخيه الكامل شعبان وذلك بعد وصول عجلان الى القاهرة فعاد متوليا فى شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين فى حياة أبيه ثم مات أبوه فى ذى القعدة من هذه السنة واستمر الى سنة ثمان وأربعين ثم وليها معه أخوه ثقبة ودامت ولايتهما الى سنة خمسين وسبعمائة ثم استقل ثقبة بالامرة فى سنة خمسين لغيبة عجلان بمصر ثم وليها عجلان فى خامس شوال سنة خمسين واستمر الى موسم سنة اثنتين وخمسين ثم وليها ثقبة بمفرده فى هذه السنة فلم يمكنه عجلان ثم اتفقا على المشاركة ثم استقل ثقبة بالامرة فى أثناء سنة ثلاث وخمسين بعد أن قبض على أخيه عجلان واستمر الى أن قبض عليه فى موسم سنة أربع وخمسين ثم وليها أخوه عجلان بمفرده واستمر الى تاسع عشر المحرم من سنة سبع وخمسين بتقديم السين ثم انفرد ثقبة بالامرة فى ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده فى موسم هذه السنة ثم اشتركا فى الامرة فى موسم سنة ثمان وخمسين واستمرا الى أن عزلا فى أثناء سنة ستين وسبعمائة ثم وليها أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة بن أبى نمى وكان محمد بمصر فوصل بعسكره الى مكة فى جمادى الآخرة سنة ستين واستمر الى سنة احدى وستين

وسبعمائة فزالت ولاية محمد بن عطيفة ثم اشترك ثقبة مع أخيه سند في الامرة الى أن كان شهر شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة ثم ولى مكة في هذه السنة السيد عجلان بن رميثة وكان معتقلا بمصر فأطلق وأخوه ثقبة بسؤال السيد عجلان له في ذلك ثم خرج عجلان من مصر وكان ثقبة مريضا فلما قارب مكة لم يدخلها حتى مات ثقبة في شهر شوال سنة اثنتين وستين فاشترك معه ابنه أحمد بن عجلان حال دخوله وجعل له ربع المتحصل يصرفه في خاصة نفسه وعلى عجلان كفاية العسكر ثم مات سند عقيب ذلك ودامت ولاية عجلان وابنه أحمد الى سنة أربع وسبعين ثم انفرد أحمد بن عجلان بالامرة بسؤال أبيه عجلان له بشروط شرطها عليه أبوه منها أن لا يقع اسمه في الخطبة والدعاء على زمزم الى غير ذلك فوفى له أحمد بذلك واستمر أحمد منفردا بالامرة الى سنة ثمانين وسبعمائة ثم وليها معه ابنه محمد بن أحمد بسؤال أبيه ولم يظهر لولايته أثر لصغره واستبداد والده بالأمر واستمرا الى أن مات أحمد بن عجلان في حادي عشري شعبان سنة ثمان وثمانين ثم استقل محمد بالامرة الى أن فاز بالشهادة في مستهل شهر ذي الحجة من هذه السنة وسببه أنه حضر لخدمة المحمل في يوم العرضة على العادة وكان عمه كبيش أشار اليه بعدم الحضور لأنه كان مدبر أموره فلم يسمع منه فقتل وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم وليها بعد قتل محمد عنان بن مغامس بن رميثة ابن أبي نمي وأشرك معه في الامرة بني عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة وأخاه على بن مبارك وكان يدعى لهؤلاء الثلاثة معه

على زمزم واستمر عنان وشركاؤه الى شهر شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فبلغ السلطان ما حصل من الفتن وعدم الأمن بسبب تخبيط كبيش على عنان فعزل عنانا فى هذا التاريخ ثم وليها بعد عزله على بن عجلان فلم يمكنه عنان من مكة فاجتمع آل عجلان ومعهم كبيش واقتتلوا فقتل كبيش وغيره وانهزم على بن عجلان وتوجه الى مصر ودخل عنان مكة واستولى عليها الى موسم سنة تسع وثمانين ثم عاد على بن عجلان شريكا لعنان بشرط حضور عنان العرضة لخدمة المحمل فلم يحضره خشية من آل عجلان ثم سافر الى مصر فى أثناء سنة تسعين فانفرد على بن عجلان بالامرة الى أثناء سنة اثنتين وتسعين ثم شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق وكان الشرفاء مع على والقواد مع عنان فلم يتم أمرهما كما ينبغى واستمرا كذلك الى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة ثم انفرد بها على بن عجلان ثم استدعاه السلطان هو وعنانا للحضور الى مصر فتوجه عنان أولا ثم لحقه على وترك على مكة عوضه أخاه محمد بن عجلان ثم عاد على الى مكة فى موسم سنة أربع وتسعين منفردا بولاية مكة واستمر الى أن استشهد فى تاسع شوال سنة سبع بتقديم السين وتسعين وكان فى غالب ولايته مقلوبا مع الاشراف وأفضى الحال الى أن قل الأمان بمكة ونواحيها وهربت التجار الى ينبع ولحق أهل مكة بسبب ذلك شدة فلما قتل قام بأمر مكة أخوه محمد واستمر الى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ثم ولى مكة السيد الشريف حسن بن عجلان وكان قدم مصر سنة سبع

وتسعين فاعتقله السلطان فلما قتل أخوه أطلقه وأنعم عليه بولاية مكة فقدم مكة فى السنة المذكورة وضبط أحوال البلاد وحسم مواد الفساد وأخذ بثأر أخيه على من الأشراف فى الحرب الذى كان بالزيارة بوادى مر فى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال من السنة المتقدمة وكان عدة من قتل من الأشراف وجماعتهم نحو أربعين رجلا ولم يقتل من جماعة السيد حسن الا واحد أو اثنان واستمر السيد حسن منفردا بالولاية الى سنة تسع بتقديم المثناة وثمانمائة ثم أشرك معه فى الامرة ابنه السيد بركات واستمر الى أثناء سنة احدى عشرة وثمانمائة ثم سأل لابنه السيد أحمد بن حسن فى أن يكون شريكا لأخيه السيد بركات وتكون الامرة بينهما فأجيب الى ذلك وولى السيد حسن نيابة السلطنة بجميع بلاد الحجاز وصار يدعى له فى الخطبة بمكة وعلى زمزم ودامت ولايتهم الى أثناء صفر سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ثم ولى ذلك السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة ولم يصل الى مكة الا فى مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة واستمر متوليا الى ثامن رمضان سنه تسع عشرة ثم عاد السيد حسن بن عجلان لامرة مكة بمفرده دون ولديه فخرج رميثة من مكة بعد وقوع المحاربة بالمعلاة بينه وبين عسكر عمه السيد حسن على كره من السيد حسن وكان الظفر لعسكر السيد حسن واستمر السيد حسن متوليا الى أول سنة أربع وعشرين وثمانمائة ثم شاركه ابنه السيد بركات بولاية من الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد صاحب مصر ودامت ولايتهما الى أوائل سبع بتقديم السين وعشرين وثمانمائة ثم ولى مكة

السيد علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني بمفرده بولاية من قبل الملك الأشرف برسباي وكان بمصر فقدم مكة صحبة العسكر الأشرفي واستمر متوليا الى أوائل الحجة سنة ثمان وعشرين ثم أعاد الأشرف برسباي السيد حسن الى امرة مكة ورضي عنه وتوجه السيد حسن بعد انقضاء الحج الى مصر فنال من السلطان اكراما كثيرا وأقره على امرة مكة واستمر بمصر الى أن مرض بها وتوفي في سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة بعد أن كان تجهز للسفر الى مكة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ثم وليها السيد بركات بن حسن بعد وفاة أبيه وكان السلطان قد استدعاه الى مصر فقدم عليه في ثالث رمضان ففوض اليه امرة مكة عوضاً عن أبيه في السادس والعشرين من رمضان المذكور واستمر أخوه السيد ابراهيم نائباً عنه ولبس خلعة النيابة بمصر ثم توجه السيد بركات الى مكة فوصلها في أوائل العشر الأوسط من ذي القعدة هذا آخر معنى كلام الفاسي في شأن أمراء مكة ثم قال رحمه الله ما صورته هذا ما علمناه من خبر ولاة مكة في الاسلام وقد أوعبنا في تحصيل ذلك الاجتهاد وما ذكرناه من ذلك غير واف بكل المراد لأنه خفي علينا جماعة من ولاة مكة وخصوصاً ولاتها من زمن المعتضد الى ابتداء ولاية الأشراف في آخر خلافة المطيع العباسي وخفي علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم وتاريخ انتهائها ومع ذلك فهذا الذي ذكرناه من ولاة مكة ليس له في كتاب نظير والذي لم نذكره من الولاة هو اليسير وسبب الاخلال في ذلك والتقصير أنا لم نر

مؤلفا فى هذا المعنى فنستضىء به لعدم العناية بتدوين ذلك انتهى كلامه واستمر السيد بركات بعد موت الفاسى على ولاية مكة الى أثناء سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، فعزل عن ذلك ، ثم وليها أخوه السيد على بن حسن ، وكان بالقاهرة ، فوصل مكة يوم السبت مستهل شعبان ، واستمر متوليا الى رابع شوال سنة ست وأربعين ، فقبض عليه وعلى أخيه ابراهيم ثم وليها أخوه أبو القاسم بن حسن ، فقدم من مصر متوليا ، ودخل مكة فى يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وثمانمائة واستمر على ولايته الى أوائل سنة خمسين ، فعزل ثم أعيد السيد بركات ابن حسن الى ولاية مكة ، ودامت ولايته الى أن مرض وتوعك بدنه وذلك سنة تسع وخمسين بتقديم المثناة الفوقية وثمانمائة ، فسأل نائب جدة الأمير جانى بك الظاهرى بأن يرسل الى السلطان يسأله فى ولاية امرة مكة لولده السيد محمد عوضاً عن أبيه ، فأجاب السلطان الى ذلك ، فقبل وصول الخبر توفى السيد بركات فى عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنة تسع وخمسين بأرض خالد بوادى مر ، وحمل على أعناق الرجال الى مكة ، ودفن بها فى صبيح يوم الثلاثاء العشرين من شعبان ، فلما كان عصر اليوم المذكور ، وصل قاصد من الديار المصرية بمرسوم مؤرخ بسادس عشر رجب مضمونه ولاية السيد محمد امرة مكة فدعى له على زمزم بعد المغرب من ليلة الأربعاء حادى عشر شعبان ، ثم وصل السيد محمد الى مكة ليلة الجمعة سابع رمضان ، وقرئ مرسومه فى صبحها ، ثم كان رابع شوال من السنة المذكورة وصل الى السيد محمد كتاب من السلطان

بالعزاء فى والده وتوقيع باستمراره فى الامرة مؤرخ بشهر رمضان واستمر السيد محمد رحمه الله على ولاية مكة ، ودانت له البلاد ، وأطاعه العباد ، وأظهر العدل والاحسان والشفقة والرأفة على الرعية والالتفات فى أمور المسلمين وعدم الغفلة عن ذلك ، فبسبب ذلك طالت مدته وحمدت سيرته وطابت سريرته ، وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة ونصف سنة الا خمسة أيام أو نحوها مع مشاركة ولده السيد بركات على دوائدهم ثم انتقل الى رحمة الله تعالى فى الحادى والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ثلاث وتسعمائة بوادى الابهار ، وحمل الى مكة ودفن بها ، ثم وليها بعده ولده السيد بركات من قبل الملك الناصر محمد بن قايتباى فى رابع ربيع الآخر من سنة ثلاث ، واستمر على ولايتها الى أن كان موسم سنة ست وتسعمائة ، فوليها أخوه السيد هزاع بن محمد بعد محاربة وقعت بينه وبين أخيه السيد بركات فى الموسم المذكور بمحل يقال له وادى الجموم بمر الظهران ، فانهزم السيد بركات ، ودخل السيد هزاع مكة وحج بالناس ، ثم خرج منها بعد انقضاء الحج الى ينبع خوفا من أخيه بركات لقلة عسكره ، فعاد السيد بركات الى مكة ، واستمر بها الى جمادى الثانية عام سبع بتقديم السين وتسعمائة ، فوصل السيد هزاع من ينبع بعسكر عظيم وتحارب هو وأخوه بركات محاربة ثانية بمحل يقال له طرف البرقا ، فانهزم السيد بركات ثم وليها السيد هزاع ثانيا ، واستمر الى خامس عشر رجب ثم توفى الى رحمة الله تعالى ، ثم عاد السيد بركات الى مكة ، ووقعت الفتن والشرور بينه وبين أخيه السيد أحمد جازان وتحاربا مرارا وكان ابتداء

ذلك من أواخر ذى الحجة عام سبع وتسعمائة الى أن كان يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال عام ثمان وتسعمائة ، فوصل السيد جازان بعسكر كبير من ينبع من بنى ابراهيم وغيرهم ، ووقع الحرب بينه وبين أخيه السيد بركات ، فانهزم السيد بركات ، ثم وليها السيد جازان ودخل مكة فى يوم السبت المذكور ، ونهب عسكره مكة وفعلوا أفعالا قبيحة ، وانتهكوا حرمة البيت وجرى منهم على مكة وأهلها أمور شنيعة ليس هذا محل ذكرها ولا نحن بصددها ، واستمر السيد جازان بمكة الى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة ، فبلغه وصول التجريدة من قبل السلطان الغورى ، وباشتها الأمير الكبير المعروف بقيت الرجبى بالجيم ثم الموحدة بسبب مافعله السيد جازان من نهب مكة ، ونهب الحاج الشامى والمصرى ، فخرج من مكة هاربا ، فعاد السيد بركات الى مكة وواجه أمير التجريدة ، فقبض عليه وتوجه به الى القاهرة فى أوائل سنة تسع وتسعمائة ثم عاد السيد جازان الى مكة ، واستمر بها الى يوم الجمعة عاشر رجب سنة تسع فقتله الأتراك الشراكسة بالمطاف ، ثم وليها بعده السيد حميضة بن محمد ، واستمر الى أواخر المحرم أو أوائل صفر من سنة عشر وتسعمائة فعزل ثم وليها أخوه السيد قيتباى بن محمد باشارة من أخيه السيد بركات واستمر متوليا موافقا لأخيه السيد بركات مستضيئا برأيه الى أن توفى الى رحمة الله تعالى فى يوم الأحد الحادى والعشرين من صفر سنة ثمان عشرة وتسعمائة بأرض حسان بوادى مر ، وحمل الى مكة ودفن بها ، ثم استولى السيد بركات بعد موته على مكة الى شهر شعبان من هذه السنة

ثم أرسل ولده مولانا السيد أبا نمى بن بركات الى الديار المصرية فوصلها وقابل السلطان قانصوه الغورى ، فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بامرة مكة ثم عاد اليها شريكا لأبيه ، وكان وصوله فى أواخر ذى القعدة الحرام بين يدى الحاج من السنة المذكورة ، واستمر كذلك الى أن كان عام ثلاث وعشرين فاستولى مولانا الخنكار الأعظم سليم خان بن عثمان على الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين ، وجهز قاصدا الى مكة لسيد بركات والسيد أبى نمى باستقرارهما على امرة مكة ، فتجهز حينئذ مولانا السيد أبو نمى وسافر الى القاهرة ، وقابل السلطان سليما فأكرمه واحترمه وأقره هو ووالده على امرة مكة ، ثم عاد الى مكة ، واستمر شريكا لأبيه الى أن أذن الله بوفاة مولانا السيد بركات فى أثناء ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة الحرام عام أحد وثلاثين وتسعمائة رحمه الله وأسكنه جنته ، ثم وليها بعده ابنه السيد أبو نمى أدام الله أيامه بمفرده ووصلت الأحكام الخنكارية السليمانية بولايته لامرة مكة فى أواخر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة . فاطمأنت به الخواطر ، وقرت النواظر ، واستمر أدام الله ومتع المسلمين بحياته منفردا بالولاية الى عام ست وأربعين وتسعمائة ، ثم وليها ابنه مولانا السيد أحمد شريكا لوالده فى هذا العام بعد وصوله الى الديار الرومية ومقابلته لمولانا الخنكار الأعظم والخاقان الأكرم الملك المظفر سليمان خان خلد الله ملكه وأدام أيامه فقوبل بالاكرام والرعاية والاحترام وعاد الى مكة فى أول ربيع الأول عام سبع وأربعين وتسعمائة ، واستمر شريكا لوالده مولانا السيد أبى نمى الى عامنا هذا وهو

عام خمسين وتسعمائة متع الله بحياتهما وأدام أيامهما وخلدهما خلود الدهر وأمدهما بالتأييد والنصر آمين . هذا ماوقفت عليه فى ذكر أمراء مكة من عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا والله تعالى أعلم .

الخاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة

﴿ فى ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة ﴾

﴿ التى تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى وحرمها ﴾
﴿ وضواحيها من الموالد والدور والمساجد والجبال والمقابر وما أشبه ذلك ﴾

أما الموالد فمنها وهو أجلها مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبدأ به وهو بمكة فى المكان المعروف بسوق الليل مشهور بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان عقيل بن أبى طالب قد استولى عليه زمن الهجرة ، وفيه وفى غيره أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فى حجة الوداع وهل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل ، ولم يزل بيد عقيل وولده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج ، فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء ولم يزل كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى

الهادي العباسي وأخيه هارون الرشيد ، فأخرجته وجعلته مسجدا يصلى فيه ، وكون هذا المكان مولده صلى الله عليه وسلم مشهور متوارث يأثره الخلف عن السلف ، وجرت العادة بمكة فى ليلة الثانى عشر من ربيع الأول فى كل عام أن قاضى مكة الشافعى يتهيأ لزيارة هذا المحل الشريف بعد صلاة المغرب فى جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة وأكثر الأعيان من الفقهاء والفضلاء ، وذوى البيوت بفوانيس كثيرة ، وشموع عظيمة وزحام عظيم ، ويدعى فيه للسلطان ولأمير مكة ، والقاضى الشافعى بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام ، ثم يعود منه الى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السلام بإزاء قبة الفراشين ، ويدعو الداعى لمن ذكر آنفا بحضور القضاة وأكثر الفقهاء ، ثم يصلون العشاء وينصرفون ، ولم أقف على أول من سن ذلك ، وسألت مؤرخى العصر فلم أجد عندهم علما بذلك . ومن فضائل هذا المحل المبارك ماقاله الأزرقى عمن كان ساكنا به قبل أن تخرجه الخيزران أنه قال : والله لم يصبنا فيه منذ سكناه لا جائحة ولا حاجة حتى خرجنا منه فاشتد علينا الزمان انتهى بمعناه ، وقد ذكر السهيلى أنه صلى الله عليه وسلم ولد بالشعب ، وقيل بالدار التى عند الصفا التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجدا لما حجت انتهى ، وهو غريب ، ونقل مغلطاى فى سيرته ماذكره السهيلى ، ثم قال ويقال ولد بالردم ، ويقال بعسفان انتهى بمعناه وهو أغرب والمراد بالردم ردم بنى جمح لا الذى بأعلى مكة لأن ذلك لم يكن الا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويعرف الآن بالمدعى ونسبة الأول

لبنى جمح هو أنهم قتلوا وردم عليهم التراب هنالك ولم أقف على تعيين محله بمكة ولا رأيت من ذكره والمعروف المشهور فى مولده عليه السلام هو الأول الذى بسوق الليل ولا اختلاف فيه عند أهل مكة

(ومنها) مولد السيدة فاطمة ابنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهو فى دار أمها خديجة رضى الله عنها بمكة فى الزقاق المعروف بزقاق الحجر وسماها الطبرى دار خزيمة بمعجمتين قال الأزرق وهذه الدار كان يسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خديجة وفيها ابتنى بها وولدت جميع أولادها وتوفيت بها ولم يزل النبى صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر الى المدينة فستولى عليها عقيل بن أبى طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا وفتح فيه بابا من دار أبيه أبى سفيان التى قال فيها صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من دخل دار أبى سفيان فهو آمن انتهى وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فطمة وموضع مسقط رأسها معروف فيها ، قال الفاسى رحمه الله ولا ريب فى كون فاطمة رضى الله عنها ولدت فى هذه الدار انتهى . وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وبها قبة يقال لها قبة الوحى (١) والى جنبها موضع يزوره الناس يسمى المختبا زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختبى فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون ولا أصل لذلك قال الأزرق سألت جدى ويوسف بن محمد بن ابراهيم وغيرهما من أهل العلم بمكة عن

---

(١) قال سعد الدين الاسفراينى وفى هذه القبة حفرة عند الباب يقال كان يجلس النبى صلى الله عليه وسلم فيها وقت نزول الوحى وجبريل يجلس فى محراب القبة

ذلك فأنكروه انتهى . ودار خديجة هذه أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام قاله المحب الطبرى

(ومنها) مولد سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو بالمحل المعروف بشعب على وهو مقابل لمولد النبى صلى الله عليه وسلم من أعلاه مما يلى الجبل مشهور عند أهل مكة لا اختلاف فيه وعلى بابه حجر مكتوب عليه (هذا مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب وفى هذا المحل تربى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى هذا المحل موضع كالتنور يقال انه مسقط رأسه رضى الله عنه . ونقل الجد عن سعد الدين الاسفرايى أن فى جدار هذا المحل بالزاوية حجرا يقال انه كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان مولد سيدنا على رضى الله عنه فى جوف الكعبة وضعفه النووى فى تهذيب الأسماء واللغات

(ومنها) فيما قيل مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل مكة على طريق الذاهب الى بركة الماجن بالنون وأهل مكة يقولون ماجد بالدال وهو خطأ . قال الفاسى رحمه الله ولم أر شيئاً يدل بصحة ذلك بل فى صحته نظر لأن هذا الموضع ليس محلا لبنى هاشم والله أعلم انتهى

(ومنها) غار لطيف فى أعلى الجبل المجاور لضريح الشيخ عبد الكبير ابن يس الحضرمى المعروف عند أهل مكة بجبل النوبى أسفل مكة ويسمى ثبير الزنج كما سيأتى يقال ان سيدنا عمر بن الخطاب ولد به قال الفاسى ولا أعلم فى ذلك شيئاً يستأنس فيه إلا أن جدى لاقى القاضى

أبا الفضل النويرى كان يزور هذا الموضع فى جمع من أصحابه فى ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول فى كل سنة فى الغالب والله أعلم بحقيقة ذلك

(ومنها) موضع بالدار المعروفة بدار أبى سعيد وتعرف أيضاً بدار الدقوقى بقافين بينهما واو بالقرب من دار العجلة يقال له مولد جعفر الصادق ونقل الفاسى رحمه الله أن على بابه حجرا مكتوبا عليه هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ، ويقال له مولد جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه والله أعلم بحقيقة ذلك انتهى

﴿ ذكر الدور المباركة ﴾

(ومنها) دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهى بزقاق الحجر معروف عند أهل مكة وعلى بابها حجر مكتوب فيه هذه دار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ورفيقه فى الأسفار أبى بكر الصديق وتسمى أيضا بدكان أبى بكر يقال إنه كان يبيع فيه الخز وأسلم فيه جمع من الصحابة منهم على وعثمان وطلحة والزبير وفى جدار هذا المكان أثر مرفق النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا يسمى بزقاق المرفق أيضا ويقال إن هذه الدار جدار فيه حجر مبارك بارز عن الحائط قليلا يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم كما حكاه عنه قال الفاسى رحمه الله وهذا الحجر ان صح سلامه على النبى صلى الله عليه وسلم فلعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ ليالى بعثت. وفى الشفاء قيل انه الحجر الأسود واستبعده المحب الطبرى

(ومنها) دار خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى التى يقال

لها مولد فاطمة وقد تقدم الكلام عليها آنفاً وبيان محلها مستوفى وانما ذكرتها هنا ليعلم أنها من جملة الدور المباركة وانما غلب عليها اسم المولد واشتهرت به

(ومنها) دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة الآن بدار الخيزران المجاورة للصفا والمقصود بالزيارة المسجد الذى فيها لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان مستترا فيه فى مبدأ الاسلام وفيه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما ومنه ظهر الاسلام وبه كان اجتماع الصحابة فله فضل كبير وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدى العباسى المتقدمة آنفاً (أقول) ولعله لهذا السبب نسبت الدار اليها والله أعلم انتهى

(ومنها) دار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه التى هى الآن رباط للفقراء بالمسعى المعظم وفى جدارها أحد الميلين الأخضرين اللذين يسن الجرى بينهما حالة السعى

(ومنها) الموضع المعروف برباط الموفق واشتهر فى هذا الزمان برباط المغاربة لسكناهم به وهو أسفل مكة عند سوق باب ابراهيم . قال الفاسى رحمه الله وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد الله الفاسى أنه سمع الشيخ أبا عبد الله بن مطرف نزيل مكة الولى المشهور يقول : ماوضعت يدى فى حلقة هذا الرباط الا وقع فى نفسى كم ولى لله وضع يده فى هذه الحلقة ثم قال وبلغنى أن الشيخ خليلا المالكى كان يقول : ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه وكان يكثر اتيانه للدعاء. والله أعلم انتهى

(ومنها) الموضع الذى يقال له متعبد الجنيد بلحف الجبل الذى يقال له الأحمر أحد أخشبي مكة . قال الفاسى رحمه الله ويقال له الآن قعيقعان وجبل أبى الحارث أيضا انتهى وهو الآن مشهور عند أهل مكة بجبل جزل ونقل الجد أنه معبد ابراهيم بن أدهم على ما قيل والله أعلم

﴿ ذكر المساجد ﴾

وهى كثيرة ذكرها من المتقدمين الأزرق وغيره وتبعه من المتأخرين الطبرى والفاسى وغيرهما (منها) ما هو موجود معروف الى يومنا هذا (ومنها) ما هو داثر لا يعرف بمكة وخارجها ذكرها الأزرق ثم تبعه الطبرى والفاسى ولم يبينا أمرها فيتوهم أنها موجودة (ومنها) ما ذكره الأزرق والفاسى منفردا عن المساجد التى تقصد بالزيارة وقد رأيت أن أذكر أولا المساجد المعروفة الى وقتنا هذا المستحب زيارتها ثم أعقبها بالداثرة ثم أنبه على ما ذكره منفردا ثم أذكر ما لم يذكره الأزرق والفاسى فأقول:

أما المساجد المعروفة (فمنها) مسجد بأعلى مكة عند الردم وهو المدعى عرفه الطبرى بمسجد الراية ويعرف بذلك الى وقتنا هذا وبجانبه الآن منارة تعرف بمنارة أبى شامة يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه كما نقله الأزرق وذكر أن عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بناه

(ومنها) مسجد بقرب الجزرة الكبيرة عند المدعى على يمين الهابط

الى مكة ويسار الصاعد منها يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب كما هو مكتوب بحجرين هناك

(ومنها) مسجد بسوق الليل بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم يقال له المختبا يزوره الناس كثيرا فى شهر ربيع الأول كغيره من المحال التي تزار . قال الفاسي ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئا من خبره ونقل الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد رحمه الله أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبي فيه من الكفار وعزاه الى كتاب الكوكب المنير لنصر الله

(ومنها) مسجد على جبل أبي قبيس يقال له مسجد ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه السلام وانما هو ابراهيم القبيسي انسان كان يسأل عنده ذكره الأزرق

(ومنها) مسجد بأسفل مكة ينسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يقال انه من داره التي هاجر منها الى المدينة ويعرف الآن بدار الهجرة وهو بالقرب من بركة الماجن هذه المساجد التي بمكة

وأما التي فى خارجها (فمنها) مسجد يقال له مسجد البيعة ومسجد الجن قال الأزرق ويسميه أهل مكة مسجد الحرس لأن صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى اليه وقف حتى يتوافى عنده حرسه وعرفاؤه فانهم يأتونه من شعب ابن عامر ومن ثنية المدنيين فاذا توافوا رجع منحدرا الى مكة وهو فيما يقال موضع الخط الذي خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة اجتمع عليه الجن وبايعوه

صلى الله عليه وسلم كما يقال انتهى وشهرته بمسجد الحرس مستمرة إلى وقتنا وهذا

(ومنها) مسجد يعرف بمسجد الاجابة على يسار الذاهب إلى منى في شعب بقرب ثنية أذاخر كذا عرفه الفاسى رحمه الله وهو مشهور بذلك إلى وقتنا هذا يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله أعلم

﴿ ذكر المساجد التي في منى وجهتها ﴾

(منها) مسجد يقال له مسجد البيعة وهى التى بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار بحضرة عمه العباس حسبما ذكره أهل السير وهو بقرب العقبة التى هى حد منى من جهة مكة فى شعب على يسار الصاعد الى منى

(ومنها) بمنى مسجد يقال له مسجد النحر بين الجمرتين الأولى والوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة يقال ان النبي عليه السلام صلى فيه الضحى ونحر هديه عنده كذا وجد فى حجر مكتوب فيه ذلك

(ومنها) مسجد يقال له مسجد الكبش على يسار الصاعد إلى عرفة بسفح ثبير وهو مشهور والمراد بالكبش هو الذى فدى به الذبيح اسمعيل أو اسحاق على الخلاف فى ذلك ونقل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى ما يقتضى أن الكبش نحر فى غير هذا الموضع بين الجمرتين ويؤيده ما أخرجه الطبرى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر فى منحر الخليل عليه السلام الذى نحر فيه الكبش المفدى به ثم بينه

الطبرى فقال وذلك فى سفح الجبل المقابل له يعنى ثبيرا وأراد بذلك الموضع الذى عند مسجد النحر المتقدم آنفاً والله أعلم بالحقائق

(ومنها) مسجد عائشة رضى الله عنها وهو بسفح ثبير أيضا فوق مسجد الكبش المذكور وهو غار لطيف عليه بناء دائر ويسمى معتكف عائشة وبيت أم المؤمنين

(ومنها) مسجد الخيف المشهور بمنى وهو مسجد عظيم الفضل وقد وردت فى فضله أحاديث وآثار فمن ذلك ما أخرجه الطبرانى فى معجمه الاوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الخيف والمسجد الحرام ومسجدى » واسناده ضعيف كما نص عليه الحفاظ وإنما ذكرته لغرابته ولجواز العمل به فى فضائل الأعمال كما ذكره النووى وغيره من علماء الحديث. وأخرج أيضاً فى معجمه الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى » وكذا أخرجه الازرق أيضا وفى رواية عن مجاهد خمسة وسبعون نبيا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى عليه السلام قال فى مسجد الخيف قبر سبعين نبيا . وأما الآثار فروى الشيخ العلامة مجد الدين صاحب القاموس فى كتابه الوصل والمنى فى بيان فضل منى بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت وأخرج الازرق عن أبى هريرة بلفظ لو كنت من أهل مكة لاتيت مسجد الخيف كل سبت

وفى آخر عنه أخرجه الجندى لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى على سبت حتى آتى مسجد الخيف فأصلى فيه . وأما تعيين مصلى النبى صلى الله عليه وسلم من مسجد الخيف فخرج الازرقى بسنده إلى جده أن الاحجار التى بين يدى المنارة هى موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم والمراد بالمنارة هى الصغيرة التى فى وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة لاالمنارة التى على الباب، والمحراب الذى فى القبة هو موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم لأنه فى موضع الأحجار التى ذكرها الازرقى كذا نقله الجد رحمه الله

(ومنها) بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمى بالضب بمعجمة وموحدة نقله الصغانى وبالصفايح أيضا بصاد مهملة آخره تحتية ومهملة وقيل الصابح بمهملتين بينهما ألف وموحدة قال الازرقى مسجد الخيف بأنى مسجد الخيف فيه غار به أثر يقال انه أثر رأس الرسول صلى الله عليه وسلم أخرج ابن جبير أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس بهذا الغار مستظلا فيه فمس رأسه الكريم الحجر فلان حتى أثر فيه أثرا بقدر دورة الرأس فصار الناس يبادرون بوضع رؤسهم فى هذا الموضع تبركا واستجارة لرؤسهم بموضع مسه الرأس الكريم أن لاتمسها النار برحمة الله عز وجل انتهى ويعرف بغار المرسلات وهو مشهور به إلى هذا الوقت وفى صحيح البخارى فى باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود أنه قال « بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى اذ نزلت عليه والمرسلات عرفا وانه ليتلوها وانى لاتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها

اذ وثبت علينا حية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها »

﴿ فائدة ﴾ من عجيب الاتفاق أن الشيخ مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس دخل الى الغار في جماعة أصحابه وقرأوا سورة والمرسلات فخرجت عليهم منه حية ، فابتدروها ليقتلوها فهربت

(ومنها) مسجد عرفة الذي يصلي فيه الامام ، وهو مشهور لايحتاج الى مزيد بيان ، وعرفه الأزرق بمسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وجزم به الرافعي والنووي ، وخالف ابن جماعة ، وقال ليس لذلك أصل ، وتبعه الأسنوي على ذلك . قال الفاسي : وفيه نظر لمخالفتهما مايقتضي كلام الأزرق وهو عمدة في هذا الشأن انتهى

(ومنها) مسجد التنعيم التي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين بعد حجها عام حجة الوداع ، واختلف فيه ، فقيل هو المسجد الذي يقال له مسجد الهليلجة بشجرة كانت فيه . قال الفاسي : وهو المتعارف عند أهل مكة وفيه حجارة مكتوب فيها مايؤيد ذلك ، وقيل هو المسجد الذي بقربه بئر وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذي يقال له مسجد بطريق وادي مر وفي هذا أيضا حجارة مكتوب فيها مايشهد لذلك ، والخلاف قديم انتهى ؛ ورجح الطبري أنه الذي بقربه البئر

(فائدتان) الأولى : انما سمي هذا المحل التنعيم لأن على يمينه جبلا يقال له نعيم وعن يساره جبلا يقال له ناعم والوادي الذي بينهما نعمان كذا قيل الثانية : نعمان واد آخر فوق عرفة بقليل مشتمل على أودية كثيرة لأعراب

مكة وغيرهم قال البغوى وغيره من المفسرين انه واد مقدس وفيه أخذ الله العهد

(ومنها) مسجد الجعرانة وهو الذى أحرم منه النبى صلى الله عليه وسلم بعمرة مرجعه من الطائف بعد فتح مكة وموضع احرامه من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى أخرجه الأزرق عن مجاهد رضى الله عنه ، وكذا ذكره الواقدى أيضاً واختلف فى احرامه صلى الله عليه وسلم متى كان والراجح أنه ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة عام الفتح . والجعرانة بكسر الجيم واسكان العين وتخفيف الراء وفتحها . وقيل بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة لغتان حكاهما النووى فى تهذيب الأسماء واللغات

﴿ فوائد ﴾ الأولى أخرج الجندى فى فضائل مكة بسنده الى يوسف بن ماهك أنه قال اعتمر من الجعرانة ثلثمائة نبى وكذا ذكره الفاكهى أيضاً . الثانية فى جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم فحص موضع الماء بيده المباركة وقيل انه غرز فيه رمحه الميمون فنبع الماء من ذلك المحل فشرب منه النبى صلى الله عليه وسلم وسقى الناس أخرجه الفاكهى . الثالثة انما سميت الجعرانة باسم امرأة من قريش يقال لها رايطة براء وطاء مهملتين بينهما مثناة تحتية بنت كعب ولقبها جعرانة وهى امرأة أسد بن عبد العزى وعن ابن عباس رضى الله عنه انها هى التى نزل فيها قوله تعالى «ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة » الآية

(ومنها) مسجد يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مر وهو مشهور بهذا الاسم الى هذا الزمان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله أعلم فهذه المساجد كلها معروفة الآن تتعاهد بالزيارة بعضها فى أوقت مخصوصة وبعضها مطلقا . وأما المساجد التى ذكرها الأزرقى ولم تعرف الآن فخمسة مساجد الأول مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامر المعروف الآن بشعب عامر بدون لفظ ابن وحرف دار زائغة فى أصله كذا عرفه الأزرقى ثم قال ان عنده قرة مستقلة لرجل كان يسكن ثم فى الجاهلية وأن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح وهذا المسجد لا يعرف الآن ولا يمكن حمله على مسجد البيعة المعروف بمسجد الحرس المتقدم لأن الأزرقى قد ذكره أيضا مع ذكره لهذا المسجد . الثانى مسجد باجياد يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ هناك فى موضع منه قال الأزرقى ان أهل العلم يذكرون ذلك وانما يثبتون انه صلى بأجياد الصغير ولا يوقف على موضع مصلاه أيضا تحقيقا بل حدساً بغير أصل . الثالث مسجد بأعلى مكة يقابل مسجد الحرس يقال له مسجد الشجرة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كانت فى هذا المسجد فقربت اليه فسألها عن شىء ثم أمرها بالرجوع فرجعت الى موضعها وقد درس . الرابع مسجد بذى طوى فى علو مكة بين الثنيتين اللتين يدخل منهما الحاج يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل هناك حين اعتمر وحين حج تحت سمرة كانت ثم ذكره الأزرقى وأهملت زبيدة بانته . الخامس مسجد السرر قال الأزرقى

وهو الذي تسميه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن علي لكونه بناه وسيأتي ذكر وادي السرر ، وهو بمنى في شرقيها ذكره صاحب القاموس كما ستقف عليه قريباً ان شاء الله تعالى غير أن تعيين محله يقيناً لايوقف عليه الآن بل جهته ، السادس : مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له مسجد ابراهيم ، وليس بمسجد عرفة الذي يصلي فيه الامام كذا عرفه الأزرق ، ولم يبين ما المراد بابراهيم الذي ينسب اليه ، فهذه المساجد المذكورة لم تعرف الآن ؟ وأما ماذكر من المساجد منفردا ، ولم يتعرض لاستحباب زيارتها ، فمسجدان : الأول مسجد عرفة المعروف الآن بمسجد نمرة الذي يصلي فيه الامام ذكره الأزرق وأفرده عن المساجد التي يستحب زيارتها ، ولم يصب بل هو أولى أن يعد من جملتها لأن العلة في ذلك انما هو التبرك ، وهذا المسجد من البقاع العظيمة التي لايشك فيها وكم صلى فيه من حجاج الصحابة والتابعين والعلماء والأولياء والسادات لأن كون هذا المحل مصلى الامام مما يؤثره الخلف عن السلف ، واذا كان كذلك فيبعد أن يتركه الأخيار ويصلون في غيره فكان عده من جملة المساجد المستحب زيارتها أولى ، ولهذا ذكرته وعددته من جملتها ، الثاني مسجد فوق العمرة المعروفة بالتنعيم الى جهة وادي مر على يمين الذاهب اليه ويعرف بمسجد علي ذكره الفاسي ضمنا عند ذكره لمسجد التنعيم ، وقد مر كلامه ، ولم يبين أمره ولا تعرض لعلي الذي نسب اليه هذا المسجد ، ولم أقف على شيء من خبره . وأما مالم يذكر من المساجد فمسجد واحد بمكة أمام الصاعد من باب العمرة على يسار الذاهب الى جهة سوق باب

ابراهيم فيه محراب لطيف جدا يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه هذا ماوقفت عليه ، والله أعلم

﴿ ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها ﴾

(ومنها) الجبل المعروف بأبي قبيس أحد أخشبي مكة المشرف على الصفا ، وهو مشهور لايحتاج الى بيان ، ويروى عن وهب بن منبه رضى الله عنه ان قبر آدم صلوات الله عليه في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز بالنون والزاء المعجمة ، وان نوحا عليه السلام لما جاء الطوفان استخرجه من الغار وجعله في تابوت وحمله في السفينة فلما غيض الماء أعاده الى الغار ، والله أعلم بذلك ، وهذا الغار لايعرف الآن ، وقيل ان قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة وقيل ببيت المقدس وقيل ببلاد الهند وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره ، ونقل عن الذهبي أن قبر حواء وشيث [1] في جبل أبي قبيس ، والله أعلم بالحقائق ومن فضائله أنه كان يدعى الأمين في الجاهلية لأن الحجر الأسود استودع فيه عام الطوفان فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبل الركن مني بمكان كذا وكذا فجاء به جبريل فوضعه موضعه (ومنها) أنه أول جبل وضع على وجه الأرض حين مادت ، روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد (ومنها) أن الدعاء يستجاب فيه كما ذكره الفاكهي ، واستشهد لذلك بحكاية الوفد الذين

---

(١) أنزلت عليه خمسون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس

استسقوا فيه ، فأجيب لهم وسقوا (ومنها) انشقاق القمر عليه كما ذكره القطب الحلبي وغيره ، ونقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حتى حراء ، وعلل بكونه أقرب الجبال الى الكعبة الشريفة ، قال الفاسي رحمه الله ، وفي النفس شيء من تفضيله على حراء لكونه صلى الله عليه وسلم كان يكثر اتيانه للعبادة ، ويقيم به لأجلها شهرا في كل عام ، وفيه أكرم بالرسالة ، ولم يتفق له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في جبل سواه وذلك مما يقتضي امتيازه بالفضل والموجب لتفضيل دار خديجة رضي الله عنها على غيرها من دور الصحابة طول سكناه عليه السلام بها ، ونزول الوحي عليه فيها لا لأجل القرب من الكعبة اذ كثير من البيوت أقرب اليها منه كدار العباس بالمسعى ، ودار الأرقم بالصفا والله أعلم انتهى . ثم في تسميته بأبي قبيس أقوال أرجحها أنه سمي باسم رجل من اياد يقال له أبو قبيس بنى فيه

﴿ فائدة ﴾ نقل القزويني في كتابه عجائب المخلوقات من خواص جبل أبي قبيس أن من أكل فيه الرأس المشوي يأمن أوجاع الرأس وكثير من الناس يفعله ، والله أعلم بحقيقة ذلك

(ومنها) جبل الخندمة ، وهو جبل شامخ مشهور معروف في ظهر أبي قبيس ، (ومن فضائله) ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ما مطرت مكة قط الا كان للخندمة عزة ، وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهي ، والله أعلم بصحته ، وفيه يقول القائل في يوم الفتح :

انك لو شهدت يوم الخندمه ... اذ فر صفوان وفر عكرمه

الأبيات المشهورة (ومنها) جبل حراء وهو ممدود فمن ذكره صرفه ومن

أنه منعه من الصرف ويسمى جبل النور بالنون وكأن ذلك لكثرة مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم وتعبده فيه وماخصه الله به فيه من الاكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه في الغار الذي بأعلاه كما في صحيح البخاري حتى فجأه الحق ، وهو في غار حراء ، وهو معروف مشهور يأثره الخلف عن السلف ويقصده الناس بالزيارة ، ذكر الأزرقي أن النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ فيه من المشركين ، وكذا ذكره الفاكهي قال أيضا والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختبء من المشركين الا في غار ثور لكن يتأيد ماذكر بما قاله القاضي عياض والسهيلي في روضه : أن قريشاً حين طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ظهر ثبير ، فقال له اهبط عني يارسول الله فاني أخاف أن تقتل وأنت على ظهري ، فيعذبني الله تعالى فناداه حراء الى رسول الله ، وجمع القاضي تقي الدين رحمه الله ، فقال ان صح اختفاؤه صلى الله عليه وسلم بحراء ، فهو غير اختفائه بثور ، والله أعلم فيكون في حراء أولا ، وفي ثور حين الهجرة ، وذكر بعض العلماء أن السر في كونه صلى الله عليه وسلم لازم التعبد فيه دون غيره من الجبال من حيث ان فيه فضلا زائدا منه أن يكون فيه منزويا مجموعا لتعبده ، وهو يشاهد بيت ربه ، والنظر الى البيت عبادة ، فحصل له اجتماع ثلاث عبادات الخلوة ، والتعبد ، والنظر ، ومجموع ذلك أولى من الاقتصار على البعض وغيره من الأماكن ليس فيه ذلك المعنى ، وأيضاً ان هذا الجبل كان يختلي فيه أجداده صلى الله عليه وسلم (أقول) وفيما ذكر نظر لأن غيره من الجبال يتأتى فيه ماذكر من اجتماع العبادات الثلاث كأبي قبيس

مثلا ويزيد بقربه من البيت ، فكان أولى أن يتعبد فيه ، وان كان المراد البعد من الناس لخلو البال فى التعبد ، فالجبال البعيدة كثيرة الاهم الا أن يقال ان الغار الذى بحراء مستقبل الكعبة من غير انحراف ، وليس غيره كذلك فله وجه ، والأحسن أن يقال ان جبل حراء متعبد أجداده فاقتدى بهم فى ذلك ، والله الموفق

(ومنها) جبل ثور بالثاء المثلثة بأسفل مكة ، وسماه البكرى أبا ثور والمشهور الأول وبعده عن مكة ميلان ، وقيل ثلاثة وارتفاعه نحو ميل وكان اسمه أطحل بالطاء والحاء المهملتين ، وانما سمى ثورا لنزول ثور بن عبد مناف فيه ، وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر اختفيا فى غاره المشهور الذى ذكره الله تعالى بقوله : « ثانى اثنين اذ هما فى الغار » الآية وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار أمر الله العنكبوت فنسجت على بابه وشجرة فنبتت والحمامتين فعششتا على بابه ، ويقال ان هذا الحمام الذى بمكة من نسلهما ، ومن فضائل هذا الجبل مايروى أنه كلم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له الى يارسول الله فانى قد آويت قبلك سبعين نبيا . وللغار الذى فيه بابان واسع وضيق ، وكثير من الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما يقال ان من لم يدخل منه وتعوق فليس لأبيه ، وهو باطل لا أصل له ، وقد وسع الباب الضيق فى حدود عام ثمانمائة لأن بعض الناس أراد الدخول منه فحبس ، فنحت منه حتى اتسع وتخلص ، وكان مكثه صلى الله عليه وسلم فى الغار المذكور ثلاثا كما فى صحيح البخارى ، وهو الراجح ، وقيل بضعة عشر يوما ، ووفق الجد رحمه الله بينهما

فقال ويحتمل أن يكون كلا القولين صحيحاً ووجه الجمع أنهما مكثا في الغار ثلاثا ويكون معنى الحديث مكثت مع صاحبي مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما انتهى

﴿ فائدتان ﴾ الأولى : نقل عن البكري أنه قال في جبل ثور من كل نبات الحجاز وشجره ، وفيه شجر البان ، وفيه شجرة من حمل منها شيئا لم تلدغه هامة ، الثانية : نقل أيضاً في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قتل قابيل أخاه هابيل كان في ثور أخرجهما الفاسي رحمه الله ، وفي صحيح مسلم أن ثورا اسم جبل آخر صغير في المدينة قريباً من جبل أحد عن يساره ، وأنكر ذلك بعض العلماء ، والله أعلم

(ومنها) جبل ثبير بمنى ، وهو جبل عظيم الفضل شامخ ، روى الأزرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى ، فطارت شظاياه لستة جبال ثلاثة منها وقعت بمكة وهي حراء وثور وثبير وثلاثة وقعت بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى ، أقول وكون ثبير بمكة تسامح لكن ما قارب الشيء أعطى حكمه وقد جعله القزويني من جبال مكة أيضاً ثم عرفه بأنه الذي أهبط عليه الكبش الذي فدى به اسماعيل ، ثم قال والعرب تقول أشرق ثبير كيما نغير وليس كذلك الا ثبير الذي بمنى ، وكذلك الجوهري جعله بمكة وما ذاك الا لقرب منى منها انتهى ، ويسمى ثبير الاثبرة والقابل أيضا بالقاف والباء الموحدة ، ونقل صاحب القاموس عن النقاش أن الدعاء يستجاب فيه ثم

قال ثبير الاثبرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وامام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها أيام اقامتها بمكه، انتهى

(ومنها) ثبير اسم لثمانية أماكن سبعة منها جبال بمكة وحرمها وهى ثبير الاثبرة المذكور ، وثبير الزنج ، وثبير الأعرج ، وثبير الأحدب ويقال الأحيدب بالتصغير ، وثبير الخضراء ،وثبير النصع ،وثبير غينا ،والثامن اسم لما فى بلاد مزينة أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم شريس بمعجمة فى أوله ومهملة فى آخره ابن ضمرة بضاد معجمة المزنى رضى الله عنه وسماه شريحا بحاء مهملة ، ولنشر الى مواضعها تكثيرا للفائدة ، فأما ثبير الاثبرة فقد تقدم وعرف بذلك لأنه أعلاها وأطولها ، وقيل انما سمى ثبير باسم رجل من هذيل دفن فيه ، والله أعلم بذلك ، وهو على يسار الذاهب الى عرفة الذى ذكره الفقهاء فى المناسك بأن المستحب للحاج اذا طلعت الشمس عليه أن يسير الى عرفة ، وأما ثبير غينا بالغين المعجمة المفتوحة بعدها مثناة تحتية ثم نون ثم ألف ، وثبير الأعرج فهما بمنى أيضاً يصب بينهما واد من منى يقال له أفاعية بضم الهمزة بعدها فاء وألف وعين مهملة مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة مخففة بعدها هاء كذا نقله صاحب القاموس عن الزمخشرى ، وذكر الأزرقى فى ثبير الأعرج أنه المشرف على حق الطارقيين بمثناتين تحتيتين بين المغمس والنخيل ، وفى ثبير غينا أنه المشرف على بئر ميمون وقلته مشرفة على شعب على كرم الله وجهه . فخالف فى ذلك الزمخشرى ، أقول ولعله أراد بالنخيل بساتين

ابن عامر التي كانت في جهة عرنة لأنه كان بها نخيل فيما مضى ، وأما ثبير النصع بكسر النون وسكون الصاد المهملة بعدها عين مهملة ، فهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذاهب الى منى ذكره الأزرقي ، وقال هو الذي كانوا يقولون في الجاهلية اذا أرادوا الدفع من مزدلفة أشرق ثبير كيما نغير ، ولايدفعون حتى يرون الشمس عليه انتهى ، والمعروف المنقول عن جمع من أهل المناسك أنهم ما كانوا يعنون بهذا الكلام الا ثبير الأثبرة الذي بمنى . ووجه الفاسي رحمه الله تعالى ماقاله الأزرقي ، وقال لا يبعد ذلك لأن قريشاً ما كانوا يقولون ذلك الا وهم بمزدلفة ، وهذا أقرب الى أبصارهم من الذي بمنى انتهى ، وأما ثبير الخضراء بمعجمتين وراء مهملة هو الجبل المشرف على الموضع الذي يقال له الخضراء بطريق منى نقله الفاسي. والخضراء واد معروف الى هذا اليوم ، وأما ثبير الزنج فهو جبل النوبي المعروف بأسفل مكة في جهة الشبيكة الذي تقدم أن به مولد سيدنا عمر بن الخطاب على ماقيل ، وانما سمي بذلك لأن سودان مكة كانوا يلعبون عنده ، وهم النوبة والسودان الزنوج أيضاً فطابقت التسمية على كلا الوجهين ، وأما ثبير الأحدب أو الأحيدب فلم أقف على موضعه ولم أر كلاما في تعيين محله ، والله أعلم ، أقول بمنى جبل يدعى الأحيدب الى هذا التاريخ سمعت ذلك من بعض أهل منى . وهو مقابل مسجد الخيف يقرب من ثبير الأثبرة على يسار الذاهب الى عرفة ، وفي جانبه جبل آخر لايبعد ، والله أعلم أن يكون ثبير غينا وبينهما شعب الظاهر انه أفاعية الذي يصب بينهما كما تقدم ويكون ثبير الأعرج كما ذكره الأزرقي

فى جهة عرفة بين المغمس والنخيل لأنه أمس بذلك ويبقى ما ذكره الزمخشرى مجرد نقل لم يعضده شىء يقويه ويصير على هـذا بمنى ثلاثة أثبرة : ثبير المشهور وثبير غيناء ، وثبير الاحيدب الذى بينهما أقاعية انتهى والله الموفق فهذه الأثبرة التى بمكة وظاهرها والله أعلم

﴿ ذكر المقابر المباركة التى تزار بمكة وقربها ﴾

(منها) مقبرة المعلاة لما قد حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين وان لم يعرف قبر أحد من الصحابة تحقيقا الآن وأفضل شعابها الشعب الذى يقال ان فيه قبر أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ولم يرد ما يعتمد عليه فى ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم نعم الشعب ونعم المقبرة أخرجه الأزرقى ثم قال لا يعلم بمكة شعب يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فانه يستقبل وجه الكعبة كله انتهى وقد تقدم ذكر شىء مما ورد فى فضل هـذه المقبرة فى فضائل مكة فلا نطيل باعادته ومما ورد فى فضلها ما روى عن بعض الصالحين أنه قال كشف لى أهل المعلاة فقلت لهم أتجدون نفعا بما يهدى اليكم من قراءة ونحوها فقالوا لسنا محتاجين الى ذلك فقلت لهم ما منكم أحد واقف الحال فقالوا وهل يقف حال أحد فى هـذا المكان ، ومن ذلك ما رواه أبو سعد بن السمعانى فى تاريخه عن أبى نصر محمد بن ابراهيم الأصبهانى أنه رأى فى المنام كأن انسانا مدفونا فى المعلاة استخرج ومروا به الى موضع آخر قال فسألت عن حاله فقالوا هذه المقبرة منزهة عن أهل البدعة

لاتقبل أرضها مبتدعا . ونقل عن الشيخ خليل المالكي رحمه الله ان الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاة عند قبور سماسرة الخير وعند قبر الشولى وعند قبر امام الحرمين عبد المحسن بن أبي عبد الحميد . أقول قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التي يقصر منها القصارون الثياب الآن ، وقبر الشولى وامام الحرمين معروفان انتهى ومن مقابر مكة قديما المقبرة العليا فيستحب زيارتها لما فيها من الأموات وأهل الخير وهي بين المعابدة وثنية أذاخر وكان يدفن فيها في الجاهلية وصدر الاسلام آل أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس وآل سفيان ابن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم نقله الازرقي . ثم قال وكان أهل مكة يدفنون موتاهم من جنبتي الوادي يمنيه وشاميه ثم حول الناس جميعا قبورهم في الشعب الأيسر لما جاء فيه انتهى والمراد باليمني هو شعب أبي دب المعروف الآن بشعب العقاريب وفيه كان يدفن في الجاهلية وصدر اسلام ، وأبو دب رجل من بني سواءة بن عامر سكنه فسمي به ويقال ان قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم في شعب أبي دب ، هذا وانه صلى الله عليه وسلم جاء اليها وزارها وقيل في غير هذا المحل من المعلاة ، وقيل بالأبواء وهو المشهور ، والمراد بالشامي هو شعب الصفي بتشديد التحتية المسمى قديما بصفي السباب وهو الذي عند أذاخر والحرمانية في طرف المحصب ويسمى المحصب شعب الصفي وهو خيف بني كنانة وانما سمي شعب الصفي لأن ناسا في الجاهلية كانوا اذا فرغوا من مناسكهم ونزلوا المحصب المذكور وقفوا بهم هذا الشعب

وتفاخروا بالآباء والأيام والوقائع فى الجاهلية . أقول وليس فى هذه مناسبة لوجه التسمية وكانه والله أعلم مأخوذ من الاصطفاء لكونهم اختاروا هذا المكان واصطفوه لمفاخرتهم لكن الأزرقى لم يعرج على هذه وانما أخذته من سياق الكلام، ثم يظهر أن صدور هذا التفاخر انما كان يقع من شبابهم ليظهر وجه التسمية انتهى وفى هذه المقبرة العليا قبر سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسيد وذلك أنه مات عندهم فى دارهم سنة أربع وسبعين وله من العمر أربع وثمانون عاما وكان صديقا لعبد الله بن خالد فلما حضرته الوفاة أوصاه بأن لا يصلى عليه الحجاج بن يوسف الثقفى وكان بمكة بعد مقتل ابن الزبير فلما قضى صلى عليه عبد الله بن خالد ودفنه عند باب داره ليلا أخرجه الأزرقى ولهذا والله أعلم خفى قبره، وعرف الأزرقى المقبرة العليا بأنها حائط خرمان وهو المسمى فى هذا الوقت بالخرمانية عند المحصب . قال الفاسى رحمه الله وما ذكره الأزرقى من كون عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليا يدفع ما يقال انه مدفون بالجبل الذى بالمعلاة ولا أعلم فى ذلك دليلا وهو بعيد من الصواب والله أعلم * ومن مقابر مكة أيضا قديما مقبرة المهاجرين بالحصحاص وهو ما بين فخ والجبل المسمى بالمقلع وبالبكاء أو الزاهر كما هو مقتضى كلام الأزرقى والفاسى وانما سمى بالبكاء لما قيل انه بكى على النبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر وهو مشهور بالبكاء الى اليوم، أقول فتكون المقبرة المذكورة فى المحل المعروف الآن بالمقلع الذى يبيت به أمير الحاج عند قدومه

ثم يصبح ويدخل مكة فينبغي لمن أتى ذلك الموضع أن يقرأ ما تيسر ثم يدعو هناك بالدعاء المأثور عند زيارة القبور ويهدي ثواب ذلك اليهم والى سائر أموات المسلمين وكذلك عند المقبرة العليا التي تقدم أن بها قبر سيدنا عبد الله بن عمر لما علمته والله الموفق. وسبب تسميتها بمقبرة المهاجرين أن جندع بجيم ونون ابن أبي ضمرة بمعجمة ابن أبي العاص اشتكى وهو بمكة اخاف على نفسه فخرج يريد الهجرة الى المدينة فأدركه الموت وهو بهذا المحل فدفن فيه فأنزل الله «ومن يخرج من بيته مهاجرا» الآية فسميت مقبرة المهاجرين به أخرجه الأزرقي. ووقع مثل ذلك لغير جندع أيضاً فدفن هنالك وممن دفن بهذا المحل جماعة من العلويين قتلوا فيه في حرب وقع بينهم وبين عسكر موسى الهادي في سنة تسع وتسعين ومائة، وفيه جماعة من الأنصار مدفونون ويسمى هذا المحل أيضاً بأضاة بني غفار وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وأنا بأضاة بني غفار فقال يا محمد ان ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف فقلت أسأل الله المعافاة فقال فانه يأمرك أن تقرأه على حرفين فقلت أسأل الله المعافاة قال فانه يأمرك أن تقرأه على ثلاثة أحرف فقلت أسأل الله المعافاة قال فانه يأمرك أن تقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف. واختلف في المراد بالسبعة الأحرف فقيل سبعة لغات * ومن المقابر أيضاً المباركة مقبرة الشبيكة فيستحب زيارتها لما حوته من أهل الخير والغرباء لا سيما الفقراء الطرحاء فانهم ما يدفنون غالبا إلا بها. ونقل الفاسي رحمه الله عن الفاكهي أن مقبرة المطيبين قديما كانت بأعلى مكة ومقبرة الاحلاف

بأسفل مكة ثم قال والظاهر أن مقبرة الاخلاف هي هذه المقبرة يعني بذلك الشبيكة لأنه لا يعرف بأسفل مكة مقبرة سواها ودفن الناس بها الى الان مشعر بذلك ثم قال والمطيبون بنو عبد مناف بن قصي وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر والاخلاف بنو عبد الدار بن قصي وبنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب انتهى

﴿ فائدة ﴾ وفي سبب تسميتهم بالمطيبين والاخلاف نقل عن ابن اسحق أن قصياً لما هلك قام بنوه بعده بأمر الرياسة واقتسموا مآثره كما تقدم ثم ان بني عبد مناف بن قصي وهم عبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب أجمعوا أن يأخذوا مافي أيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعله الى بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا أنهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم فافترقت قريش فرقتين فكانت طائفة منهم مع بني عبد مناف على رأيهم وطائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما جعله قصي اليهم ثم أخرج بعض نساء عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فغمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا وتعهدوا أن لا يتخاذلوا فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا عند الكعبة أن لا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاخلاف ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ولم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان

الاسلام لم يزده الا شدة ، ومن القبور التي ينبغي زيارتها خارج مكة قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم خالة ابن عباس ، وهو معروف بطريق وادي مر بمحل يقال له سرف بسين مهملة مفتوحة ، وراء مهملة مكسورة ، وفاء ،وبينه وبين مكة ستة أميال وقيل سبعة أميال بتقديم السين ، وقيل تسعة بتقديم التاة وقيل اثنا عشر ميلا كذا ذكره صاحب المطالع ، أقول القول الأخير بعيد والنظر يقضي بخلاف ذلك لمن سلك الطريق الى وادي مر، وأعدل الأقوال السبعة لأن المعاينة تؤيده انتهى ، قال الفاسي رحمه الله ولا أعلم في مكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر لأن الخلف يأثره عن السلف ، وموضع قبرها هو الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجها انتهى

(ومنها) قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو بوادي الطائف فينبغي زيارته لمن قدر على ذلك ، قال صاحب المطالع ان الطائف هو وادي وج انتهى ، ووج بفتح الواو وتشديد الجيم ، وسمي باسم وج ابن عبد الحق من العمالقة . وأما وح بالواو والحاء المهملة فهو ناحية نعمان فوق عرفة ، وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله عز وجل ، قال النووي واسناده ضعيف ، وذكر الطبري في تحريم صيد وج احتمالين أحدهما أن يكون على وجه الحمى له ، ثم قال وعليه العمل عندنا ، والثاني أن يكون حرمه في وقت ثم نسخ انتهى ، وقال النووي في الايضاح ويحرم صيد وج لكن

لاضمان فيه انتهى ، وأما مذهبنا فليس له حرم ، وانما سمى الطائف لماروى أن رجلا أصاب دما من قومه ، فلحق بثقيف وأقام بها وقال لهم ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه فسمى الطائف لذلك ، وقيل انما سمى بالطائف لأن جبريل طاف به حول الكعبة ، قال بعض المفسرين فى قوله تعالى فى سورة نون : «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون» ان جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها ، وطاف بها حول البيت ، فلذلك سميت بالطائف ، وقيل انما اقتلعها جبريل عليه السلام من الشام وطاف بها سبعاً ، وذلك لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول « وارزق أهله من الثمرات» الآية ، والله أعلم بالصواب ، وجاء فى قوله تعالى : « ويتم نعمته عليك » أى بفتح مكة والطائف ، وقال المفسرون فى قوله تعالى « لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » انهما مكة والطائف ، فقرن تعالى الطائف بمكة ، وذلك فى غاية الشرف ، وفى الرجل قولان أحدهما أنه عتبة بن عبد شمس والثانى أنه مسعود بن معتب الثقفى

﴿ غريبة ﴾ حكى الميورقى أن ميضأة بكسر الميم وقعت فى عين الأزرق بالطائف فخرجت من عين الأزرق بالمدينة الشريفة

﴿ منها ﴾ قبر بأعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادى مر يزعم سكان وادى مر أنه قبر مريم بنت عمران ويقصدونه بالزيارة والنذور ويذبحون عنده ، ولا أعلمهم فى ذلك سلفا ، ولم أر من ذكره ، ولم أقف على شىء من خبره بعد السؤال والتفحص ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

﴿ فوائد ﴾

نختم بها الخاتمة يرجع بعضها الى بعض شيء مما تقدم

﴿ الأولى ﴾ قال النووى رحمه الله فى عدة من كتبه وغيره أيضا أن الدعاء يستجاب فى خمسة عشر موضعا: فى الطواف . وفى الملتزم كما قدمته وتحت الميزاب وداخل الكعبة وخلف المقام وعند زمزم وعلى الصفا وعلى المروة ، وفى حال السعى وجميع منى عموما وعند الجمرات الثلاث خصوصا وفى عرفة وفى مزدلفة فهذه خمسة عشر موضعا بالجمرات الثلاث . وذكر بعض العلماء من الأماكن المستجابة الدعاء : مسجد الخيف بمنى (ومنها) على ماذكره ابن الجوزى مسجد البيعة وغار المرسلات ومغارة الفتح لأنها من ثبير ، أقول مغارة الفتح المذكورة هى فى سفح ثبير قريبا من معتكف عائشة أنشأها القاضى مجد الدين صاحب القاموس وكان يختلى بها للعبادة انتهى ، وذكر العلامة النقاش فى منسكه مواضع يستجاب فيها الدعاء فى ثبير الأثيرة . وفى مسجد الكبش . وفى منحر النحر وحال الدخول من باب السلام وفى دار خديجة رضى الله عنها ليلة الجمعة ، وفى مولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال وفى دار الخيزران عند المتكأ بين العشاءين وفى مسجد [illegible] الأربعاء وتحت السدرة بعرفة وقت الزوال وفى المتكأ عشاء الأحد . أقول هذه الثلاث المحال لاتعرف الآن والمتكأ المذكور الظاهر [illegible] وقد تقدم الكلام فيه بأنه لايعرف يقينا بل حدسا [illegible]

انتهى ، وفي جبل ثور عند الظهر ، وفي حراء مطلقا انتهى كلامه * الثانية مما يدل على فضل منى أيضا مارواه ابن الحاج في منسكه عن أبي سهل ابن يونس الرجل الصالح أنه قال رأيت كأني في سفينة تجري على وجه الأرض وقائل يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقفزت من موضعي وقلت يارسول الله استغفر لي فقال لي حججت فقلت نعم فقال لي حلقت راسك بمنى قلت نعم ، قال رأس حلقت بمنى لايمسه النار أبدا انتهى * الثالثة اختلف في سبب تسميتها بمنى فقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سميت منى لأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له تمن قال تمنيت الجنة فسميت بذلك لأمنية آدم عليه السلام ، وقيل سميت بذلك لما يمنى فيها من الدماء أي يراق ، وهذا هو المشهور الذي ذكره جمهور اللغويين وغيرهم ، وقيل لما تمنى أن يقدر ، وقيل لاجتماع الناس بها لأن العرب تسمي كل موضع يجتمع فيه الناس منى ، وقيل من الله على الخليل عليه السلام بفداء ابنه فيها ، وقيل من الله بالمغفرة فيها على عباده ، وقيل غير ذلك ، ويجوز فيها الصرف وعدمه والتذكير والتأنيث قال صاحب القاموس: والأجود صرفه وجزم الجوهري في صحاحه بتذكيره وصرفه وأنشدوا على تذكيره :

سقى منى ثم رواه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق منبعق

وجاء في تأنيثه للعرجي :

ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها أسر من يومنا بالعرج أو ملل

الرابعة أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كنت بين الأخشبين من منى ، ونفح بيده نحو المشرق ، فان هناك واديا يقال له وادى السرر لسرحة به سر تحتها سبعون نبيا انتهى ملخصا ، والسرحة بالسين والحاء المهملتين الشجرة العظيمة ، و وادى السرر بضم السين وفتح الراء ، وقيل بفتحهما ، وقيل بكسر السين وفتح الراء ، ومعنى سر تحتها أى قطع سررهم يعنى أنهم ولدوا تحتها يصف بركتها ويمنها ، والسرر مايقطع من المولود فيبان ، والباقى بعد القطع السرة ، ولايقال قطعت سرته بل قطع سرره ومن قطع سرره فهو مسرور. قاله صاحب القاموس. قال الفاسى رحمه الله لم يبين الطبرى موضع هذا الوادى وما عرفته أنا أيضاً انتهى . أقول قد بين صاحب القاموس مسافة مابينه وبين مكة اجمالا فى كتابه الوصل فقال قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى السرر على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل بطريق منى ، وكان عبد الصمد بن على اتخذ عنده مسجدا كان به شجرة ذكر أنه سر تحتها سبعون نبيا ، وقد قدمت أن هذا المسجد لايعرف ، فيكون على مقتضى قول الحسن بن الحسين محل وادى السرر المذكور تقريباً بين محسر ومنى على يسار الذاهب الى عرفة لأن الفقهاء ذكروا فى عدة من المناسك أن بين منى ومكة ثلاثة أميال هذا قول أكثرهم ، ويكون من منى الى محسر قدر ميل فهذه أربعة أميال ، والسرحة لا وجود لها الآن والله الموفق * الخامسة منى اسم لموضعين أحدهما منى المذكور ، والثانى اسم جبل من جبال ضرية بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والمثناة التحتية المشددة المفتوحة

والهاء ذكره صاحب القاموس فى الوصل وعزاه الى الأصمعى ، السادسة الخيف لغة المكان المرتفع عن مسيل الماء المنحدر عن غلظ الجبل . وقال بعضهم : الخيف هبوط وارتفاع فى سفح جبل أو غلظ ، ومسجد الخيف بنى فى مكان هذه صفته ، وقيل الخيف غرة بيضاء فى الجبل الذى خلف أبى قبيس ، والخيف أيضاً الناحية ، وبه سمى خيف منى كأنه ناحيته ، وقد تغزل الشعراء فى منى وخيفها بأشعار كثيرة رائقة وأناشيد فائقة رأيت أن أذكر منها بعض شىء مما انشرح به الخاطر تكثيرا للفائدة ، فمن ذلك قول بعضهم .

تبدى لعينى والحجيج على منى   غزال رأيناه بمكة محرما
رمى وهو يسعى بالجمار وانما   رمى جمرة القلب المعذب اذ رمى

ومن ذلك للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى من قصيدة :

بوادى منى تلنا المنى اذ تبسمت   ليال وأيام ملاح المباسم
سرور بعيد واجتماع أحبة   وقرب وقربان وعز مواسم

ومن ذلك لبعضهم :

ما بال قلبى لا يقر قراره   حتى تقضى من منى أوطاره
ما ذاك الا من تلهب شوقه   يسبيه من وادى منى تذكاره
ياسائق الاظعان ان جزت الحمى   سلم على من بالمحصب داره
واشرح لهم مايلتقى مستاقه   من فرط شوق أحرقته ناره
يصبو الى ذكر الحطيم وزمزم   والركن والبيت المكرم جاره

ومن ذلك لمجنون ابن قيس العامرى :

ولم أر ليلى غير موقف ساعة بخيف منى ترمى جمار المحصب
وتبدى الحصا منها اذا قذفت به من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

ومن ذلك لبعضهم :

أياحادى الاظعان جزبى على منى وبرد لظى أحشاى بالجمرات
وقف بى على ذاك المقام فان لى به أربا أقضيه قبل وفاتى
وملبى الى البيت العتيق وخلنى لديه وما أبديه من زفراتى

ومن ذلك قول ابن الجوزى

سقامى وليالى الخيف ماشربت من المياه وحياها وحياك
الماء عندك مبذول لشاربه ولاترويك الا دمعة الباك
ثم اثنينا اذا ماهزنا طرب على الرحال تعللنا بذكراك

ولغيره : فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح
بكينا على ما كان من زمن الهوى ولم يعلم الغادى بمن هو رائح

وفى هذا القدر كفاية . الفائدة السابعة المشهور عند أهل مكة أن الحجون : هو الجبل الذى فيه الثنية التى يدخل منها الحاج الهابطة على المقبرة، وعرفها الأزرق بثنية المدنيين ، ويسمونها الحجون الأول بالنسبة الى الخارج منها الى جهة ذى طوى والزاهر ، ويقولون لما بينها وبين الثنية الأخرى الهابطة على المختلع وطريق الوادى . وتسمى الخضراء بين الحجونين وبين الخارج منها الى جهة منى كما هو صريح كلام الأزرق

والخزاعي والفاكهي والنووى فأما الأزرقى فقال عنـد ذكره لما فى يمانى المعلاة من المواضع والشعاب والجبال ما نصه : الحجون الجبل المشرف جدا على مسجد البيعة الذى يقال له مسجد الحرس ومثله كلام الفاكهى وأما كلام الخزاعى فنص كلامه الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد وقال النووى فى شرح مسلم الحجون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد قال السيد الفاسى رحمه الله وقد ذكر المحب الطبرى فى القرى ما يوافق ما يقوله الناس وكنت قلدته فى ذلك فظهر لى أن الأزرقى بذلك أدرى كيف وقد وافقه الخزاعى والفاكهى وغيرهما وإذا كان كذلك فلعله الجبل الذى يزعم الناس أن فيه قبر عبد الله بن عمر والجبل المقابل الذى بينهما الشعب المعروف عند الناس بشعب العفاريت والله أعلم انتهى . وأغرب السهيلى فى محل الحجون فقال والحجون على فرسخ وثلث من مكة انتهى . والحجون بفتح الحاء وضم الجيم كذا ضبطه النووى والطبرى وصاحب المطالع وضبطه ابن خلكان بضم الحاء والمعروف الفتح

تمت الفوائد ، وبتمامها يتم الكتاب والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد المبعوث بأعظم المعجزات وعلى آله وأصحابه الأماجد السادات

وليكن هذا آخر ما يسره الله ومن به وهو المنان مما قصدت اثباته حسب الوسع والامكان ومع ذلك فانى عاجز عن بلوغ المراد ملتمس

من الله سبحانه الاصابة والسداد وضارع اليه فى التوفيق والرشاد أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم وعدتى من فائض فيض فضله العميم ويجمعنى ومن يطالعه فى جنان النعيم ويختم آخر أعمالى بالخيرات ويرجح ميزانى بالحسنات ويعفو عما اقترفته من الذنوب والسيئات ويرزقنى الثبات عند السؤال بعد الممات ، ويفتح على بالعلم الشريف والعمل به فانه الكنز الموروث عن الأنبياء ونعم الميراث ويجعلنى كما وفقنى لجمع هذه الفضائل ممن شمله قوله صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث » والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، واللسان لا يبرز عن الجنان إلا ما حوى والمسؤل ممن وقف على التأليف من الاخوان أن ينظر فيه بعين الرضى والرضوان فما كان من نقص كمله ومن خطأ أصلحه وأن يصفح عما يجده فى ترتيبه من زلل وما يظهر له فيه من خلل فان القلم قد يهفو والجواد قد يكبو وقد سبق من اقرارى بالعجز والضعف ما يقتضى الصفح والعفو والانسان غير معدوم عن الخطأ والنسيان والمؤمن مرآة أخيه . والله تعالى نغفر لمن نظره أو كتبه أو أصلح شيئا منه أو فيه

ولنختم هذا التأليف بما ورد من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم المأثور الشريف :

اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن كن لى جارا من شر خلقك كلهم أن يفرط على أحد منهم وأن يبغى على ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

﴿ تم الكتاب بعون الملك الوهاب ﴾

وكان الفراغ من نسخ هذا الجامع المبارك عصر الاثنين سنة تسع وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام



فهرس

أسماء الرجال والنساء والاماكن

اعلم أنه لما رأينا أهمية هذا الكتاب فى بابه وفضله الذى لا ينكره كل مطلع ونابه الأمر الذى جعلنا من العناية به أن استخرجنا ما فيه من أسماء الرجال والنساء والأماكن ورتبنا ذلك على حروف المعجم ووضعنا أمام كل اسم نمرة الصفحة التى وجد بها وإذا ذكر الاسم كثيرا فى جملة صفحات كالأسماء التى تكررت فى أغلب صفحات الكتاب مثل الأزرق وابن عباس وعائشة ومكة اقتصرنا على تكرير النمرة أمامه أربع مرات فقط ، وفعلنا ذلك ليسهل على القارئ استخراج أى اسم أراد ، والله الهادى الى سواء السبيل

أسماء الرجال

(أ) نمرة الصفحة

(أ) نمرة الصفحة

(س) نمرة الصفحة

(ش) نمرة الصفحة

(ع) نمرة الصفحة

(ع) نمرة الصفحة

(م) نمرة الصفحة

(م) نمرة الصفحة

فهرست

« اسماء النساء »

فهرست

«اسماء الاماكن»

﴿تم الفهرس﴾

فهرست

الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

صفحة

صحيفة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

